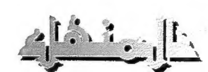


المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٨٤) المجلد (٦٤) العام [٦٨] ذو الحجة ١٤٢٢ هـ - فبراير ٢٠٠٢ م
الفلسفة في الجامعات العربية
المفردة العربية
بين ضرورة الاستعمال
وجمال الصياغة
ظاهرة الكتابة ؟!
الكتَابُ ملك
المعرَفة المتوج
آلية تأثير التيار الكهربائي
في جسم الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

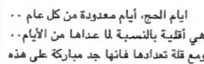
عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م



غلاف العدد

مما قل

في أيام الحج



أيام الحج، أيام معدودة من كل عام .. هي أقلية بالنسبة لما عداها من الأيام.. ومع قلة تعدادها فانها جد مباركة على هذه البلاد وعلى العالم الاسلامي أجمع.. فقد اذن الله للجميع أن يشهدوا فيها منافع لهم، ويذكروا اسم الله على تفضله عليهم بجمع الشمل المتفرق، وأداء الركن الخامس من اركان الدين الأبر الحنيف.

اننا في أيام الحج المباركة نشعر هنا بتبدل في اوضاعنا الاجتماعية، من الركود الى الحركة، ومن العزلة الى الاجتماع.. في أيام الحج المباركة نستقبل وفودا كالمطر المنهمر، وكالأنهار المتدفقة، وكالشلالات الزاخرة، تتمثل في اخوان لنا كرام، وفدوا، أو يفدون من كل فج عميق الى بلادهم المقدسة.. فواجب علينا اذن، ان نستقبلهم بترحاب، استقبال الأخ لأخيه الشقيق الحبيب، بعد طول غياب، وأن نحتفي بهم، وأن نهيء لهم كل الفرص الممكنة للسعادة فيؤدوا واجباتهم الدينية وواجباتهم الانسانية خير أداء.. راضين مطمئنين منشرحين مستبشرين.

فأما الواجبات الدينية فهي قضاء المناسك في دقة وراحة ويسر، وأما الواجبات الانسانية فهي التعارف والتحاب وعقد أواصر الصلات الاجتماعية والاقتصادية باخوانهم الذين شرفهم الله بالاقامة في هذه البلاد المقدسة بجوار بيته المطهر وبجوار قبر رسوله الأكرم عليه الصلاة والسلام.

من تكريم اخواننا الحجاج الذي أراه واجبا علينا جميعا، العناية بهم، وتسهيل منافعهم وتيسير معايشهم وقضاء لوازمهم في غير جشع ولا طمع ولا استغلال ولا عنجهية ولا اشمئزاز. وان نريهم عن حق واخلاص انهم ليسوا غرباء، وانما هم في اوطانهم وبين اخوانهم..

وكان النبي [صلى الله عليه وسلم]، في حجة الوداع مثال الرفق بهم.. والحنو عليهم.. وما زال المسلمون الأوائل يوسعون للحجاج من دورهم ويشركونهم في مطاعمهم ومشاربهم.

هذه واجبات نومىء اليها ايماءا موجزا ولا نحصرها حصرا، وهي وإن كانت أمرا معروفا للجميع الا أنها الذكرى - بمناسبة أيام الحج - والذكرى تنفع المؤمنين.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ذو الحجة ١٣٧٧هـ
يونيو ١٩٥٨م

المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ تليفون ٦٤٢٧٨٣١
٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض ص.ب ٦٣٩٠ تلفون ٤٥٤٤٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم
مصر جنيهان - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس
عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس
موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس
الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

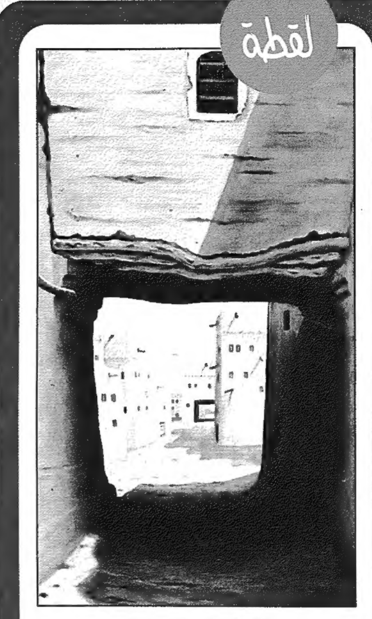
عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

لقطة



الطريق للديرة
بريشة الفنان / ابراهيم السويل
السعودية

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر – جدة
تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ – فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥

أما بعد

الحج .. فيوضات لدنية

من خصائص هذا الشهر المبارك، شهر ذي الحجة، انه فيه يوم عرفة، وهو أفضل يوم طلعت عليه الشمس..

هذا الشهر المبارك، واحد من اربعة اشهر حرم.. شاءت ارادت الله سبحانه وتعالى وحكمته ان يحاط باثنين من الاشهر الحرم هما (ذو القعدة) قبله و(المحرم) بعده..

والاشهر الحرم لها مكانتها في الاسلام تعظيما وحفظاً للحقوق، ومضاعفة للأجر فيها..

وحثاً على العمل الصالح والخير فيها.. وان كان كل هذا مطلوباً في كل أشهر العام، بل في كل العمر..

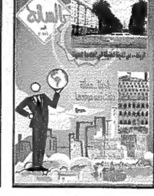
ومن قبله كان شهر رمضان المبارك، شهر الصوم..

مجموع احاطات بشهر الحج لا شك لها دلالاتها الروحية، تصفية وتزكية للنفس، وتطهرا من الآثام، وزيادة في الخير، ورفعاً للدرجات.. ويذهب علماؤنا الأفاضل الى أن من بشائر الحج المبرور ان تظل نفس المؤمن من بعده وثابة دائماً وأبدا لعمل الخير، مستزيدة منه.. بل من بشائر قبول الحج ان تظل نفس المؤمن ايضا في ترق في مدارج الصفاء.. تعرج روحه دائماً في فضاءات الفتح اللَّدني ..

يتقبل الله بفضله من الجميع ..

- المحـــرر -

فهرس العدد ٥٨٤ - المجلد: ٦٤ - العام: ٦٨




غلاف السائح غلاف هن

فقرات مستلة

□ حقوق الانسان التي كثيرا ما يتبجح بها الغرب الآن، ويجعلها سيفاً مسلطاً على الرقاب، الاسلام والمسلمون يعيشونها واقعاً منذ خمسة عشر قرناً من الزمان ..

ص ١٤

□ القصة في منهج الاسلام تلتزم جانب الصدق، ومنهجية الطهر النابعة من قيم هذا المجتمع ..

ص ٢٤

□ رحلة الحج عند كبار الادباء انتجت ابداعاً عالياً في الوصف للمرئي، وتصويراً بديعاً لمكنونات النفس المسلمة، اذ يستدعي هذا الابداع كل قيم تلك النماذج البشرية الخالدة التي غيرت مجرى التاريخ واعادت تشكيله..

ص ٣٠

□ أطفالنا، هل ندعهم نهباً مباحاً لمعطيات الغرب وثقافاتهم.. أم نجتهد في عمل انتاج يجسد فيهم قيم الفضيلة، ويرسخ في نفوسهم سماحة دينهم..

ص ٤٤

□ اللغة العربية ـ دون سائر اللغات ـ تمثل وحدة نسقية متكاملة مع النسق الاجتماعي..

ص ٨٤

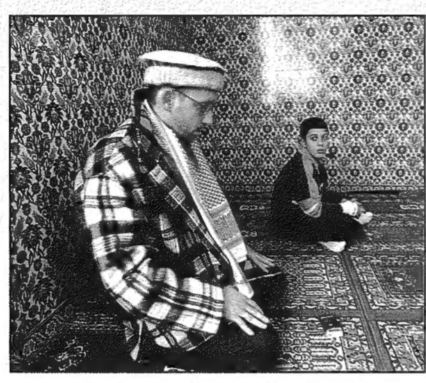
□ الفلسفة علم استنباطي عظيم، وينبغي ان يكون مجال عمله الفسيح في المدركات التي يمكن ان يفسرها العقل وتقع تحت طائلته بالمنطق والتجريب والاستقراء والتحقيق، بعيداً عن تلك التخيلات الغيبية للفلاسفة التي لا طائل وراءها..

ص ١٤٠

٤١٤٧٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرا للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

المسلمون في برلين



هارون بير المسلم الالماني يؤدي الصلاة في جامع بايروث

يعتبر المسلمون حاليا من التجمعات الدينية الكبرى في ألمانيا رغم انهم لا يمثلون ظاهرة اجتماعية نشطة، حيث الجوامع تتواجد اعتياديا في فناءات البيوت الخلفية وأذان المنائر خافت لا يسمع بعكس دوي أجراس الكنائس، ويرتبط ذكر المسلمين في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بمشعلي الحرائق والتطرف، أو الصراعات القائمة بين الجيل الذى ولد في ألمانيا وينحو بالإسلام نحو المعاصرة والجيل السلفي جيل الآباء والأمهات.

وفي الحقيقة هي صراعات اجتماعية بين جيلين جيل نزح الى ألمانيا وجيل ولد في ألمانيا وترعرع في أحضان هذا المجتمع.. يواجه أزمة بين عادات وتقاليد المجتمع الألمانى في الشارع والمدرسة والمعمل التى تتيح وتبيح كل شيء دون التقيد بمرجعية دينية وإنما التقيد بسقف اجتماعي مدني تحت اشتراطات القانون الذى سنته الدولة لحماية المجتمع، وبين البيت الذى ينتمي الى التقاليد الإسلامية ومرجعية تشريعاتها، اضافة الى عادات المجتمع القادم منه، كل هذا احدث إرباكا في العلاقات العائلية للمسلمين ودعا الشباب المسلم الى التفكير والمقارنة بين أوربا وعالمهم المسلم الذى قدم منه آباؤهم.

تشكلت عدة منظمات اسلامية لاحتواء هؤلاء الشباب وتنضوي تحت ثلاث منظمات أساسية:

* المركز الثقافي الإسلامي المدعم مباشرة من أنقرة.

اعداد : **لطيف الحبيب**

– برليـــن –

* الاتحاد التركي الإسلامي.
* الاتحاد الإسلامي.

في السنوات الأخيرة طرأت تغيرات كبيرة على هذه التجمعات الإسلامية التي شكلت من العمال الأتراك في ألمانيا الذين سوف يعودون الى ديارهم ويتركون خلفهم كل شيء.. جيل ثان وثالث من المسلمين الأتراك الشباب ينمو في ألمانيا رغم كل الصراعات الدائرة في وطنهم والإشكاليات والصعوبات الاقتصادية لا ينسون قيم دينهم الإسلامية.

ظهر بعد الوحدة الألمانية ان عدد المسلمين في برلين الشرق ٣٠٠٠ مسلم فقط من مجموع ١٨٠٫٠٠٠ الف مسلم في برلين الموحدة، ولا يوجد أي جامع أو مكان عام للصلاة في برلين الشرقية.

مائتان وخمسون عاما من التقاليد الإسلامية:

بدأت هنا قصة المسلمين قبل ٢٥٠ عاما حين استلم الملك البروسي فردريش فيلهم الأول من الامبراطورية العثمانية إحدى الهدايا الثمينة أسس على إثرها مصلى في عام ١٧٩٨، ثم بناء المقبرة التركية الإسلامية.

في بداية الستينيات من القرن العشرين بدأ نزوح موجات من العمال الأتراك الى المانيا بطلب من الحكومة الألمانية لاحتياجها لأيد عمالية رخيصة، في أواسط السبعينيات من نفس القرن أوقفت الهجرة واختصرت على العمال فقط، وصلت خلال هذه الفترة أعداد غفيرة من المسلمين، تشير الإحصائيات الأخيرة الى وجود اكثر من مليونين ونصف المليون مسلم في ألمانيا ٨٥٪ أتراك و١٠٠٫٠٠٠ ايراني ، ٢٠٠٫٠٠٠ عربي. من مجموع المسلمين في ألمانيا هناك ١٧٫٥٪ عاطلون عن العمل يتمتعون بالمساعدات الاجتماعية، اكثر من نصف مليون طفل مسلم يحمل الجنسية الألمانية ويتعلمون في المدارس الألمانية باستثناء الدروس الدينية.

بعيدا عن الوطن في غياهب الغربة برلين محافظة «كرويتسبرغ»

في زحام المارة في أحد شوارع برلين منطقة «كرويتسبرغ» يلفت الانتباه الى أحد بيوت الله لوحة صغيرة معلقة، برغم نظرات المتسكعين المرتابة تجاوزنا امرأة تركية حسنة الطلعة ورجل الماني يحثان خطاهم بحذر بالغ لدخول هذا العالم الآخر، ولجت باب الدار المقوس انفتحت دواخل العالم الآخر بزخرفه وحروفه المنقطة غير المقروءة .. وهمهمة خافتة تنبعث من مكبرات الصوت، أحذية رجالية متروكة أمام المدخل المفروش بسجاد، يقع مسجد كرويتسبرغ في الفناءات الخلفية.. ترددنا كثيرا لدخول هذا المكان.. فجأة اندفع الرجال شبابا وشيوخا خارج الجامع باتجاه احذيتهم، انتهت صلاة العصر، نظرات حيرى وحتى فضولية تحاصرني،، تطلع إلينا شيخ شفوق حدثني بلغة تركية لم افهمها.. هبّ رجل لمساعدتنا طلبت منه مساعدتنا لمقابلة شيخ الجامع لإجراء حديث معه، رجل

يجلس على الأرض المفروشة، أعلمنا ليس لديه وقت.. بعد محاورة قصيرة استطعنا ان نكسر جبل الجليد،، أثناء جلسة شرب الشاي حدثنا الإمام عن تعاليم الإسلام السمحة وعوالمها المفتوحة وعناصر الإسلام الأساسية.

يقع هذا الجامع في وسط برلين الغربية بناه المهاجرون منذ اكثر من ٢٢ عاما بدون أي مساعدة مالية من الدولة الألمانية معتمدين على التبرعات والمساعدات الذاتية، بالإضافة الى حرم المسجد الذي يتسع لأكثر من ٥٠٠ مصل هناك مُصَلًّى أصغر للنساء، وقاعة صغيرة لشرب الشاي.

أكد شيخ الجامع أن ليس هناك مؤسسات خاصة للشباب المسلم ومن يدخل الجامع يستطيع أن يتفهم المجتمع الألماني أكثر من المتسكعين في الشوارع، وهو يأمل أن يوافق على طلبه المقدم الى السلطات الألمانية لمدينة برلين بالدعم المالي لهذا الجامع.

أماكن لقاءات الشباب المسلم في برلين تنظم من قبل هؤلاء الشباب أو من قبل مؤسسة تأهيل العمال الأجانب.

يقول الشاب المتدرب: نحن متسامحون!! هنا يحتد النقاش بينهم حول سماحة الإسلام وقيمه، من الطبيعي أن الإيمان طوعي «لا اكراه في الدين» ولكن يجب أن لا ننسى أعمدة الدين الإسلامي الشهادة - الصلاة - الصوم - الزكاة - الحج ونحن هنا نطبق الإسلام قدر المستطاع، هناك أمثلة عديدة.

إن العامل المسلم الشاب المتدرب أثناء عمله في المصنع وأثناء وقت العمل الممتد لطول النهار ممنوع أن يوقف عمله لأداء فريضة الصلاة. أغلب الشباب المسلم يأمون الجامع ويطرحون وجهات نظر مختلفة بعيدا عن التصورات المتطرفة، هؤلاء الشباب المسلم ولدوا في المانيا ويرتبطون بمنشئهم الإسلامي ارتباطا وثيقا «لا يستطيع أحد أن يغفر الذنوب غير الله».

في زيارتنا لملتقى الشباب المسلم فوجئنا بما يعلقه الشباب من حلي ذهبية وفضية في رقابهم تمثل السيوف وهو التعبير لمجموعة شباب مسلم يمثلون المعارضة الشعبية.

الشباب المسلم يؤكدون رغبتهم في إظهار دينهم وتقاليده السمحة الى العلن، إن الأباء يخشون الإعلان عن دينهم وممارسة شعائرهم الدينية، والشباب يريد الجهر بأعراف وتقاليد ديننا الحنيف، هؤلاء الشباب أصحاب المعارضة الشعبية يقولون: الأصوليون يقيمون المظهر الخارجي للإنسان، لذا نواجه دوما بأحكام مسبقة تعتمد اساسا على مظهرنا الخارجي. نحن نعيش في هذا المجتمع الألماني ندرس في الثانويات والمعاهد والجامعات ونعمل في المعامل والمصانع ونقيم علاقات صداقة إنسانية مبنية على احترام كل ما يحمله الإنسان من مبادىء وقيم وأعراف دينية وحوارنا مستمر دون انقطاع مع الطلبة والشعب الألماني حول مبادىء وقيم ديننا الإسلامي والأمثلة كثيرة على دخول الألمان الدين الإسلامي، ليس لنا أي إشكالية مع الألمان. يرى هؤلاء الشباب أن ليس هناك تناقض يصل الى حد القطيعة بين قيم تقاليدنا الإسلامية والحضارة الأوربية.

أول جامع في برلين :

برغم حاجة الجامع الواقع في برلين - فلهمزدورف - الى الصيانة والتجديد تبقى جمالية البناء المذهلة والأخاذة للنظر، ترتفع منائره عالية ٣٢ مترا تشق كلحة غيوم برلين تضيء كل بناء الجامع، تعلوه

قبة خضراء يبرق هلالها الذهبي. أقيم هذا البناء عام ١٩٢٨، أقيم بطلب من الحركة الاحمدية في باكستان ويعتبر أحد المراكز الإسلامية الأولى في برلين. يربو عدد الجوامع على ٤٠ جامعا في برلين ولكن اكبر الجوامع وأجملها معماريا يعتبر جامع الجماعة الاحمدية في برلين ويعتبر أيضا صورة طبق الأصل لنصب تاج محل الشهير.

إمام الجامع السيد سعيد احمد خاودري يقيم بإحدى البنايات يبلغ من العمر ٦٨ عاما كان يعمل طيارا في الخطوط الجوية الباكستانية، أعلن «إن أسس الإسلام تعتمد أولا وقبل كل شيء على التسامح والصدق والعدالة بين كل الناس».

وهذا الجامع يعتبر أحد المراكز الاجتماعية للمسلمين من مختلف الأمم في برلين. يستقبل الجامع على الدوام مجامع من طلاب المدارس الألمانية للاطلاع والتعرف على الدين الإسلامي.

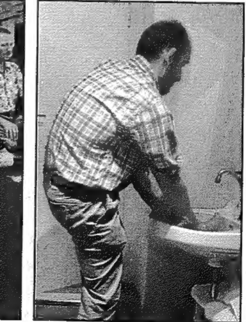
يقول إمام الجامع «أركز على شرح ضرورة التسامح بين الأديان السماوية وبين الأمم والأقوام أطالبهم أن يكونوا غير منحازين أن يكونوا مواطنين أحراراً وأؤكد لهم على مضار التدخين والكحول.. أطالبهم بالابتعاد عن شرور المخدرات.

قلق إمام الجامع الدائم هو كيف الحفاظ على بناية الجامع وتجديدها؟؟.

تعرض هذا الجامع في الحرب العالمية الثانية الى قصف بالقنابل بعد أن حوله الجنود الألمان الى ثكنة عسكرية ومنائره مواقع رصد للطيران وسبب هذا القصف أضرارا كبيرة أزيلت بعض هذه الأضرار في السبعينيات وان المنائر مازال الزمن يغرس أنيابه فيها، شكلت هيئة اجتماعية لصيانة هذا الجامع واعتباره رمزا لتعدد الثقافات والتفاهم الديني والحضاري.

التقاطع مع الإسلام في أوربا:

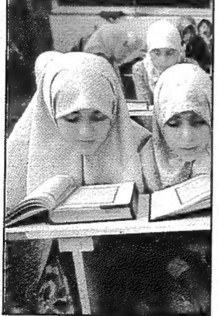
حينما يتحدث الأوربيون عن الإسلام يعنون في الغالب التطرف ويشمل كل مسلم يتعلم القرآن ويلتزم



الوضوء قبل الصلاة



طارق غاغير برفقة والده بمسجد ميونغ



تعليم القرآن للفتيات





المعلمة ايمان الزايد وطالباتها المحتجات على طردها من العمل امام وزارة الثقافة في هانوفر

بشرائع الإسلام التى تحدد مسيرة حياته اليومية، ويصور الإسلام على انه دين العنف والعداء كما إن تعاليمه تدعو للسيطرة على العالم كما يظهرها الإعلام الغربي - يدفع كثير من الناس للإيمان بها - ويكتب الإعلام أيضا أنصاف الحقائق واللوازم الكاذبة لتأكيد مثل هذه الصور المشوهة.. وعلى النقيض من هذه الفكرة الظالمة عن الاسلام والمسلمين يقول أحد الالمان منتصراً للحقيقة: «قواعد الإسلام بالمقارنة مع الأديان التوحيدية اكثر تسامحا وعدلا، يحتفظ اليهود والمسيحيون بدياناتهم في المناطق التي سيطر عليها الإسلام ومارسوا طقوسهم الدينية بحرية كاملة لمئات السنين، كما تعيش الكنيسة القبطية في مصر منذ آلاف السنين، كذلك ازدهار الحضارة العربية في الأندلس. إن العرب لم تكن لهم إشكالية مع اليهود إلا بعد أن صدَّرت أوربا اشكالياتها مع اليهود الى الشرق الأوسط.

كيف يفكر ما يسمى خبراء الإسلام في الغرب؟

بعد افتتاح اكبر الجوامع في وسط مدينة مانهايم - وليس في الفناءات الخلفية أو في زواياها المظلمة أو الأطراف - يعد جهد من المسلمين هذا يدعونا للتكيف في مجتمع متعدد الديانات ويتطلب منا هذا الوعي للتكيف:

* نحن غير المسلمين يجب علينا معرفة الدين الإسلامي بمختلف تياراته دون أن نسيء لوحدة الإسلام، وان نعرف طبيعة التعامل وصياغات التفكير الإسلامي. الإسلام هو من الأديان الحية القادر على تطوير نفسه ليتلاءم العصر معه.

* بعض المفكرين المعاصرين يحاولون إعادة قراءة التاريخ الإسلامي من منابعه الأصلية واعادت بناء أفكار فقهاء الإسلام الأوائل، كل ذلك من اجل بناء توجه إسلامي وتطبيقات فقهية وشرعية نابعة من رحم الإسلام على واقعنا المعاصر.

* يجب مواجهة ما يعرف في الغرب عن الشكل العدائي للمسلمين المتجذرة في تاريخ الثقافة الأوربية.

كيف يتم محو صورة العداء للإسلام في الغرب؟

١ ـ يجب وقبل كل شيء إظهار شكل واضح ودقيق من التفكير الإسلامي بذلك نقدم دعما داخليا لتغير نمط تفكير إعلامنا الثقافي، وتقديم إيضاحات مبسطة وإعادة صياغة اللوازم والقوالب الإسلامية التى وظفت للرد سابقا. حينما نريد دحض الصور العدائية للإسلام يجب أن نخلق صوراً حساسة جدا لمحتوى الدين.

٢ ـ أن نوضح أن صورة العداء للإسلام هي ماء يصب في طاحونة العداء والكراهية للأجانب.

٣ ـ أن نقدم توضيحا إن الإرهاب لا يمت للإسلام بصلة وانما هو ناتج عن العوز الاقتصادي والاجتماعي للناس.

٤ ـ يجب أن لا نخشى من دخول حوارات سياسية ودينية بين المثقفين المسلمين والمتطرفين منهم «كما في مصر والجزائر» وَالحوارات تستند على موقف حرص على الإسلام وليس تكفيرياً.. مواقف ترفض بشدة تيارات التطرف، مواقف تنقض كل طروحاتهم الداعية الى انهم الطرف الوحيد الذي يمثل حقيقة الإسلام وانهم القيم على أعراف وقيم الدين الإسلامي.

منظمات اسلامية تحت رقابة الدستور الألماني:

المنظمات الاسلامية أوضحت انضواها تحت القانون الالماني، وربطت ذلك بممارسة غير محددة لشعائرها الدينية، وحق الدين الإسلامي بالحفاظ على عوامل ثقافته وهويته التى نص عليها القرآن والشرائع.

تحاول المنظمات الإسلامية تقديم عروض متعددة شاملة خلال مناشط الحياة ومفاصلها دينية وثقافية واجتماعية للقاطنين في ألمانيا لربط المسلمين والتأثير عليهم حسيا، أهم العوامل التى أدت الى مثل هذه المناشط هو العامل النفسي والخوف من التأثير السلبي لبعض ظواهر المجتمع الألماني الغربي التى تودي دوما الى تحطيم قيم بعض التقاليد وتفضي الى الإخلال بقيم المعتقد.

الأغلبية المسلمة من المواطنين يقيمون شعائرهم الدينية ضمن أطر القوانين المرعية في المانيا.

يقدر عدد المنظمات الاسلامية الموضوعة تحت رقابة الدستور (مراقبة نشاطها فقط) ١٧ منظمة ويبلغ عدد أعضاء هذه المنظمات مجتمعة ٣١،٠٠٠ عضو من أهمها:

١ الجمعية التركية الإسلامية IGMG يبلغ عدد الأعضاء ٢٦،٥٠٠، وملكيتها الخاصة تقدر ٦٠ ـ ٨٠

مليون مارك ألماني ولها فروع في الكثير من البلدان الاوربية، وتصدر صحيفة لها تحتوى على بعض الصفحات باللغة الالمانية.

٢ ـ دولة الخلفاء المعروفة أيضا برابطة الاتحادات الإسلامية ICCB في مدينة كولون يبلغ عدد الأعضاء ١٣٠٠. تأسست عام ١٩٨٤ من قبل أحد المسلمين الأتراك الذي يحمل الجنسية الألمانية السيد كمال الدين اقبلان وبعد وفاته عام ١٩٩٥ يقود هذه المنظمة ولده السيد ميتين اقبلان، من اهدافها الاطاحة بالحكومة التركية واقامة نظام حكم اسلامي، يوجه اعلامه بواسطة قناة فضائية. عزلت هذه المنظمة بسبب نشاطها العنيف والإرهابي. في عام ١٩٨٩ انشق تنظم آخر عن تنظيم دولة الخليفة باسم الحركة الإسلامية يسعى الى إقامة دولة تركية إسلامية على النمط الإيراني، وفي الحقيقة ما هو الا صراع زعامة.

المجموعات العربية:

تأثير المجموعات العربية الاسلامية على بنية المجتمع الالماني قليلة ومحصورة جدا لاهتمام هذه المجموعات بالمشاكل القائمة في اوطانهم ومحاولة ايجاد الحلول لها من خلال وجهة نظرهم الاسلامية.

٣ ـ الأخوان المسلمون MB عدد الأعضاء ١٠٠٠ من التنظيمات التى تتبع نهج السنة أسسها عام ١٩٢٨ السيد حسن البنا ويتبع منهجها كل من حركة حماس وجبهة الإنقاذ تأسس لها فرع في ألمانيا عام ١٩٦٠ ومقرها الرئيسي في مدينة هانوفر، مالية هذا التنظيم من التبرعات واشتراكات الاعضاء.

٤ ـ جبهة الإنقاذ الإسلامي FIS عدد الأعضاء ٣٠٠ عضوا.

٥ ـ حزب الله عدد الأعضاء ٧٠٠ عضوا نشاطهم في ألمانية اعلامي بحت.

٦ ـ حزب الدعوة تأسس في العراق عام ١٩٦٩ من ضمن مطالبه إسقاط حكم صدام حسين واقامة الحكم الاسلامي في العراق يبلغ عدد الأعضاء حوالي ٨٠ عضوا ينشطون في الاعلام والدعاية.

المجموعات الإيرانية:

اتحاد التنظيمات الطلابية الاسلامية يجمعهم قسم الدفاع عن المعتقدات الاسلامية والثورة الاسلامية حتى الموت.

العدد المتبقي يتوزع بين منظمات صغيرة تركية وعربية وايرانية.

من بين عدد المسلمين القاطنين في ألمانيا البالغ ثلاثة ملايين حسب احصائيات معهد هامبورغ ينتمي ١٥ر١٪ الى المنظمات الإسلامية.

في بداية عام ١٩٩٨ ولاول مرة تقضي محكمة ألمانية وتصدر حكما قضائيا لإحدى الجمعيات الإسلامية بالحق الشرعي بتدريس الدين الإسلامي في المدارس الرسمية في برلين بهذا ألغت المحكمة قرار محكمة برلين السابق لسنة ١٩٩٧م الذي بموجبه منع تدريس الدين الإسلامي من قبل إدارة برلين. كذلك رفع حظر التدريس عن المعلمة المسلمة «ايمان الزايد» التى أوقفت عن التدريس بقرار من وزارة الثقافة في هانوفر بسبب تحجبها.

المسلمون الألمان :

جملة قصيرة جدا منغمة باللغة العربية غيرت حياتها جذريا «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمدا رسول الله» بهذه الشهادة انتقلت الفتاة الألمانية (استرد فرانسكا) الى الإسلام سريا، كان عمرها انذاك ٢٧ عاما، خرجت من فندقها السياحي في



الفتاة (استرد) المسلمة الالمانية ترافق نساء عربيات مسلمات الى متحف الصور الزيتية

ماليزيا وخطوتها الأولى باتجاه المركز الإسلامي، دون علم أهلها اعتنقت الدين الإسلامي، تحولت الفتاة المسيحية الكاثوليكية في مقاطعة بايرن (استرد فرانسكا) الى الشابة المسلمة (استرد عائدة فرانسكا) قبل عشر سنوات اتخذت قرارها وحيدة قرأت خلالها عن الاسلام ودرست الاسلام تقرأ القرآن ساعات طويلة تقول «بطريقة شيقة جذابة بسيطة يوجه القرآن كل مسلم، ومن اكثر الأشياء طبيعية في العالم أن الله واحد، لم أجد مدخلا الى التصور المسيحي الذي يؤمن بالثالوث الأب والابن والروح المقدسة وهذا اكثر ما دفعني لدخول الإسلام».

أن تقر الشهادة وتعتنق الإسلام كان سهلا للفتاة استرد ولكنها ليست نهاية المطاف، ان القادم هو الاصعب. تريد الفتاة استرد مصممة الكرافيك العاملة في اكبر شركات الإعلان في ميونخ أن تدخل مقر عملها بغطاء الرأس - الحجاب - ولكن كيف توضح لهم دخولها الاسلام، يجب ان تعترف المؤسسة ان موظفة ترتدي غطاء الرأس الحجاب وليس عاملة تنظيف.. هنأها المدير، وأحد زملائها اعتقد أنها بوذية. لماذا الإسلام هذا الدين الذي زرع الرعب عند الكثير من الناس في الفترة الأخيرة؟؟ استرد تلتزم بتعاليم الدين الواضحة كما يرى كل مؤمن بالله.

تقول استرد بعد اسلامها: من الإسلام عرفت عن المسيح اكثر مما كنت اعرف عنه، المسلمون يعترفون



المحجبة المبدعة (استرد) مصممة الدعاية تتحدث مع زملائها لتصميم زجاجة الحليب في ورشات الدعاية

بالمسيح كنبي مرسل وليس ابنا لله ولم اكن أتصور هذا في طفولتي.

في تعاليم النظام الإسلامي وجدت الفتاة استرد البوصلة التى افتقدتها منذ زمن بعيد، كما إنها تمعن النظر في القواعد والنظم الإسلامية التى تخص المرأة وتطبق باسم الدين. تقوم استرد بعملها على أحسن وجه، وحسنها الذي أغناها الله به يبهج عملاءها في الشركة، بعينين واقدتين زرقاوين تحدق بشاشة الكمبيوتر بصوت هادىء دافىء بلهجة المانية جنوبية لزبون ما تصف الالوان الزاهية لطباعة الاعلان الذي طلبه، تسكن روحها في لغتين لغة الصلاة خمس مرات في اليوم تهمهم في اللغة العربية وتصيغ طلبات العمل والمراسلات بلغة المانية مهذبة، تهيم في عالمين بين العمل والتسوق وعالم الصلاة وقراءة القرآن، ترغب ان تقيم الصلاة في أوقاتها تذهب الى القبو وتصلي في أرشيف الدائرة الذي يزدحم بالملفات لتسجد لله.

ترويض الروح :

تنهض كل صباح مبكرة مع زقزقة الطيور تقيم صلاة الفجر وتنعم بنهوض الطبيعة من الشروق حتى الغروب.. كيف استطاعت ان توافق بين يومها الروحي والعمل؟؟ تنظم حملات لمساعدة المسلمين في الشيشان وأفغانستان وبدون هذه المساعدات تبقى تحت تأنيب الضمير. استرد تعتبر من انجح المسلمات في عملها.

ليس هناك احصائيات دقيقة عن عدد المسلمين الألمان ولكن يقدر بعشرة آلاف مسلم ويزداد عدد النساء المسلمات يوما بعد يوم.

أخصائي في علم النفس مسلم ألماني يتنهد بحسرة بالغة على الصورة السيئة للإسلام التي يعرضها الاعلام في التلفزيون الألماني ويتساءل لماذا تحجز الاخت المسلمة في افغانستان بهذا الشكل؟ لماذا توضع في كيس بطاطس «تباع البطاطس في ألمانيا معبأة بأكياس مثل غطاء الوجه للمرأة الأفغانية.

كتب الشاعر الألماني غوته عام ١٨١٩م في كتابه «الديوان الغرب شرقي» القرآن كتاب علينا التوجه إليه، هذا ما عايشه الطالب هاري بير مع عائلة اندونوسية حين كان ضمن بعثة تبادل طلابية يراقب رب العائلة المضيفة له كل مساء وهو غارق في قراءة كتاب ويضعه بحرص في خزانة، أوضح الشاب هاري رغبته في قراءة هذا الكتاب قال رب العائلة أن نغتسل حتى يقبل المؤمن نقيا مطهرا لقراءة كلام الله، في إحدى الليالي قرأ الطالب هاري القرآن باللغة الانكليزية صرخت دواخله حينها «هذا هو» وكان ذلك معرفة الحقيقة.. وتزوج ورزقه الله ويعيش في مدينة اتسسار، انتدبته وزارة الثقافة الى جامعة باروث ليضع خطة تدريس وتعليم الإسلام في مقاطعة بايرن، يزور الجامع كل جمعة يفهم بعض اللغة التركية ويعتمد على الترجمة، زوجته الاندنوسية ولدت مسلمة.. مئات السنين من العادات والتقاليد الإسلامية صلدت قناعاتها الإيمانية، كيف تعيش مع مسلم جديد يواجه يوميا بإشكاليات العبادة داخل مجتمعه المسيحي؟ انه جهد مضاعف، لا تضع غطاء الرأس إلا في حالة ذهابها الى الجامع أو لقاء مع بعض العوائل، زوجها يؤكد ذلك، الإسلام في الروح والقلب وليس في المظهر الخارجي، بعض الأحيان يشعر بصعوبة التوفيق بين المسلم المثالي والحياة اليومية الألمانية، إني احمل القيم الإسلامية ولا يحق لي أن أخفيها ومن واجبي المجاهرة بها بعقلانية ومن يمارس الدين بعصبية يتعصب هو ويتحول الى حجر، كلما تعمق الايمان يتفتح الفهم لإدراك اكثر التعاليم الاسلامية والإيمان.

المسلمون الألمان سيعيشون الغربة مزدوجة، الخروج عن نسيج العادات والتقاليد الإسلامية ويخافون، لكنهم رغم ذلك يمدون الجسور في مقاطعة بايرن.

استرد المصممة ليس فقط مصممة فهي عضو في جمعية المسلمين الألمان وجمعية المزارعين الألمان لمنطقة بايرن، تقوم مع العوائل الأخرى في زيارة المتاحف لمشاهدة مشاهير الأعمال الفنية، اعتناقي الإسلام لا يعني أن أتحول الى عربية ولدت في بايرن أبقى بايرنية. وهناك أمر مهم: الولاء للإسلام يتطلب هنا جهودا مضاعفة حيث يتفحص المسلمون كل الخضر والفواكه واللحوم، أين منشأها، اللحوم المحرمة، ولا يقدمون على شراء بضاعة مصدرها اسرائيل.

يقضي الشباب الألمان كثيراً من الوقت لتعلم اللغة العربية لقراءة القرآن، يتابعون النص برؤوس أصابعهم يتوقفون عند النقاط ويتهجون الحروف والكلمات التي تعرفوا عليها قبل شهر واحد.

المراجع :

* اهداف التطرف الإسلامي في جمهورية المانيا .. تقرير صادر عن لجنة حماية الدستور، كولون ١٩٩٩.
* مجلة فوكس الألمانية الأسبوعية عدد ٤٦ عام ٢٠٠١م.
* صحيفة المانيا الجديدة عدد ٢٩ عام ١٩٩٦م.

الاسلام دين التسامح

لم يشهد التاريخ ديناً متسامحا ويدعو الى التسامح مثل ديننا الإسلامي العظيم في كل مناحي الحياة ومسالكها فهو الدين الحق الذي أنار للبشرية طريقها وأرشدها الى الصراط القويم الذى لا عوج فيه، وفي الوقت الذى تتعالى فيه أبواق أعداء الإسلام بكذبها وزعمها أن الإسلام يدعو الى سفك الدماء والشدة، وليس ذلك فحسب بل بلغت الوقاحة بهم أن الصقوا (الإرهاب) بالإسلام ـ وهو منه بريء ـ لحاجة في نفوسهم المريضة، وهذه شنشنة ليست بمستغربة على أعدائنا الذين ما فتئوا يثيرون الشبهات حول هذا الدين العظيم .. إلا أن الإسلام ـ بشواهد السيرة النبوية العظيمة، والتاريخ الإسلامي المجيد ـ يدحض كل تلك الافتراءات وينقضها ويرد عليها ..

فتعال معي عزيزي القارىء الى سير الأفذاذ في التسامح :

القدوة في التسامح والعفو :

قال الله تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً}[١].

لقد كان ولا يزال الرسول {صلى الله عليه وسلم} هو قدوتنا الذي نقتفي أثره ونسير على هديه في شؤون حياتنا فإلى جانب خصاله وشمائله النبوية السامية من شجاعة، وكرم، ورحمه، وتقوى، وزهد، وعبادة، وحلم، وحياء، وتواضع، وغيرها من الصفات والخصال هناك صفة مهمة من صفاته وخصله كريمة ألا وهي «العفو والتسامح».

ونقتطف بعضاً من سيرته في التسامح والعفو :

لقد تعرض النبي {صلى الله عليه وسلم} للأذى والاضطهاد من مشركي مكة ولقي ما لقيه منهم.. فقد أهالوا على رأسه الشريف التراب وهو ساجد لربه في الكعبة، وألقوا عليه النجس وهو في البيت الحرام يدعو ربه أن يهدي قومه للإيمان، وقاطعوه وسخروا منه، واتهموه بالجنون والسحر والكذب وغيرها من التهم الباطلة، بل تآمروا على قتله وآذوا أتباعه من المؤمنين المستضعفين، بل إنهم مثلوا بشهداء المسلمين يوم أُحُد أشنع تمثيل.. فيقول له

بقلم : **عبدالله بن ناصر الحديب**

– السعودية –

بعض أصحابه: يا رسول الله ادعُ على المشركين؟ فيقول لهم: إني لم ابعث لعاناً وإنما بعثت رحمة، وقد لقي النبي {صلى الله عليه وسلم} من أهل الطائف حينما ذهب يدعوهم الى الإسلام السخرية والازدراء بل وصلت بهم الجراءة والوقاحة أن هيجوا عليه الصبية والسوقة فلاحقوه بالصياح والسباب وقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدمه، ثم جاء يوم الفتح المبين ودخل النبي {صلى الله عليه وسلم} مكة فاتحاً فهل عاملهم النبي عليه السلام بالمثل؟!

لقد أبت عليه نفسه المؤمنة أن يهبط لمستوى أفعالهم لقد سمت به نفسه الواثقة بنصر الله له وتأييده أن لا يكون نداً لهم في تصرفاتهم.. لقد عاملهم النبي الكريم المتسامح من منطلق قوله تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله)[٢].. ولم يكتف النبي عليه السلام بالمسامحة والعفو بل إنه زاد على ذلك بأن وزّع على كبارهم من غنائم هوازن ما يؤلف به قلوبهم، وعفا عن قائد المشركين في غزوة أحد.. عفا عن أبى سفيان الذي كان لا يفتأ يهيج المشركين ضد النبي {صلى الله عليه وسلم} الذى قال فيه: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن»، فالنبي {صلى الله عليه وسلم} سامح أبي سفيان وعفا عنه بل أضفى عليه منزلة عظيمة - لأن النبي يدرك أن أبا سفيان رجل يحب الفخر - بقوله: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن»، وذلك أثناء فتح مكة.

ومن روعة تسامح النبي وعفوه أنه لم يثأر لمن أبكاه في عمه حمزة بن عبد المطلب بل صفح عن قاتله «وحشي» وجلس يتحدث إليه، ثم ماذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام بأهل الطائف وهم الذين قذفوه بالحجارة وأدموا قدمه؟؟! لقد عفا النبي عنهم حينما قدمت وفودهم عليه في المدينة المنورة تعلن إسلامها وولاءها له، وليس ذلك فحسب بل أجاب وفد هوازن لطلبهم حيث ردّ السبايا لهم.

ولا ننسى موقف النبي {صلى الله عليه وسلم} من الصحابي حاطب بن أبي بلتعه عندما أرسل الى قريش يخبرهم بتوجه النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه لمحاربتهم، وموقفه من الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ثم موقفه مع ذلك الأعرابي الذي جذب رداءه بشدة حتى أثرت في عاتقه عليه الصلاة والسلام، فنظر إليه مبتسماً ولم يعنفه.

وهذا عبد الله بن أبيّ زعيم المنافقين - وقد ثارت حفيظته على النبي وأصحابه بعد أن خرج معهم في غزوة بني المصطلق ابتغاء الغنيمة - يقول لمن حضر من قومه: «هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو

أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا الى غير دياركم» ونقل قوله هذا ناقل الى النبي بعد فراغه من عدوه، وكان عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهاج عمر لما سمع وقال: مُر به بلالا فليقتله، لكن النبي {صلى الله عليه وسلم} تريث في الأمر وقال: «كيف يا عمر إذا تحدث الناس وقالوا إن محمداً يقتل أصحابه» وسار النبي بصحابه الى المدينة وأثناء ذلك نزلت سورة المنافقين وفيها قوله: **{هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}**[٣].

هنالك فهم الناس أن محمداً {صلى الله عليه وسلم} لابد أمر بقتل ابن أُبيّ فذهب عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ وكان مسلما حق الإسلام وقال يا رسول الله إنه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا احمل إليك رأسه فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني وإني لأخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تتركني نفسي انظر الى قاتل أبي يمشي في الناس فاقتله فاقتل رجلا مؤمناً بكافر فأدخل النار.

وقد أدرك النبي {صلى الله عليه وسلم} حالته النفسية تضطرب فيها عوامل البر بالأب وصدق الإيمان، والمحافظة على طمأنينة المسلمين حتى لا يتعاقب الأخذ بالثأر بينهم، فلما سمع النبي قوله أجابه «إنَّا لا نقتله بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا».

فما أروع هذا العفو وما أجل ذلك الصفح.. النبي يترفق بهذا الذى يحرّض أهل المدينة ويؤلبهم عليه وعلى أصحابه، فيكون إحسانه ابعد أثراً من عقوبته لو أنه أوقعها عليه فقد كان ابن أبي بعد ذلك إذا فعل ما يسيء نهره قومه وعنفوه ويذكرونه بأن حياته بعض من هبات محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ له، وفي هذا يقول النبي {صلى الله عليه وسلم} لعمر رضي الله عنه حين جرى الحديث بينهم في هذا الشأن: أما والله لو قتلته يوم قلت اقتله لأرعدت آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته» فيقول عمر: «قد والله علمتُ لأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أعظم بركه من أمري».

ويتجلى مبدأ التسامح فيما ترتب على قصة الافك لما تخلفت عائشة زوج النبي {صلى الله عليه وسلم} عن الركب، لانشغالها بالبحث عن عقدها الذي سقط من عنقها، وبينما هي كذلك إذ مر بها صفوان بن المعطل، وكان قد تخلف عن المعسكر لبعض شأنه فلمّا أبصرها قرّب إليها البعير وتأخر عنه، وقال اركبي فركبت وانطلق بها البعير حتى دخل بها المدينة في ضوء النهار وعلى مرأى من الناس، جرى كل هذا والنبي لم يفكر فيه ولم يساوره شك في عائشة.. وعندما بدأ الناس يتهامسون عن تأخر عائشة عن الركب ومجيئها مع صفوان؟؟ وكان من بين الذين لاكت ألسنتهم هذه المقالة مسطح بن أثاثة وكان قريباً لأبي بكر والد عائشة، ونشأ عنده

في بيته فقيراً محتاجاً لمعونته والانتفاع من ماله.. فهذه القرابة وتلك الحسنات كانت تقضي على مسطح أن يدافع عن عائشة أو أن يسكت على الأقل عن مقالة السوء التي تجرح عرضه وعرض أبي بكر رضي الله عنه.. هذه العوامل حملت أبا بكر على أن يخرجه من داره ويحلف ألا ينفق عليه وكان حسان بن ثابت من الذين تحدثوا في ذلك أيضا، فلما نزل الوحي ببراءة عائشة ونزلت آية حد القذف، أقيم الحدّ على كل من مسطح وحسان وكل من تكلم في هذا الأمر، وعادت عائشة الى مكانها الأول من بيت الرسول وقلبه.

ولما نزل قوله تعالى: **{ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعه أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم}**[٤].

بعث النبي {صلى الله عليه وسلم} الى أبي بكر رضي الله عنه يخبره بأنه قد نزل في هذا الشأن قرآن وأن الله ينهاه أن يطرد مسطحاً ويمنع عنه معونته، فلمّا ذهب الى الرسول {صلى الله عليه وسلم} قرأ عليه الآية حتى إذا وصل الى قول الله تعالى: **{ألا تحبون أن يغفر الله لكم}** قال: بلى يارب إني أحب أن تغفر لي، وتجاوزتُ عما كان، فذهب أبو بكر الى بيته وأرسل الى مسطح وقال: قبلت ما أنزل الله، وقد فعلت ما فعلت إذ سخط الله عليك، أما إذ عفا عنك فمرحبا، ويجري أبو بكر عليه ضعفي ما كان يعطيه من قبل، كما استطاع حسان بن ثابت بعد إقامة الحد أن يعود الى رضا الرسول {صلى الله عليه وسلم}.

فما أعظم ذلك التشريع الذى وصل الى أعلى القمم في الحث على الصفح والتسامح ومكارم الأخلاق فهذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يصفح عن حسان بن ثابت بعد ما كان منه بالنسبة لزوجته ويرجعه الى منزلته الأولى، وهذا أبو بكر وله من المنزلة عند العرب ما نعلم يطعن في عرضه من أقرب الناس إليه، ومن أشدهم حاجه الى نفقته واحسانه ينهي عن عدم الإنفاق عن ذلك الرجل الذي قدّم هذه الإساءة التي كادت تقضي على علاقة المصاهرة مع أشرف الخلق محمد {صلى الله عليه وسلم} ويؤمر أيضا بالصفح والعفو عن ذلك المسيء.

ومثل ما كان النبي {صلى الله عليه وسلم} قدوة ومثالا في تسامحه مع من آذاه كان كذلك في تسامحه الديني، فعندما هاجر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الى المدينة وفيها من اليهود عدَد كبير، كان من أول ما عمله من شؤون الدولة أن أقام بينه وبينهم ميثاقا تحترم فيه عقائدهم وتلتزم فيه الدولة بدفع الأذى، ويكونوا مع المسلمين يداً واحده على من يقصد المدينة بسوء فطبّق بذلك رسول الله مبادىء التسامح الديني في البذور الأولى للحضارة الإسلامية.

ورغم أن البعض لم يعتنق الإسلام فإن الرسول الكريم عندما استقر في المدينة كان يتعاهد جيرانه من أهل الكتاب ببره يهديهم الهدايا ويتقبل منهم هداياهم، حتى أن امرأة يهودية دسّت له السُم في

ذراع شاة أهدتها إليه لما كان من عادته أن يتقبل هديتها ويحسن جوارها، ولّما جاء وفد نصارى الحبشة أنزلهم رسول الله في المسجد وقام بنفسه على ضيافتهم وخدمتهم، وكان مما قاله يومئذ إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين[٥] فأحب أن أكرمهم بنفسي.

وجاء مرة وفد نصارى نجران فأنزلهم في المسجد وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه، فكانوا يصلون في جانب منه، ورسول الله والمسلمون يصلون في جانب آخر، ولما أرادوا أن يناقشوا الرسول في الدفاع عن دينهم استمع اليهم وجادلهم، كل ذلك برفق وأدب وسماحة خلق استجابة لقوله تعالى: {ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة}[٦] الآية.

الفاروق المتسامح :

وعلى هدى الرسول {صلى الله عليه وسلم} في تسامحه الديني ذي النزعة الإنسانية الرفيعة سار خلفاؤه من بعده، فإذا بنا نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين يدخل بيت المقدس فاتحاً يجيب سكانها المسيحيين الى ما اشترطوه وأعطاهم الأمان على أنفسهم ودمائهم وأموالهم وكنائسهم، وحينما دخل وقت صلاة العصر، وهو في داخل كنيسة القدس الكبرى فأبى أن يصلي فيها كيلا يتخذها المسلمون من بعد ذريعة للمطالبة بها واتخاذها مسجداً، وذلك كله رغم ما عرف عن عمر رضي الله عنه من شدة وقوة في الحق، فلم يكن يخشى في الله لومة لائم.

ويكفي أن نذكر أن عمر بن الخطاب هو الذي أعاد اليهود أول مرة الى القدس بعد أن حرّم الرومان عليهم سكنى المدينة[٧].

ونجده وقد شكت إليه امرأة مسيحية من سكان مصر أن عمرو بن العاص قد ادخل دارها في المسجد كرهاً عنها، فيسأل الفاروق ابن العاص عن ذلك فيخبره أن المسلمين كثروا واصبح المسجد يضيق بهم، وفي جواره دار هذه المرأة وقد عرض عليها عمرو بن العاص، وثمّن دارها وبالغ في الثمن فلم ترض، مما اضطر عمرو إلى هدم دارها وإدخاله في المسجد ووضع قيمة الدار في بيت المال تأخذه متى شاءت ومع أن هذا العمل يعذر فيه عمرو بن العاص إلا أن الفاروق لم يرّض ذلك، فأمر ابن العاص أن يهدم البناء الجديد من المسجد ويعيد الى المرأة المسيحية دارها كما كانت.

رعايا الدولة :

عندما تم للمسلمين فتح أرجاء العالم في ذلك الوقت لم يكونوا يُكْرِهُون أهلها على اعتناق الدين الإسلامي استجابة لقوله تعالى: (لا إكراه في الدين)[٨] آية، بل كانوا يوضحون لهم الطريق ثم يتركونهم وشأنهم، لذلك عاش في الديار الإسلامية عدد من أهل الذمة الذين كانوا يعدون عنصرا من عناصر المجتمع الإسلامي، وكان الإسلام قد فرض عليهم مبلغاً ضئيلا من المال يُعرف بالجزية مقابل ما

تقدمه لهم الدولة من حماية ضد الأعداء ومقابل استفادتهم واستخدامهم لمرافق الدولة الإسلامية المختلفة، ونلاحظ أن أهل الذمة كانوا يعاملون مثل المسلمين لأنهم من رعـــايا الدولة، ولأن الدين الإسلامي جاء بالعدل والمساواة بين الجميع دون التحيز لفئة دون أخرى.

ومن صور العدالة والتسامح أيضاً أن اليهود الذين طردوا من القدس وحُرّم عليهم دخولها على يدّ روما المسيحية، لم يسمح لهم بالعودة الى زيارتها وسُكناها إلا في ظل الخلافة العربية الإسلامية، بعد أن حرموا من ذلك عدّة قرون[٩].

كذلك كان قد برز من أهل الذمة من اشتهر في بعض العلوم كالطب والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم إضافة الى أن بعضهم قد برز في العلوم النظرية كالأدب والنحو والشعر وكان من ابرز الشعراء في عهد الدولة الأموية الاخطل وهو الشاعر النصراني الذي كان يُعدّ أحد زوايا مثلث فن النقائض[١٠] إضافة الى الشاعرين الفرزدق وجرير اللذين يكملان ضلعي مثلث النقائض.

ومن صور ومظاهر التسامح الديني أن كانت الوظائف في الدولة الإسلامية تعطي للمستحق الكفء بغض النظر عن عقيدته ومذهبه، وبذلك كان الأطباء المسيحيون في العهدين الأموي والعباسي محل الرعاية لدى الخلفاء وكان لهم الإشراف على مدارس الطب في بغداد ودمشق زمناً طويلا، فكان ابن اثال الطبيب النصراني طبيب معاوية الخاص وكان «سرجون» كاتبه وعيّن مروان «اثناسيوس» مع آخر اسمه إسحاق في بعض مناصب الحكومة في مصر، ثم بلغ مرتبة الرئاسة في دواوين الدولة، ومن أشهر الأطباء الذين كانت لهم الحظوة عند الخلفاء جرجيس بن بختيشوع، وكان مقرباً من الخليفة المنصور واسع الحظوة عنده وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيب المعتصم، وكان بختيشوع بن جبرائيل طبيب المتوكل وصاحب المكانة العظيمة لديه[١١].

اليهود في الأندلس :

عندما أخذت الجيوش الإسلامية تفتح الأندلس (أسبانيا) سنة ٩٢هـ بقيادة طارق بن زياد كان لليهود دور في إرشاد المسلمين الى بلدان أسبانيا حيث جندوا أنفسهم كأدلاء للمسلمين، وتلك الخدمة التى قدمها اليهود للمسلمين لم تكن من اجل سواد أعين الجند الإسلامي، بل لأن اليهود كانوا يقاسون اشدّ التعذيب والإساءة والمهانة على يدّ القوط النصارى في الأندلس ولأن اليهود يعلمون أنهم سوف يلقون المعاملة الحسنة المتسامحة والعادلة من المسلمين ـ وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد ـ لذلك قدّموا تلك الخدمة للمسلمين.

النصارى والقدس :

لا ينسى أحد من المسلمين ما صنعه الصليبيون عندما دخلوا القدس[١٢] في سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، حيث قتل النصارى الحاقدون ما يقرب من ٧٠ ألفا من أهلها رجالا ونساء وشيوخاً

وأطفالا ليكونوا لهم إمارة أو مملكة عُرفت بمملكة المقدس، وبعد إحدى وتسعين سنة من ذلك التاريخ يأتي القائد المسلم الشجاع صلاح الدين الأيوبي ليفتح القدس في يوم عيد المسلمين.. يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م فهل قام صلاح الدين بإعادة ما صنعه النصارى بالمسلمين قبل إحدى وتسعين سنة؟؟! هل قام ذلك القائد المسلم بالانتقام لدماء من قتلهم الصليبيون الحاقدون؟؟! الإجابة بالطبع (لا) ، لقد عامل صلاح الدين الأيوبي سكان القدس من الصليبيين انطلاقاً من قوله تعالى: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}[١٣] الآية، لقد عاملهم معاملة حسنة توضح سماحة الإسلام وعفوه وعظمته وعدله رغم أن أولئك القوم قد عمل اسلافهم ما عملوا من قتل المسلمين عندما استولوا على تلك المدينة.

ولم تكن صفة التسامح الديني من صلاح الدين الأيوبي حصراً على النصارى، بل كانت أيضا هذه الصفة هي ذاتها في معاملته مع اليهود حيث إنه أعادهم مرة ثانية الى فلسطين بعد أن هزم الصليبيين الذين حرموا اليهود بدورهم من مجرد الاقتراب من القدس[١٤].

قالوا في تسامح المسلمين :

يقول السيد (درابر) الأمريكي المشهور: إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى واليهود على مجرد الاحترام، بل فوضوا إليهم كثيرا من الأعمال الجسام ورقوهم الى مناصب الدولة.

ويقول المؤرخ الشهير المعاصر «ولز» في صدد بحثه عن تعاليم الإسلام: إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي.. ويقول أيضاً عن الإسلام أنه مليء بروح الرفق والسماحة والأخوة.

ويصف السيد «مارك سايس» الدولة الإسلامية في عهد هارون الرشيد بقوله وكان المسيحيون والوثنيون واليهود والمسلمون على السواء يعملون في خدمة الحكومة.

ويقول الأستاذ ليفي بروفنسال في كتابه أسبانيا الإسلامية في القرن العاشر: إن كاتب الذمم كثيراً ما كان نصرانياً أو يهودياً، والوظائف مما يتقلده النصارى واليهود، وقد كانوا يتصرفون للدولة في الأعمال الإدارية والحربية، ومن اليهود من كانوا ينوبون عن الخليفة بالسفارات الى دول أوروبا الغربية.

ويقول «رينو» في تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط «إن المسلمين في مدن الأندلس كانوا يعاملون النصارى بالحسنى، كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير».

ويقول «ارنولد» وهو يتحدث عن المذاهب الدينية بين الطوائف المسيحية: ولكن مبادئ التسامح الإسلامي حرّمت مثل هذه الأعمال التي تنطوي على الظلم بل كان المسلمون على خلاف غيرهم إذ يظهر لنا أنهم لم يألوا جهداً في أن يعاملوا كل رعاياهم من المسيحيين بالعدل والقسطاس.

يقول جورج سارتون: ما تميز به الإسلام من السماحة والبساطة والاعتدال، يسر لأي إنسان في أي موطن، أن يتقبله وينفذ الى روحه وجوهره منذ اللحظة الأولى.

ويقول المستشرق «جوستاف لوبون»: إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم. ويقول في موضع آخر.. الإسلام من اكثر الأديان ملاءمة لاكتشاف العلم، ومن أعظمها تهذيباً للنفوس وحملا على العدل والإحسان والتسامح.

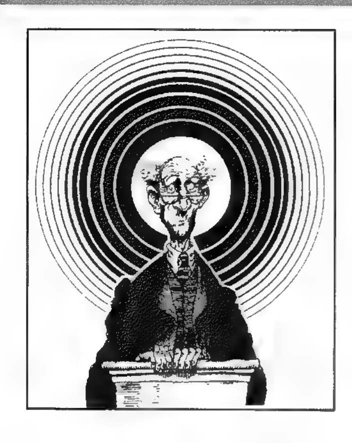
ويقول بول[١٥]: إن التسامح الواسع الأفق الذي يتسم به الإسلام في معاملة الأديان الأخرى يجعله محبباً لدى جميع من يحبون الحرية.. وهذا موقف كريم بكل تأكيد حقق سبقاً كبيراً على موقف الأديان الأخرى.

ونحن هنا لم نعرض هذه الآراء والأقوال إلا لنؤكد مدى تسامح ديننا العظيم ليس في شواهد التاريخ الإسلامي فحسب، بل في أقوال بعض المنصفين الغربيين النصارى ـ والذين اعتنق بعضهم الإسلام ـ ليردوا على أبناء عقيدتهم ويوضحوا لهم بأن الإسلام هو دين التسامح.

هكذا أخلاق ديننا العظيم دين التسامح الذي جاء خيراً للبشرية ليخرجهم من الظلمات الى النور.

الهوامش :

(١) سورة الأحزاب/ ٢١.
(٢) سورة الشورى/ ٤٠.
(٣) سورة المنافقون/ ٧، ٨.
(٤) سورة النور/ ٢٢.
(٥) يقصد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك انهم اكرموا المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة بعد اشتداد اذى قريش لهم، وكان يحكم الحبشة آنذاك النجاشي وهو ملك عادل لا يظلم عنده أحد.
(٦) سورة النحل/ ١٢٥.
(٧) مجلة العربي، العدد ٢٥٢، نوفمبر ١٩٧٩م، حديث الشهر عن التسامح ص ٨ ـ ١٧.
(٨) سورة البقرة/ ٢٥٦.
(٩) مجلة العربي، العدد ٢٠٨، مارس ١٩٧٦م.
(١٠) النقائض: عبارة عن أشعار تنقض بعضها بعضا، فهذا يهجو والخصم الآخر يرد عليه بأشعار تقدح في الخصم مرة أخرى، ومن هنا كانت القصائد تنقض بعضها بعضا، لذلك سميت بالنقائض، وبرز هذا الفن في العصر الأموي بوضوح نظرا لاستقطاب واستمالة الخلفاء لهذا اللون من الشعر وتشجيعهم له.
(١١) من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي.
(١٢) في هذه السنة قدمت الحملة الصليبية الأولى على العالم الإسلامي، ونجحت هذه الحملة في إقامة أربع إمارات صليبية هي: إمارة الرها، إمارة انطاكية، إمارة طرابلس، مملكة بيت المقدس.
(١٣) سورة الأنعام/ ١٦٤.
(١٤) مجلة العربي، العدد ٢٥٢، نوفمبر ١٩٧٩م.
(١٥) جنسيته دنماركي، تعرف على الإسلام عام ١٩٧٣م، خلال إحدى رحلاته للمغرب، ويعد عدد من اللقاءات مع بعض المسلمين أعلن دخوله في الإسلام.
(١٦) مجلة العربي، العدد ٢٠٨، مارس ١٩٧٦م.



الرؤى وتفسير الأحلام

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .. وبعد

تعبير الرؤى والأحلام راجت سوقه في هذا الوقت، وعظم الاهتمام به في طبقات عدة من الناس، واحتاج هذا الموضوع الى إيضاح وتفصيل لأحكامه، تبصرة وذكرى، وتنبيها على الأخطاء في الموضوع.

أولا: قد صح في الحديث قول النبي [صلى الله عليه وسلم] «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» ووجه ذلك أن النبي [صلى الله عليه وسلم] قبل البعثة بستة أشهر كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ومدة نبوته في مكة ثم المدينة ثلاثة وعشرون سنة، فصح أن ستة الأشهر بالنسبة الى الثلاثة وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءاً، وقيل غير ذلك من الأوجه والله أعلم.

ثانيا: قسَّم العلماء ما يراه الناس في مناماتهم الى ثلاثة أقسام:

١ ـ رؤيا صالحة، فهي من الله عز وجل بشرى وفرح وتطمين.

٢ ـ وحلم مؤذ من الشيطان، تحزين وتخويف وأذى.

٣ ـ أضغاث أحلام، وحديث نفس لا أثر له، ولربما رجع الى أحد النوعين السابقين. فالحاصل أن المعتبر في القسمين الأولين.

ثالثا: للرؤى الصالحة أحكام واعتبارات يجب مراعاتها والتنبيه لها:

ـ فهي بشرى وتطمين من الله عز وجل.

ـ وينبغي حمد الله عليها والثناء عليه بها.

ـ وألا يحدث بها الإنسان إلا من يحبه، ويتمنى له الخير، ولا يعرضها إلا على لبيب عالم ناصح، يظن فيه الخير، وهو من أهل الصدق والأمانة، وليحذر أهل الهوى والتعالم والإدعاء.

بقلم : **علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل**

قسم العقيدة - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض

رابعا: فإن للحلم الذي هو تحزين وإفزاع من الشيطان أحكام صحت في السنة النبوية تجب مراعاتها والعمل بها، وأهمها:

١ ـ إذا رأيت حلما مفزعاً، فانتبهت من نومك، فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، حيث هو سبب هذا التحزين، ثلاثا في شمالك.

٢ ـ وتعوذ بالله أيضا من شر ما رأيت، ثلاثاً، فإنها لا تضرك بإذن الله.

٣ ـ وتحول الى الجهة الأخرى من منامك، فإن نمت على جانبك الأيمن فانتقل الى الجانب الأيسر، وإن كنت على الجانب الأيسر فانتقل الى الأيمن، وإن كنت على ظهرك، فانتقل الى الجانب الأيمن.

٤ ـ فإن تكررت الأحلام والمنامات المزعجة عليك، فقم وتوضأ، ثم صل ركعتين واعلم أنها لا تضرك إن شاء الله وبهذا تحزن وتكيد أنت الشيطان.

٥ ـ يجب عليك أن لا تتحدث بهذا الحلم أو تشغل به نفسك وخاطرك بالتفكير فيه. لأنه لا يضرك والحالة هذه، كما يجب أن تنتبه الى ألا تسأل عن هذا الحلم في تعبيره وتفسيره لأنه لا يعدو أن يكون من عدوك الشيطان تحزينا لك وتخويفا وإفزاعا، واهمالك له، وعدم انشغالك به دحر لهذا الخبيث وراحة لبالك ونفسك.

خامسا: يجب العلم بأنه لا يترتب على المنامات أية أحكام دينية شرعية أو اعتقادات. لأن العلم والقول والاعتقاد مبنى على الوحي الشريف من كلام الله القرآن، وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) فقط.

حيث يبني الصوفية وأهل البدع والخرافة والشعوذة، وبعض الفرق وأهل الهوى على الرؤى المنامية أحكاماً شرعية، واعتقادات دينية ليست صحيحة، بل هي من الهوى والشيطان، ويعتبرون المنام مصدراً من مصادر الديانة بالالهام.

سادسا: يجب على المسلم العاقل - ولا سيما النساء وضعاف الإيمان - الحذر من مدعي التعبير من المتعالمين والجهال وأهل الكذب والشعوذة والخرافة الذين يدعون علم الغيب، ويروجونه على الناس بدعوى تعبير المنام! وأن لا يعرض المسلم ما تشتد الحاجة الى تعبيره من منامه الا على أهل العلم والصدق والخبرة والديانة فقط، ويحذر من سواهم اشد الحذر.

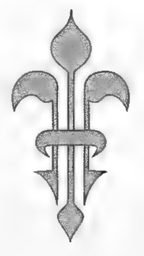
سابعا: كما لا يليق تضييع الأوقات بالجلوس لتعبير الرؤى أو نشر الهواتف والعناوين، والمراسلات، وإبراز وسائل الاعلام للقضايا الشخصية والمنامات الخاصة، فإن هذا من عدم الستر، ومن الترويج الفاسد لهذه البضاعة، وتضليل الناس وتشويش عقولهم وقلوبهم. مع ما ينضاف الى هذا العبث من حب الشهرة والظهور، وعطف الناس إليهم مما هو فتنة للناس ولهم.

والمناط في ذلك كله، والمدار على تقوى الله ومخافته ومراقبته، وخشيته وإني اخشى أن ينصرف الناس عبر تطاول الزمن على الوحي الالهي في كتابه وسنة نبيه الى الاوهام والظنون والأهواء، من خلال التعلق بالروى والمنامات وما يجره ذلك من الخرافات، فينزلقوا في مهاوى التصوف وشطحات الصوفية لا سيما إذا استصحبنا أن المنشغل في التعبير والبحث عنه في جمهرتهم من العوام وأنصاف المتعلمين. ولا أظن دعوة ادعاء المهدى المنتظر عنا ببعيدة وما جرته على العباد والبلاد وعلى حرم الله من الفتنة الهوجاء، والله المستعان وهو المسؤول أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا للفقه في دينه، والثبات عليه وأن يتولانا برحمته ويختم لنا برضوانه وهو سبحانه ولي التوفيق.. والله أعلم.



القصص النبوي

نظرات في قصة نوح (عليه السلام)



(الحلقة السادسة)

عود الى مفهوم القصة:

نحن نهدف من كتابتنا في القصص النبوي - الذى بدأنا الكتابة فيه منذ أكثر من عقد - الى تأصيل الفن القصصى في تراثنا العربى والإسلامي، حيث يعمر به القصص العربي قبل الإسلام.

وتتجلى مقاصده في القرآن الكريم والسنة النبوية، لأنهما يعبران عن الحياة المسلمة بخاصة، والعربية والإنسانية بصفة عامة[١] (ومن هنا نتجه الى القول بأن أقدم القصص الأدبى عند العرب، يؤخذ من مصدرين هما: القرآن الكريم، وقصص السنة، وأما ما جاء عن القصص قبل الإسلام، وما أشار إليه القرآن الكريم والسنة، فلم يصل إلينا بالصورة التى كان يؤديها في مجتمع يسمر في ليل الصحراء حيث التحلق في المجالس، وإكرام الضيف، ومنادمة الأصحاب، وأخيراً صرف الناس بمثل هذه القصص عن وحى السماء.. كما فعل النضر بن الحرث.

وقصص القرآن الكريم، وقصص النبوة لا يقاس بالمقاييس النقدية التى وضعت في العصر الحديث إذ لا يصح أن نخضع المتقدم - بظروفه الاجتماعية والفكرية والعقدية - ونقومه وفق ظروف تختلف في الزمان والمكان والتقدم العلمى والسياسى والاقتصادى، ولأن الهدف من قصص القرآن والسنة هدف أصيل، موجه الى النفس البشرية، لإيجاد وازع الترغيب والترهيب، يحض على الخير ويرغب في الاستزادة منه، ويرهب من الشر وينفر منه، ومن فعل يؤدى إليه، وهو هدف تتغياه كل المجتمعات في القديم وفي الحديث، حتى تصل الى مجتمع الحق والخير والفضيلة).



بقلم : أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة

- مصــــر -

واستعرضنا مفهوم القصص من واقع مفهوم اللغة العربية، وهو مفهوم جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية، والشواهد من النصوص كثيرة. وقلنا: (أما بالنسبة لتعريف الفن القصصي في العصر الحديث، فان كل التعاريف التي قيلت عنه لم تكن شافية ولا كافية، وأي تعريف فإنه يكون مشكلة أو مغامرة أمام عملية التفكير التي تسعى الى أهداف وغايات متعددة لمجتمع ما، لأنه يتضمن أحداثا جزئية كثيرة ويتطلب استغلال المادة لتواكب مجموعة من الحوادث أو الأفعال في البيت وفي الطريق وفي العمل وفي النادى، ولا شك أن كل هذه الأشياء تصادف كل إنسان يعيش بين الناس، ومن هنا اختلفت التعريفات والتقسيمات للقصة، بل وتغيرت التعريفات والتقسيمات من حقبة الى أخرى، وتبعا لاختلاف ثقافات النقاد والمؤرخين، ما بين ثقافة شرقية، وثقافة غربية وأصحاب اتجاه واتجاه آخر، مما يصعب السيطرة عليها في ضوء المذاهب والاتجاهات.

وعند المحدثين أن القصة عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد أن يعبر عنها بالكلام ليصل بها الى أذهان القراء، محاولا أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه.

والمفهوم العربي والإسلامي للقصص: روى وحكى وتتبع الأخبار والآثار وعرضها[٢] واستقر هذا المفهوم في مختلف العصور، وبخاصة بعد الانفتاح على العالم بترجمة العلوم والفنون والفلسفة وغيرها في العصر العباسي، وكانت ترجمة بعض القصص في ضوء المفهوم العربي والإسلامي، وازدهر فن المقامات الذي يعرض حكايات قصيرة، تحوم حوادثها حول رجل خيالي، يتصف بالأدب وقوة العارضة في النثر والنظم، يتكسب بأدبه، ويحتال بكثير من الحيل على ابتزاز الأموال وتغفل الناس. واستمر ذلك المفهوم حتى عصرنا الحديث كما هو واضح في قصص المويلحي، وكما يشهد بذلك المحدثون في الشرق والغرب (أكاد أزعم أن الأمة العربية لا ينافسها غيرها، فيما صاغت من قوالب للتعبير عن القص والإشعار به، فنحن الذين قلنا من غابر الدهر (قال الراوى)، (ويحكى أن ...) و(زعموا أن ..) و(كان ما كان ..) الى آخر تلك الفواتح التي يمهد بها القصاص العربي في مختلف العصور لما يسرد من القصص.

فإذا كانت قلوبنا وأذواقنا قد أشربت حب القصة الغربية واصطناع مناهجها، فلأن الأمة العربية أمة قصصية بالطبع، هواها للقصة منجذب، وروحها الى الرواية تهفو، وهذا (جوستاف لوبون) يتحدث في القرن التاسع عشر الميلادى عن رحلته في الشرق، فيروعه ما يشهد من حظوة القصص عند المشارقة[٣].

قلب المفاهيم والقيم اللغوية والإسلامية:

ومنذ زمن بعيد - ربما بعد الحروب الصليبية - سعى الغرب الى الغزو الثقافي بدلا من الغزو الحربي. وتآزرت معه كل القوى المعادية للإسلام والمسلمين في مختلف العصور على تنحية الثقافة العربية والإسلامية، ومحاربة اللغة العربية في عقر دارها وبأيدى أبنائها، لتكون الهوة سحيقة بين مفهوم القرآن والسنة، وتقديم البديل من الثقافة الغربية وغيرها لتدنى المفاهيم النصرانية والعلمانية والإلحادية بين جماهير العرب والمسلمين.

ونشهد في العصر الحديث وضع معاجم أدبية ولغوية ونقدية وفنية في كثير من نواحى حياتنا، ووقع

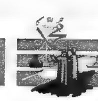
الخطر في إيجاد فجوة كبيرة بين المفاهيم العربية الإسلامية، والمفاهيم الثقافية الغربية التبشيرية والاستشراقية، وبدأت ملامح ذلك من عصر محمد علي[٤] (وصادف ذلك الوقت أن التيارات التى هبت عليها منذ زمن من أوربا، دفعت بعنف نوافذ أخرى، وفتحتها (تلاميذ مدرسة الألسن برياسة رفاعة الطهطاوي) ترجموا ألفي كتاب يهتز من اندفاعها بنيان قديم، فلا مفر من الكشف عن قواعده المطمورة للاطمئنان على سلامتها. فبدأت حركة ترمى الى بعث الأدب العربي وتنقيته... أمامك إذن تياران في الثقافة مختلفان يسيران كثيرا، ينفصل أحدهما عن الآخر تمام الانفصال، ويلتقيان أحيانا عند أفراد قلائل، هما ا ستمرار لثنائية التعليم التى بدأت في عصر محمد علي، فلا أعرف في تاريخ مصر الحديث يوما يفوق في نحسه يوم أن ولى محمد على ظهره للأزهر، وقد يقال يوم ولى الأزهر ظهره لمحمد على ...) ثم يقول: (وحملت الرياح التى تهب من أوربا بذرة غريبة على المجتمع العربي، بذرة القصة بدأت معرفته بها أولا عن طريق الترجمة (جمع أمين دار الكتب في بيروت عشرة آلاف قصة بين طويلة وقصيرة قبل الحلقة الخامسة من هذا القرن) وعلى ضوء المقارنة بين البذرة القادمة وبين ما هو موجود باليد، أحس الأدباء أن الفرق بين الاثنين كبير) ويقول: (وقد وضح الشكل بالبذرة القادمة، وتهيأ الأسلوب العصرى، ولكن بقي فوق هذا وذاك شيء غريب أسميه الاحساس الغريزى بروح الفن القصصي ونبضه ومزاجه، لم يغز بهذا الإحساس بقدر كبير أو صغير إلا المتصلون بالثقافة الغربية اتصالا وثيقا).

هكذا أدى ازدواج التعليم، وتغليب الثقافة غير العربية، وترجمة القصص الأجنبي، الى ايجاد فجوة بين كثير من مفاهيم لغة القرآن وبعض المفاهيم الأدبية واللغوية، تمهيدا لتنحية اللغة العربية عن الحياة، كما فعل قادة الأتراك - خطوة أكبر من خطوة محمد علي[٥] (حين الفصل بين الشعبين العربي والتركى، وأرادوا الحيلولة بين الأتراك والإسلام، فبادروا أول ما بادروا الى العربية يبعدونها، وإلى التركية يحيونها، ليقطعوا الآصرة بين شعبين يدينان بدين واحد، ثم ليقطعوا الطريق بين الشعب التركى والمصادر العربية لدينه).

وهكذا وضعت وتوضع مصطلحات ومعاجم أدبية ولغوية لإبعاد المفاهيم العربية الإسلامية مثل (محيط المحيط) و(قطر المحيط) و(المنجد) وغيرها التى أضافت زيادات كثيرة، واصطلاحات وألفاظ من العامية والمعانى المسيحية أو التركية واليونانية، وضعها كرم البستاني، والأب اليسوعى بولس موترد وعادل أنبوبا، ومثال ذلك في باب (حرف الباء): برنيطة، برنس، بارمون، بيرمون بالون، بروتسو، ومثناه بروتستوان، والجمع بروتستوات[٦] ... الخ.

ويتساوى مع هؤلاء دعاة الكتابة بالعامية أو استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية - وهذه الأخيرة دعوة قوية، نودى بها في مجمع اللغة العربية - وأيضا دعاة تحطيم عمود الشعر، والهدف إقصاء (التراث العربي والتراث الإسلامى بخاصة في قاعات مظلمة من دور المكتبات، ويتوارى القرآن الكريم من حياة جماهير المسلمين ليقبع هناك بعيدا حول منابر المساجد، كما يقبع الإنجيل في بطون الكنائس)[٧].

ولسنا نعنى مما تقدم وقف المفاهيم العربية في كتابة القصة أو المسرحية والمقالة وغيرها من الفنون عند الحد الذى وقف عليه القدماء في حدودها المعروفة دون ترق وتقدم، لكن الذى نعنيه التجديد في حدود المحافظة على فقه اللغة ومضمونها الذى نزل به القرآن، ووعته السنة المطهرة، حتى نربط الجديد بالقديم، ويعجبنى قول القائل[٨]: (بأن يستمد تصوره للحياة والأحداث والأشياء من التصور الإسلامى، أو على الأقل لا يصادم في النهاية شيئا من المفاهيم الإيمانية، فلا يُحَسِّن الشر، ولا يُقَبِّح الخير، ولا يدعو الى المنكر، ولا يبارك لحظة الضعف ويجعل منها



بطولة، ولا يقبع داخل الواقع الصغير الذى تحكمه الضرورة القاهرة، ويهمل الواقع الكبير الذى يتسع للضرورة، كما يتسع للانطلاق من الضرورة، وعليه ألا يفصل بين الأرض والسماء، لأن هذا الانفصال ليس حقيقة، ولا بين الإنسان والله، فذلك أيضا ليس حقيقة، وأن يوسع اللوحة التى تجرى عليها أحداثه وأشخاصه، فلا تقف فيها الحادثة عند دلالتها المفردة، ولا الشخص عند كيانه الفرد، وإنما تشير الحادثة الى السنة الشاملة، ويشير الشخص الى (الإنسان) من وراء الظروف والملابسات، وترتسم يد القدر من وراء الأشخاص والأحداث، على أنها القوة الموجهة المريدة، التى تُسَيِّر كل شيء بمقتضى الناموس الأكبر الذى يحكم الوجود)٠

ويمثل ذلك لا تنقلب المفاهيم، ولا تتغير الأخلاق والقيم العربية والإسلامية في فنوننا الأدبية، ونصل حاضرنا بماضينا، ولغتنا بإسلامنا، ونستدرك الخطأ الذى وقعنا فيه بسبب جرينا وراء المبشرين والمستشرقين والعلمانيين الذين ينكرون كل خيرية ومزية في تراثنا وديننا (سارعنا الى الإنكار على الأدب العربي أن فيه قصة، وما كان ذلك الإنكار إلا لأننا وضعنا نصب أعيننا القصة الغربية: في صياغتها الخاصة بها، وإطارها المرسوم لها، ورجعنا نتخذها المقياس والميزان، وفتشنا عن أمثالها في أدبنا العربي فإذا هو قد خلا منها أو يكاد، وشد ما أخطأنا في هذا الوزن والقياس، فللأدب العربي قصص ذو صبغة خاصة به، وإطار مرسوم له، وهو يصور نفسية المجتمع العربي وخلاله، فلا يقصر في التصوير، وإننا لنشهد فيه ملامحنا وسماتنا وضاحة٠٠ وهو في جوهره وثيق الصلة بالوشائج الإنسانية التى هي جوهر القصص الفنى، وإن تباينت الصياغة واختلف الإطار)[٩]، (وفي ظنى أن نهضتنا الحديثة، لو كانت خلت من عنصر القصة الغربية، من باب الغرض والتخمين، لما عجزنا ـ في انبعاثنا الأدبي الجديد ـ عن أن نخلق القصة من وحى الأدب العربي وحده، ومن تراثه في ميدان القصص والأساطير، ولكان هذا الأدب، على وفرة مأثوراته القصصية، خليقا أن يشق لنا مجرى لقصة عربية جديدة الطابع والطراز)٠

وقد عرضنا في غير هذا الموضع، وفي مناسبات متعددة من هذه البحوث، مدى تأثير التراث العربى والإسلامى في القصص العالمي، وبصفة خاصة في الأدب الأوربي، بدءا من قصة الإسراء والمعراج، ومرورا بقصص الحب العذرى في القرن الثالث الهجرى، والمقامات والتوابع والزوابع في القرن الرابع والخامس الهجرى[١٠]٠

المفاهيم والمقاييس الحديثة وقصة نوح:

نحن لا نقر اخضاع القصص القديم لمقاييس ومفاهيم القصص الحديث، كما لا يقر كثير من النقاد اخضاع الأدب العربي للمقاييس الأجنبية (إن الأسلوب العربي الأصيل موسوم بالوجازة من أصل النشأة، لأنه أسلوب أمة صافية الذهن، دقيقة الحس، سريعة الفهم، تشعر بقوة، وتعبر بقوة، وتفهم بقوة، وقوة الروح والقلب، وقوة العقل والخلق، تلازمهما قوة اللسان والقلم٠٠ اختصر في صفة واحدة صفات البلاغة في أساليب القرآن والحديث، وأشعار الجاهليين، وخطب الأمويين، وكتب العباسيين، فلن تكون هذه الصفة غير الإيجاز٠ اقرأ قوله ـ تعالى ـ في آخره الطوفان: {وقيل يا أرض ابلعى ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيض الماء، وقُضي الأمر، واستوت على الجودى، وقيل بُعْدا للقوم الظالمين}[١١]٠

ولكن نظراً لغلبة الثقافة الأجنبية، وتغليب الذوق الغربي ونشر مذاهبه وفرضها على الأدب العربي، لا مانع لدينا من عرض ما في قصة نوح ـ عليه السلام ـ من مفاهيم ومقاييس موجودة فيها، ولكن عمى الأبصار وغشاوة الضلالة لا ترى أصحابها شيئا، وإن كانت

الأشياء في وضوح الشمس، وينقلب طعم الماء الزلال في فمه مرا:

ومن يك ذا فم مــــر مــــريض
يجــــد مـــرا به الماء الزلالا

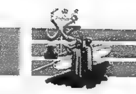
فقلما تخلو قصة في القديم أو الحديث من العناصر التي نقلها النقاد العرب عن الغرب ففي قصة ـ نوح ـ عليه السلام ـ الحدث الذي له بداية ووسط ونهاية، وفيها الزمان الذي يحدد مراحل حياة نوح ـ عليه السلام ـ وأطواره في دعوته، والأماكن التي سكنها قبل الطوفان وبعده، حيث استوت السفينة على الجودي. وتحدد القصة حياة الناس وصراعهم ومواقفهم من الدعوة، حيث تبرز شخصيات مختلفة الرجل يوصي ابنه بمقاطعة دعوة نوح ـ عليه السلام ـ والإعراض عنه والتفنن في إيذائه، ويبرز أيضا دور المرأة في الحياة مؤيدة أو مخالفة للدعوة مما يكشف عما يدور في البيئة الاجتماعية في الأسرة الواحدة، آراء متباينة حتى نقف على مخالفة الابن لأبيه أو موافقته، مما يجعل عنصر السرد والحوار واضحا في القصة، وفي القصة عناصر لا توجد في قصص الناس العاديين وهي عناصر ألهمت الإنسانية فنونا لم يكن في استطاعتهم ذلك لولا تمثلهم لهذه القصة، مثل ارسال نوح ـ عليه السلام ـ للغراب، ثم للحمامة لاكتشاف انحسار الماء عن الأرض. وفي القصة كثير من المواقف المثيرة التي توحي لمن يريد استخراج المسميات، أن يجد الحبكة والتشويق والعقدة التي تعقبها النهاية السعيدة باهلاك الكفار والمعاندين، ونجاة المؤمنين لتكون العاقبة لهم.

ونذلل على ما قلنا بعرض بعض النصوص التي تتكلم عن الحدث في القصة فتبدأ بذكر الأسباب التي أدت الى الحدث وهي عبادة الأوثان من دون الله بسبب تحريف العقيدة السمحاء منذ آدم ـ عليه السلام ـ كما جاء في القصص النبوي (أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح ـ أو الرجل الصالح ـ بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور..).

وكانت سنة الله في خلقه أن يرسل إليهم الرسل: (بعث الله نوحا لأربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا) ودعا نوح ـ عليه السلام ـ قومه ليلا ونهارا، سرا وجهرا، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا، وتعدوا عليه بالشتم والسب والضرب، وأعلنوه إن لم ينته فسوف يكون من المرجومين، ومع كل هذه المعاناة ينكرون يوم القيامة أنه دعاهم، كما في القصص النبوي (يجيء نوح وأمته، فيقول الله ـ تعالى ـ هل بلغت؟.. فيقول لأمته هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي..).

ولما يئس من دعوته لقومه تبدل من الرحمة الى الغضب عليهم، فدعا ربه أن ينصره عليهم (.. حتى كان آخر زمانه غرس شجرة، فعظمت، وذهبت كل مذهب ثم قطعها، ثم جعل يعملها سفينة). وسخر القوم منه لصناعته سفينة فوق الأرض اليابسة، وجاء أمر الله بإهلاك القوم، ونزل الماء من السماء منهمرا، وتفجرت الأرض عيونا، وحمل نوح ـ عليه السلام ـ من كل شيء زوجين اثنين، ومن الزرع وما ينبت في الأرض (حمل نوح معه في السفينة من جميع الشجر)، وصور القصص النبوى السفينة بكل طبقاتها وركابها من المخلوقات ومناحي سيرها الى وصولها الى جبل الجودى (لما استقرت السفينة على الجودى لبث ما شاء الله..) ثم بدأ يستكشف موضع استقراره من الأرض (.. فقال له عيسى: كيف علم نوح ـ عليه السلام ـ أن البلاد قد غرقت؟ قال: بعث الغراب.. ثم بعث الحمامة..) وكان هبوط نوح على الجودى (يوم عاشوراء) ثم بنى ومن معه المساكن التي عاشوا فيها بعد الطوفان، وتكاثرت الذرية، ومات نوح ـ عليه السلام ـ وتلك نهاية أحداث القصة.

ويمكننا أن نعرض كل العناصر القصصية التي يزعم النقاد المحدثون أن القصص العربي قد خلا



منها، ولكننا نكتفي بما سبق، ذلك لأن رواد القصص الحديث لا يلزمون ولا يلتزمون بما يسمى عناصر أو شروط القصة[١٢]: (إن هذه الأصول والقواعد التي نلخصها في العجالة الآتية، ليست إلا أقيسة وموازين استخلصت لتكون أساسا تبنى عليه الأحكام في تقدير القصص الفني.. ومعلوم أن هذه القواعد لم توضع أولا، ثم طلب من الكتاب والمنشئين أن يجروا عليها، وإنما كانت هذه القواعد نتائج مستخلصة من أمثلة بليغة) وليس من الحتم الالتزام بها حيث أن الكاتب العادي يرفض الخضوع لها، كما يقول طه حسين في مقدمة (المعذبون في الأرض)[١٣] (لا أضع قصة فأخضعها لأصول الفن، ولو كنت أضع قصة لما التزمت اخضاعها لهذه الأصول، لأني لا أومن بها، ولا أذعن لها، ولا اعترفت للنقاد بها مهما يكونوا أن يرسموا لي القواعد والقوانين مهما تكن، ولا أقبل من القارىء مهما ترتفع منزلته أن يدخل بيني وبين ما أحب أن أسوق من حديث، وإنما هو كلام يخطر لي فأمليه، ثم أذيعه، فمن شاء أن يقرأ فليقرأه، ومن ضاق بقراءته فلينصرف عنه...).

ولكن النقاد المحدثين غفلوا عن تقويم القصص الذي ينتجه المحدثون من أمثال طه حسين، وزعموا أن تلك عبقرية الفنان فلم يحاكموه الى القواعد والمقاييس التي حاكموا بها قصص التراث. وذلك لانسياقهم وراء الثقافة الغربية واعتناقهم المذاهب الأدبية الغازية إلينا من الغرب والشرق، واعتقادهم فيها أنها القول الفصل، وذلك شأن الضعيف المقلد، يردد كل شيء يسمعه، ويظن ذلك من الترقي والوقوف على أحدث المخترع من الآداب. وقد وصف ذلك شوقي في مسرحية كليوباترة، ومدى تأثير الزور والبهتان على غالبية الأمة، حتى هتفوا منادين بحياة قاتليهم. أو كما حدث للضعفاء من الخلفاء العباسيين:

خليفة في قفص
بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له
كما يقول الببغا

وفي أيامنا هذه يردد العرب والمسلمون كلمات تخالف مفاهيم العربية والإسلام مثل (الأصولي - السلفي - المتطرف) ويعتقدون بما ألقاه الغرب في آذانهم من أن هذه الكلمات تعني الإرهاب والقتل والاعتداء، لأن مثقفي الغرب وخبراء إعلامهم لقنوه لقادة الإعلام في العالم الإسلامي حتى استقر ذلك في أذهانهم، وتعاملوا به على أرض الواقع. والإعلام العالمي خاضع للصهيونية العالمية التي تمول بعض الصحف وأجهزة الإعلام بالمصروفات السرية ليسير العالم وفق مخططها وفي مقدمته معاداة الإسلام والمسلمين.

- للدراسة صلة -

الهوامش:

(١) مقدمة بحث القصص النبوي: المنهل العدد ٤٨٩ المحرم ١٤١٢هـ.
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ٢ ص ٩٠٠ والمنهل العدد ٤٨٩ المحرم ١٤١٢هـ
(٣) محمود تيمور: فن القصص ص ٥٨.
(٤) يحيى حقي: فجر القصة المصرية ص ١٦، ٢١.
(٥) د. مازن المبارك: نحو وعي لغوي ص ١٤٢.
(٦) المرجع السابق ص ١٨٥.
(٧) علي العماري: الصراع الأدبي ص ٣٠.
(٨) سيد قطب منهج الفن الإسلامي ص ١٥٦.
(٩) محمود تيمور: فن القصص ص ٦٠ - ٦١.
(١٠) د. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن ص ١٤٥، ١٩٦، ٢١٤، ٢١٥.
(١١) دفاع عن البلاغة ص ١٠٤.
(١٢) محمود تيمور: فن القصص ص ٩٤ - ٩٥.
(١٣) د. زغلول: دراسات في القصة العربية الحديثة ص ٩١.

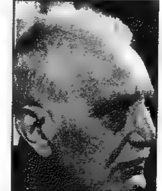
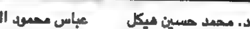


مشهد الحجاج على جبل عرفات

الحج فى أدب الرحلات

الحمد لله الذى فرض الحج الي البيت الحرام وشوق القلوب الى هذه البقاع وأجاب دعوة سيدنا ابراهيم ـ عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ فجعل أفئدة المؤمنين تهوي الى الساحات والرحاب المقدسة ويحدوهم الرجاء في عفو الله تعالى ومغفرته راغبين طائعين، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم وأكمل بسنته هذه الشعيرة.

وإن للحج لحكماً وأسراراً وفوائد ومعاني عظيمة ذكرها العلماء وكم رفع الحجيج أصواتهم مسلمين

د. محمد حسين هيكل — عباس محمود العقاد

بقلم : **عبدالله بن حمد الحقيل**

الأمين العام السابق لدارة الملك عبدالعزيز- الرياض

وجوههم لله ومقبلين عليه يحدوهم الرجاء في عفو الله ويحثهم الشوق الى زيارة هذه البقاع المقدسة التى فيها الكعبة المشرفة وزمزم الثرة المباركة ومقام ابراهيم.

لقد قدر الله أن يصطفي من هذه الأرض بقعة يباركها تكون رمزاً لوحدة البشر في توجهاتهم وغاياتهم وأنشأ سبحانه في هذه البقعة أول بيت يربط الناس بخالقهم يتلمسون في هذا البيت الخير والبركة والهداية، قال تعالى: **{إن أول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين}** (آل عمران/ ٦٩)، وهنا تتضح عالمية المكان الموضوع للناس المكان المبارك الذى جعله الله مكان هداية للعالمين تتجه إليه القلوب.. وقد تميزت هذه البقعة المباركة بميزات كثيرة فهي تقع في منطقة تعد ملتقى القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا ومازال هذا البيت يعمر بالطائفين والعاكفين والركع السجود، ولقد كان الأمر بالأذان في الناس بالحج من دلائل الإعجاز الإلهي في هذا المكان الطاهر.

إن الحج الى هذا البيت تهوي اليه أفئدة الناس قبل أجسامهم، فالحج رحلة إيمانية وبهجة روحية سامية الغايات وهي أمنية العمر ومناط الأمل ولقد كتب الكثير من العلماء والأدباء والمؤرخين في فترات زمنية رحلاتهم الى الحج ووصفوا إحساسهم وشعورهم بزيارة هذا البلد الأمين بشكل رائع يهيجون به مكامن الأشواق لدى المتلقى لزيارة هذه الأماكن المقدسة فجادت قرائحهم بقطوف أدبية في فضل الحج ومنزلته في النفوس.

ونستعرض اليوم الرحلة التى دونها أحد أعلام الأدب العربي الدكتور محمد حسين هيكل، والمولود بمصر سنة ١٨٨٨م وتولى مناصب هامة والمتوفي سنة ١٩٥٦م وله عدة تآليف منها محمد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وفي منزل الوحي وهي رحلته القيمة الى الحج أطلق فيها لقلمه العنان وهو فيها يسجل رؤاه ويستهل حديثه قائلا:

ثلاثمائة مليون من المسلمين أو يزيدون تهفو قلوبهم جميعاً الى منزل الوحي ويهزهم الحنين إليه، يولون وجوههم شطر الكعبة المباركة خمس مرات كل يوم أينما أقاموا الصلاة، والى البيت العتيق تهوى أفئدتهم رغبة في أداء فريضة الحج، والى مسجد الرسول النبي العربي يحثهم الشوق ابتغاء زيارته. ومنهم من يود لو يقف عند كل مكان وقف فيه الرسول ليتمتع ما وسعه المتاع بما توحيه هذه المواقف من جلال روحي وخلقي وإنساني يأخذ بمجامع النفس. ومنهم من يدعوه تطلعه العلمي الى البحث عن أسرار هذه البيئة العربية التى اختارها الله سبحانه وتعالى، فجعل منها منزل الوحي بالتوحيد الى سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} عبد الله ورسوله في أكثر صور التوحيد سمواً وصفاء: ماذا كانت قبل الرسالة؟ وكيف كانت حياة الرسول؟ وإلام صارت على توالي العصور؟.

بلاد ذلك مبلغها من عناية العالم بها جديرة بأن تتعلق بها أفئدة الكتاب والشعراء والمؤرخين والعلماء، تتلمس أسرارها وتستلهم من روحها. وهي لا ريب قد استوقفت منهم كثيرين من أهل الأمم المختلفة، بل لقد

استوقفت كثيرين من غير المسلمين في مختلف العصور وفي عصرنا الحاضر. على أن ما تحتفظ به من تراث دائم الجدة، بالغ غاية الدقة في تشعبه خلال التاريخ واتصاله بأرجاء العالم المختلفة ولما لها في نفوس الباحثين المسلمين من قداسة روحية فان كل ذلك يدفعهم الى الغوص فيها الى غاية أعماقها.

ويأخذ صاحب الرحلة يقص رحلته قائلا: لقد تحركت الباخرة فتركها المودعون بعد أن ألقوا على المسافرين كلمات الأمل الطيب وحسن الرجاء في حج مقبول وعود حميد. انتقل المسافرون الى ناحية الشاطيء يحيون مودعيهم التحية الأخيرة قبل السفر، فإذا جمع منه ألوف الناس على رصيف المرسى لم يلبثوا حين سمعوا الموسيقى تصدح أن تعالى في الجو هتافهم للإسلام وللحج وللوطن هتافاً حاراً صادراً من حبات القلوب ومن أعماق الأفئدة. ما أبلغ أثر هذا المنظر في النفس!. فهذه الألوف الذين جاءوا لتحية المسافرين الى بيت الله لا يعرف أكثرهم أحداً من هؤلاء المسافرين، وإنما جاءوا يودعون اخوانهم في الدين بقلوب عامرة بالله.

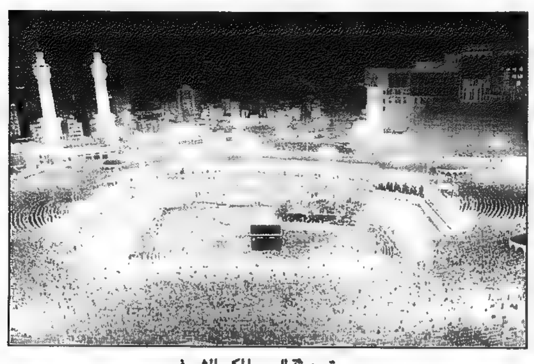
وهكذا فكم أثار الحج من مشاعر الأدباء ففاضوا وجدانا وتحنانا، فصوروا رحلات الحج ومشاهده وأماكنه وطريق الرحلة، فها هو يصف تحرك الباخرة قائلا: وتحركت الباخرة، وابتعدت الى ناحيتها الأخرى أشهد أمواج خليج السويس، وأعود بتفكيري الى الحجاز والى الحج والى ألوف المسلمين. وشغلت بخليج السويس ومياهه وأمواجه حتى انحدرت الشمس الى مغيبها.

وأستيقظ مع الصبح واستنشق هواء البحر، ما أرقه وأعذبه وأصحه!. وشكرت الله أنعمه وأنا في خلوتي المبكرة فوق سطح الباخرة أشهد شواطيء خليج السويس التى لم تزل الباخرة قريبة منها. وجعلت من ذكر الله وتلبية دعائه أنيسي، وتذكرت أن الأقلين من أوتوا مثل حظي فداولوا في أسابيع بين النهل من ورد باريس وعلمها ومتاحفها ومجتمعاتها الحافلة بأسباب الأنس، وورد المنهل العذب للحياة الروحية بمكة المكرمة عند بيت الله الحرام وبالمدينة المنورة.

وهذه مدينة جدة، حيث نزل شاطئها، ودخل مبنى الادارة حيث يقول: ثم تخطينا جمرك جدة الى الميدان الفسيح أمامه، ووقفنا الى جانب سياراتنا ننتظر مرور متاعنا بتفتيش الجمرك، ولم يطل مقامنا به حتى نزلنا الى السيارة نركبها الى مكة المكرمة وانطلقت السيارة متمهلة في طرق هذا البلد حتى وقفت عند مخفر الشرطة. ونزل السائق منها في ردائه البدوي الخشن يؤشر من المخفر على (الكوشان)، والكوشان جواز السفر.

وتابعت السيارة طريقها الى خارج جدة والى ما وراءها من فضاء. وكان الليل قد اشتمل هذه الأرجاء جميعا في صمته ورقة نسيمه. وأجلت بصري فيما حولي وجعلت ألتمس صورة بلاد العرب المرتسمة في دخيلة نفسي، فإذا ضوء القمر يسعد الليل بلجته ويرسل تحيّة عذبة الى صمت هذه الأودية التى قامت كثبان الرمل عن جانبيها. وارتفعت جبال يحجب سقف السيارة عنّا قننها. ولم يعصمني لباس الإحرام من البرد فاتقيته متلفعاً بردائي ولم ألبس مخيطاً. وكأنما انتقلت إلينا عدوى الصمت المحيط بنا فأمعنا في الصمت، فلم تنفرج شفاهنا عن ألفاظ غير ألفاظ التلبية.

وبعدت السيارة عن جدة منطلقة في البيداء وحيدة لا يسعدها أنيس. على أنّا لم نلبث أن مررنا بقافلة من الجمال تسير على هون متجهة الى حيث تتجه. وخلفناها وراءنا، ثم أدركنا قافلة من الحمر أسرع منها سيراً. وتخطينا قافلة الحمر، ثم إذا بنا نسمع صوتاً يقترب منا ويردد الليل صداه في خشوع وإكبار، أولئك جماعة من الذين لم يجدوا دابة تحملهم فساروا على أقدامهم متوجهين الى بيت الله بقلوبهم، والى رب البيت بدعائهم: لبيك اللهم لبيك. ومررنا


صورة حديثة للحرم المكي الشريف

بهؤلاء وصوتهم يدخل الى قلوبنا بغير استئذان فيملؤها رهبة ومهابة. وكلما فتنا واحدة من هذه القوافل أدركنا أخرى، وكلهم في إحرامهم يشتملهم ضوء القمر في لجته فيزيد بياضهم نصوعاً.. والأودية تحيط بها كثبان الرمل وتحجبها الجبال عما وراءها تردد تلبية الملبين من أهل هذه القوافل وقد اتشحت من جلال هذا النداء المنبعث من قلوب كلها الإيمان والإذعان بما ملأها خضوعاً وإذعاناً.

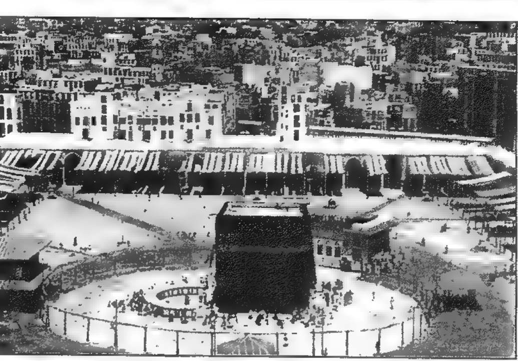
كم سمعت هذه الأرض المحيطة بي من أصوات هذا النداء خلال مئات سنين خلت منذ بعث الله محمداً نبيا وهادياً ورسولا. أصوات لا يحصيها العد ولا يتناولها الحصر. وما يحدث في الطبيعة لا ينمحى أثره. إذن فقد ارتسمت هذه الأصوات ها هنا ونقشت على سفوح هذه الجبال. تلبية الملايين مرتفعة الى بارئها في ايمان يدك الجبال ويزعزع الرواسي ويخر له كل ما في الوجود ساجداً، لأنه أسمى من كل ما في الوجود. كانت أمّ السلّم أول محطة مررنا بها بعد جدة.

ثم أخذ يصور حالة الطريق قبل هذه النهضة المباركة التى فاقت كل التصورات وتخطت كل الإمكانات، حيث شهد الحرمان الشريفان توسعات وخدمات كبيرة على مر السنين وتزويدهما بمختلف أسباب الراحة ليؤدي ضيوف الرحمن مناسك حجهم في يسر وسهولة وراحة وأمن واطمئنان.

ويواصل حديثه قائلا:

وعاودنا سيرنا نمرّ بمثل القوافل التى مررنا بها، فنجتازها مسرعين حيث كان الطريق صالحاً، مبطئين كلما أمسكت الرمال عجلات السيارة فحالت بينها وبين الإسراع. ويبلغ من إمساك الرمال السيارة في بعض الأحايين أن كانت تقفها عن الحركة، وذلك حين تبتلع عجلاتها وتجعل دورانها عبثاً لا طائل وراءه. ولطالما وجدنا في هذه الحالات عوناً من رجال القوافل إذ كانوا يسارعون الى تلبية رجائنا فيرفعون السيارة ويدفعونها لتعاود سيرها.

وفي المسجد الحرام فكرت في هذا البيت ومواقف للرسول وطوافه بالبيت وطواف مائة ألف من المسلمين وراءه وهو مع ما جاوز الستين يسرع في أشواط الطواف الأولى والمسلمون يسرعون إسراعه، وهو يذكر وهم يذكرون يوم طاف في عمرة القضاء ومعه ألفان، وهو يسرع ويقول لأصحابه: «اللهم ارحم امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة» والمشركون من أهل مكة ينظرون من أعلى الجبال الى أولئك الذين زعموهم ضعافاً أرهقتهم يثرب وأرهقتهم الحروب فإذا هم البأس والقوة والعزيمة الصادقة بإذن الله.



صورة قديمة للحرم المكي الشريف

كــان أهل مكة ينظرون الى المسلمين في أثناء طوافهم وراء نبيهم في عمرة القضـاء، أما في حجة الوداع فكان أهل مكة قد أسلموا وقد أصبحوا مع سائر العرب بنعمة الله إخواناً، وكانوا يطوفون بالبيت مع الطائفين، ويذكرون الله مع الذاكرين، وقد هداهم الله الى الدين القيم، وأنجاهم من ضلال الشرك ومذلة الوثنية.

ألا إن هذا البـيت العـتـيق ليطوي من أسـرار التاريخ وعبره على قدر يعادل ما يستكن في جوفه هيكلا للتوحد من مهابة وجلال. وإن هذا الجو الذي يبدو صامتاً حوله لملىء من أصداء العبادة كلها مؤمنة منادية نداء يسمعه أهلها وأهل السماء جميعاً: لا إله إلا الله والله أكبر.

وآن لي أن أهبط من الكعبــة الى المطاف وإلى المسجد، فودّعت السادن وودعني بكلمات كلها الرق والظرف. وقصدت مذ هبطت الى حجر اسماعيل والى مقام ابراهيم فصليت فيهما. وغادرت المسجد الحرام بعد ذلك ممتلىء القلب روعة وإكباراً وتعظيماً، وكل ما حولي يدوي في أذني بذكر الله والتسبيح بحمـده: ربنا لك الحمد.

ثم أخذ يفيض في الحـديث عن الجـمـعة في الحرم قائلا:

المسجد الحرام مثابة المسلمين الذين يفـدون الى مكة من أقطار الأرض جميعاً في أشهر الحج وهو مثابتهم ما أقاموا بأم القرى يفدون إليه لصلاة الفجر وعند الظهيرة، ويعودون اليـه لصلواتهم الأخـرى وللطواف بالبيت كلمـا هوت نفوسهم الى التطوف به. وهم يقضون فيه الساعات الطوال يتحدثون أثناء النهار ويستمعون الى جماعة من الفقهاء يحدثون في الإسلام ويفقهونهم في الدين قطعاً من الليل، وإن منهم من يقضي فيه يومه يجاور البيت، ومنهم من ينصرف نهاره الى شئون الحياة، فإذا أقبل الظلام قضى بالمسجد ليله يقوم إلا قليلا، يذكر الله كثيراً، ولا ينال من النوم إلا القدر الذي يكفيه لسعي النهار وتهجد الليل.

لذلك قل أن يصلي بغير المسجد الحرام أحد من المقيمين بمكة المكرمة على كثرة مساجدها، وما رأيت أحداً قام بهذه المساجد مصلياً على كثرة مروري بها ووقوفي عندها، ولا تقام بها صلاة الجمعة مطلقاً.

ويتناول شامل يسجل خواطره عن صلاة الجمعة في الحرم قائلا:

وصلاة الجمعة بالحرم من أروع مظاهر الإيمان في الجماعة الإسلامية، هذا الإيمان القوي في بساطة، البالغ في قوته، الذى يجمع بين الحرية والنظام جمعاً لم أقف على ما يقرب من رفعته في أي من الملل والنحل

الحديثة أو القديمة التى اطلعت عليها. ولقد رأيت في أسفاري الكثيرة ببلاد يدين أهلها بغير الإسلام من شعائر العبادة ومن نظم الجماعة ما فيه مهابة ورهبة ونظام، ولقد حضرت صلاة الجمعة في بلاد إسلامية شتى، ولكني لم أر في شيء من ذلك ما قد يقرب في جلال مظهره وقوة روعته، وفي جمعه بين الحرية والنظام، وبين الاعتداد بالذات والإسلام لله، مما رأيت في صلاة الجمعة بالمسجد الحرام، ولم يطبع شيء من ذلك كله من الأثر العميق في نفسي ما طبعته صلاة الجمعة بالمسجد الحرام من أثر بالغ في عمقه؛ فما أفتأ كلما أذكره أشعر به متغلغلا في أطواء روحي، يسمو بها الى ذروة الإيمان ويرقى بها ما فوق مستوى الإنسانية الذي نألفه.

قصدت الى المسجد ومعي صاحبي ودخلنا وما يزال بيننا وبين أذان الظهر فسحة من الوقت تزيد على ربع الساعة؛ مع ذلك وجدنا الأماكن الظليلة حينما دخلنا صحن المسجد قد اكتظت كلها بالذين سبقونا إليها، وبقي صحن المسجد خالياً إلا من حمام الحمي. وسرنا نتخطى الصفوف نلتمس لنا فرجة للصلاة، فلا تقع العين بين الجالسين على موضع لواقف. ثم رأيت صاحبي وقف على قوم وتحدث إليهم، ثم أشار إليّ فدنوت منه، فتفسح القوم حتى استطعت أن أقف بينهم، وانطلق هو بين الصفوف يلتمس لنفسه مكاناً آخر. وصليت ركعتين ثم جلست ما استطعت أن أجلس، وسرحت الطرف فيما حولي. وأسرع اليّ جار عن يميني وجار عن يساري فمدّ كل منهما يده مسلما عليّ، بعد أن أتممت ركعتي، سلام تحية فيه مودة وفيه إخاء. وتفرّست أثناء السلام في وجه كل منهما فلم تهدني سيماهماالى جنسيته، ولا دلتني على شيء إلا أنه ليس من أهل هذه البلاد. وعدت أسرح طرفي ناحية صحن المسجد فإذا الناس يفدون إليه في سيل دافق، يحاول السابقون منهم أن يكون مجلسهم أدنى الى منبر الخطيب أو الى أحد المكبريات حول الكعبة، وامتلأ الصحن في دقائق حتى لم يبق موضع لواقف؛ وجعل الوافدون إليه يتخطون صفوفه يلتمسون لهم مكاناً كما كنا نتخطى الصفوف في ظلال القباب نلتمس لنا مكانا، ومنهم إذا تهيأ له المكان جلس فيه، ولما لم يبق بالمسجد موضع أقام الناس خارجه يأتمون لصلاة الجمعة، فما أعظمه من مشهد عظيم.

ثم أخذ بعد ذلك يتحدث عن وقفة عرفات ووصف هذا الموقف العظيم قائلا:

أصبحت يوم الاثنين الثامن من ذي الحجة، يوم التروية، أفكر في عرفات والذهاب إليها محرماً وقضاء ما يجب من شعائر الحج فيها والنزول عنها الى المشعر الحرام بالمزدلفة، والى الصخرات بمنى لأتمم بعد ذلك طواف الحج حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة، فأكون قد قضيت الفرض الخامس من فرائض الدين الحنيف. ولا يفكر الناس اليوم في التروية، وهي جلب الماء معهم الى عرفة ليستقوا منه يوم وقوفهم بها. وهم لا يفكرون في التروية منذ يسرت عين زبيدة لهم من الماء ما يريدون.

وشتان بين ما اشتملني أثناء التفكير في الإحرام لعرفات من نعيم وغبطة، وما كنت أخافه قبل مغادرة مصر من أثر الإحرام وقضاء المناسك على صحتي، لقد اشتملني من فجر ذلك اليوم رضا عن الحياة وعن نفسي، وشعرت بروحي فرحة وبقلبي مطمئنا. أقبلت منذ بكرة الصباح أعد لباس الإحرام وما يقتضيه المبيت تحت الخيام، منشرح الصدر لكل ما أصنع من ذلك، عميق الإحساس بجلال هذه الفريضة التى يسر الله لي أداءها، موقنا أنى سأشهد أثناءها من آيات حكمته فيه ما يزيد كل مؤمن إيمانا وتثبيتا. وصورت أمام ذهني هذا الجبل المقدس وقمته الفسيحة واجتماع عشرات الألوف من المسلمين فوقه مهللين ملبين متوجهين الى الله سبحانه وتعالى بقلوب طهرها صدق الإخلاص من ماضي حوباتها، وهداها الاجتماع المقدس بإخوانها المؤمنين سبيل الخير، وفتح أمامها أبواب حياة جديدة تسمو خلالها بفضل إيمانها وصدق توجهها الى الدرجات العلا من مراتب الإنسانية السامية، مراتب البررة والمقربين والأتقياء الصالحين

الذين يخشون الله ولا يخشون غيره، ولا يخافون في الحق والخير والبر لومة لائم.

ولقد طبع هذا المنظر أعمق الأثر في نفسه حيث تناوله قائلا: فهذه القوافل من المشاة والركبان تقصد الى غاية واحدة وترجوا في ربها الرجاء الأسمى. وهم جميعا سواسية في اتجاههم، سواسية في إيمانهم، سواسية في تفكيرهم. وهم جميعا قد نسوا كل شيء إلا هذه الغاية الروحية السامية التى تندفع نحوها جسومهم، وتطير إليها جوانحهم، وتزداد امتلاء بها أفئدتهم وقلوبهم. كلما ازدادوا قربا من مهبط الوحي ومن بيت الله، ليس يذكر أحدهم ما له من ثروة أو جاه أو ولد وإنما يذكر أنه وهؤلاء المسافرين معه إخوة في الله، وأنهم جميعا قد أتوا قاصدين بيته، ملبين داعيه، ليشهدوا على أنفسهم، وليطهروا بين يديه ما قدمت أيديهم، وليبدأوا بذلك حياة جديدة، يبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة، ولا ينسون نصيبهم من الدنيا، ويحسنون كما أحسن الله إليهم، ولا يبتغون الفساد في الأرض. لهذا جاءوا من كل فج عميق، ولهذا ركبوا البر والبحر واستهانوا بالمشقة ونسوا كل شيء إلا الله، ولهذا تتصل قلوبهم وإن اختلفت أجناسهم وألوانهم ولهجاتهم. وهم يعبّرون عن هذا الشعور بالتلبية تنفرج عنها شفاههم في حبور وغبطة مطمئنين الى رحمة الله ومغفرته.

ثم يلخذ في وصف تأثره بما شاهده في رحلة الحج قائلا:

وبلغ من عمق هذا الأثر في نفسي أن ازددت نسياناً لنفسي وقد قصدنا جميعاً وجهه مخلصين له الدين حنفاء. نعم! نحن جميعاً إخوة، وأقربنا الى الله أشدنا أخوة وشعوراً. فأنا المصري أخ لهذا العربي ولهذا الجاوي ولهذا الصيني وللمؤمنين جميعاً رجالا ونساء شباناً وشيباً وأطفالا. وأنا الذي نلت حظاً من العلم أخ في الإيمان لمن نال من العلم أضعاف ما نلت، أخ لمن لم ينل من العلم أي حظ، أخ للبائس والمحروم إخائي للغني وصاحب الجاه والسلطان. ذلك وحي هذه الساعة الفذة من ساعات حياتي، والتى اتصلت فيها لأول مرة بمكان خطت فيه قدما سيدنا محمد [صلي الله عليه وسلم] النبي العربي، أكبر من دعا الى المحبة والإخاء، وأكبر من دعا الى السعي والجهاد.

ولقد فاض به هذا الشعور حيث يصفه قائلا: فتندّت عيني وخفق قلبي وانفرجت شفتاي عن أي الحمد والشكر: لبيك اللهم لبيك.. وسمعت أذناي الأودية والجبال والقوافل السارية بينها جميعاً يدوي فيها هذا النداء، فازداد شعوري فيضاً، وقلبي خفقاناً، وازدادت لله شكراً وبه إيماناً.

وهكذا يقص رحلته في بهجة روحية عميقة ورحلة إيمانية سامية الغايات حيث مشى



صورة قديمة للحرم المدني الشريف

بين بطاح مكة وشعابها وآكامها وآثارها.. وحسبنا من وصفه لهذه الرحلة الحس الصافي والتعبير الدقيق، فعشنا معه في رحلته على تنوع في المشاهد وشمول في النظرة تمده ثقافته الواسعة ويفعمه الرأي السديد والتزام الفكرة التى من أجلها كتب مشاهداته ورؤاه في رحلة الحج المباركة، وما تحفل به من أهداف وغايات إسلامية عريقة خالدة. أجل إن الحج رحلة قدسية يفوح فيها الخير ويجني الحاج ثمار هذه الرحلة ويشهدها ويلمسها في نفسه وفي حياته وتصرفاته. كما تجلى ذلك فيما سطره وكتبه الدكتور هيكل في رحلته الى الحج حيث حل الصفا وعبير الهداية وأريج النور والحب والإيمان. في قلبه وصارت نفسه مفعمة بالخير والسمو والعطاء وصدق الله القائل: {ليشهدوا منافع لهم}.

وهكذا فالحج كان ولا يزال مثابة الأمن تأنس فيه الروح الى موطن الإلهام ويسكن الوجدان الى منشأ العقيدة وينبوع الشعور بذلك الإشراق في هذه الأرض الطيبة المباركة. وبالجملة فقد كان أثر الحج في الرحلات والمؤلفات وحفظ التراث بارزا فقد صوروا الحج ومشاهده وأماكنه وكان للأدب العربي من كل ذلك حصيلة كبيرة مما جادت به قرائح الأدباء والرحالة مما يقيس مدى تأثرهم برحلة الحج ومشاهده ووسائل الوصول إليه.

وما زال التراث العربي الإسلامي حافلا بصور ونماذج وكتابات متنوعة من اجل أدب الحج ورحلاته.. جدير بنا أن نبرزه ونعرف به يحدوهم الأمل والشوق الى مطاف النبيين ومهوى أفئدة المؤمنين والصالحين ويقول أحد الشعراء في ذلك:

لله در ركـــــائب ســـــارت بهم
تطوى القفار الشاسعات على النّجا
رحلوا الى البيت الحرام وقد شجا
قلب المتيم فيهموا ما قد شجا
نزلوا ببـــاب لا يخـــيب نزيله
وقلوبهم بين المخـــافـــة والرجـــا

لقد كانت مواكب الحجيج مهرجانا في الكثير من البلدان الإسلامية إذا أطلت أيام الحج المباركات حيث تموج بالمواكب المشمرة الى حج البيت وأداء الفريضة فيسيرون على اسم الله وبركته لحج بيت الله.

وقد كان لأمارة الحج في القديم والحديث عطاؤها الأدبي نذكر على سبيل المثال الشريف الرضي الذي كان لأمارته للحج عطاء ثر غزير واشتهرت حجازياته في الأدب العربي شهرة واسعة كما أن صاحب «مرآة الحرمين» وهو من أمراء الحج وهب الأدب الوصفي كتابا فيما هو ثمار رحلاته في الحج كما وضع المقريزي (٨٤٥) كتابه المشهور (الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك) إضافة الى ما دونه عدد من الرحالة في فترات زمنية تاريخية.

وهكذا فالحج شعيرة أثرت الأدب الرفيع كما أثرت الروح، وأن رحلة الحج المباركة من أفضل ما عرف وما يمكن أن يعرف الإنسان من رحلات كما أن رحلة الحج تمثل حجر الزاوية في أدب الرحلات والتى تتناول كل ما يتعلق برحلة الحج من آداب ومذكرات وأهازيج وأناشيد وآثار أدبية متعددة تنوعت ما بين المشرق والمغرب.

ونستعرض رحلة الدكتور عبد الوهاب عزام وهو يتحدث فيها عن الحج ومناسكه ومقامه في منى حيث يقول بأسلوب جزل أدبي متين ولغة صافية سليمة:

هذا ثاني أيام التشريق؛ ومنى غاصة بمضاربها؛ قد اجتمع إليها الحجيج من أرجاء الأرض، واختلط فيها وفود المسلمين من كل الأقطار. تجاورت القباب واشتجرت الأطناب، وتمعجت السبل بينها تجور بالسائر، وتعدل بالسالك، إن لم يكن خبرها وعرف بالعلامات مسالكها، إلا مهيعاً يتوسط البقعة تفضي إليه المسالك فيقصد فيه السابل على بينة.

زخرت منى بالحجيج، وازدحم الموسم بأهله. وقد أدينا بحمد الله المناسك ولم يبق إلا رمي الجمار، وهي أمر لا يشغل نزّال منى إلا قليلا. فهناك سعة للتزاور

والتعارف، وهناك فسحة لتبادل الآراء والتشاور في خطوب المسلمين.

خرجت في رفاقة بعض الإخوان ابتغى زيارة بعض الأجلاء من العلماء ورغبت أن أرى من وجوه المسلمين وجهاً معروفاً في مجامع الحج منذ سنين لا يخلو منه موسم، ولا يجهله محفل. وقد رأيته في عرفات ضارباً مخيمه على الجادة فنزلت إليه في نفر من رفقائي حجاج الجامعة وأنسنا به حيناً. وبينما أنا بالمشعر الحرام من مزدلفة رأيت خطيباً واعظاً يتكلم على جماعة باللغة الأردية، فدلفت إليه فإذا هو ذلك الوجه المعروف غير المنكر، وأنا أرجو ألا يفوتني في منى لقاؤه؛ ومضربه في منى أرفع المضارب، يلوح للسائر عالياً متميزاً تخفق عليه رايته. فليس على من يبغى المسير إليه إلا أن يذهب الى مسجد الخيف ثم ينظر الى سفح الجبل ليرى فسطاطاً كبيراً قد احتل من السفح مستوى لا يتسع لغيره، فليس هناك فسطاط سواه. فإذا تأمله أبصره فعرف أنه منزل أحد العلماء.

أخذت سمت المكان حتى قاربت المسجد فلقيني جماعة من حجاج الجامعة والأزهر فصعدنا الى الفسطاط في شرف يطل على الموسم كله وينظر الى مسجد الخيف من كثب. لبثنا قليلا ثم هبطنا الى فجوة بين الصخور تسمى غار المرسلات؛ فوقفنا وقفة قضينا بها حق الذكرى العظيمة، ثم سرنا مصعدين في الجبل وهو جبل شاهق أدكن عظيم الصخور كثير القلع. فما زلنا نصعد حتى لاح رائعاً! فهذا مسجد الخيف وهو مسجد برى معطل من الزينة وفراشه الحصباء: بناء كبير تحيطه جدران مديدة بيضاء، يتوسط صحنه الفسيح مصلى عليه قبة ومنارة، وفي جانبه القبلى سقيفة على ثلاثة عقود. وقد راقني منظره من سفح الجبل تتجلى فيه فطرة الإسلام وطبيعة البداوة.

ثم يفيض في الحديث والوصف للمشاعر المقدسة قائلا:

وهذا المحصَّب عن شمالنا حيث العقبات الثلاث التى ترمى فيها الجمرات. والى اليمين يمتد وادي منى بين سطرين من الجبال الشاهقة يساير فيه الطرف أسراب الخيام الى أن يكل. وهناك تبدو دار الملك عبد العزيز التي ينزلها أيام الموسم. وهنالك بناء أبيض يلوح بين الأشجار هو (السبيل): مورد عذب يستقى منه الحجاج، يزدحمون عليه النهار كله وطرفاً من الليل. وإنها لمبرة عظيمة.

ويواصل حديثه قائلا: وأما الجبل الشامخ الذى يمتد على جانب الوادى الأيسر فهو ثبير. وكم ردد التاريخ والشعر ذكر ثبير!

ترافدت الذكر وتوالت العبر في هذه البقعة المقفرة التى تخصب بالجماعات كل عام منذ عهد الجاهلية، فكأني بالقبائل تلتقي تتناشد الأشعار، وتتفاخر بالأحساب، ويضعون عنهم العداوة والحرب الى حين، وقد تغلبهم الضغائن فيفجأ بعضهم بعضاً غير مراعين حرمة الشهر والمكان كما أغارت هوازن على خزاعة بالمحصَّب من منى فقال أحد بنى عدوان:

غداة التقينا بالمحصب من منى
فلاقى بنو العنقاء إحدى العظائم

وكأني بهم ينحرون ويذبحون ويضيفون ويطعمون، ويشرقون بقايا اللحم على سفح الجبل.

وكأني بفتيان وشعراء مكة في الجاهلية والإسلام يقضون حق المكارم والفتوة: يضيفون ويطعمون ويشيدون بالمفاخر ويتناشدون الشعر ويتناقلون الأخبار، وينزع بهم الشباب فيتغزلون ويرون في الموسم على جلاله وحرمته شملا من الأحياء يجتمع، وشملا يفترق، فيشيد الشعر بفرحة اللقاء ولوعة الفراق، فهذا عمر بن أبي ربيعة يقول:

نظرت إليها بالمحصب من منى
ولى نظر لولا التحرج عارم
فقلت: أشمس أم مصابيح بيعة
بدت لك خلف الستر أم أنت حالم

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل
أبوها وإما عبد شمس وهاشم

ومن قبل تذكر المجنون في هذا المكان ليلاه:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى
فهيج أطراب الفؤاد ومن يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما
أطار بليلى طائراً كان في صدري

ورحم الله جريرا! كان أرشد من هؤلاء: لقيه الفرزدق فأنشده:

فإنك لاق بالمنازل من منى
فخاراً؛ فخبرني بمن أنت فاخر؟

فقال جرير: «لبيك اللهم لبيك»

نبّهتني تلبية جرير فقلت: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك .. الخ. كم في هذه الخيام من قلوب وردت هذه المشاهد ورود القطا الظماء! وكم من نفوس هجرت خفض العيش الى مشقة الأسفار، وغربة الديار، لتنعم بالذكر والتوبة في هذه البقاع المقدسة. لو نفض كل قلب هنا أماله وآلامه لسامت هذه الجبال جبال من أحزان البشر وأمانيهم حملها أصحابها الى سدّة الخالق العظيم يستغفرون ويتضرعون، ويسترحمون ويتذللون. سرائر لو اجتمعت في هذه الساعة لتمثل فيها تاريخ البشر. لو اجتمعت ! لو تشاكى أصحابها وتناجى أربابها ! لو تشاكى المسلمون في هذه البقعة وبث بعضهم لبعض خبايا قلبه، وتشاوروا فيما يحزبهم! أجل، هذه خيام مجتمعة، وجماعات مختلطة، وبينها تعارف وتزاور، ولكن أي هذا مما يريد الإسلام ونريد؟.

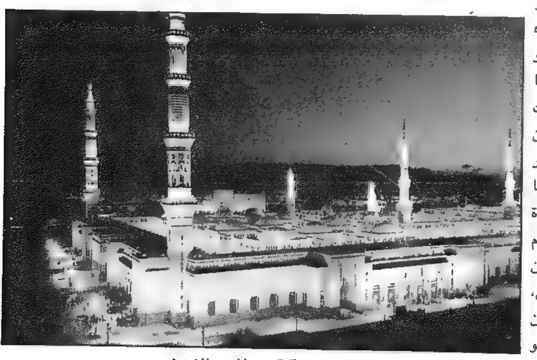
طالت بي الوقفة وأصحابي على مقربة مني! قلت: هذا أمر له غير هذه الوقفة. ثم التفت فإذا أعرابي بجانبي تفتر شفتاه عن أسنان ناصعة وفي فمه عود.

قلت: ما هذا؟ قال: بشام. قلت، الذي يقول فيه جرير:

أتذكر إذ تودعنا سليمي
بفرع بشامة؟ سُقي البشام

قلت: وما هذا؟ مشيراً الى شجرة صغيرة من الشجر الذي يسمى السنط في مصر. فقال: سلَم. فتذكرت قول القائل:

ويوماً توافينا بوجه مقسم
كأن ظبية تعطو إلى وارق السلّم


صورة حديثة للحرم المدني الشريف

وقول الحجاج: والله لأعصبنك عصب السلمة.. الخ.

قلت: أتستطيع أن تأتينا بأعواد من البشام؟ قال: إنه على الربع الآخر، وأشار الى الجبل يعني سفحه الآخر. فتذكرت الآية الكريمة: {أتبنون بكل ريع آية تعبثون} والريع المكان المرتفع قلت لأصحابي: لو اتسع الوقت لأخذنا كثيراً من اللغة عن هذا الأعرابي. فمن كان يظن أن هذه ألفاظ ميتة في المعاجم فليعلم أنها لا تزال حية في أفواه كثير من العرب. وحان الرجوع فرجعنا الى الخيام في منى.

وبعد فهذه صورة أدبية ذات خصائص أسلوبية غنية المشاعر والصور يرسمها لنا في رحلته ومشاهداته ينتظمها نسق فكري واحد ووحدة موضوعية يوحي بها جلال المكان والساحات المقدسة والبقاع المطهرة ويهتف بهم داعي الشوق والحب والحنين الى مهوى أفئدة المؤمنين والصالحين وكلما سعى الناس بين الصفا والمروة وكلما شربوا من ماء زمزم.

وهكذا يدخل المسلم في نسك الحج فيجد السلام والأمن زمانا ومكانا وإحراما ولا ينتهي من شعائره ومناسكه حتى يتذوق نعمة الإسلام والأمان فقها وأدبا وممارسة وصدقا والمتأمل في فريضة الحج في أعماق الزمن يرى عجبا ويزداد إيماناً فهي نموذج للترابط والصلات والتآخي بين المسلمين على الرغم من اختلاف الأقوام والأوطان.

إن الحج الى بيت الله مطمح الكثيرين والحلم الذي يتطلعون إليه بشوق. ونلتقي مع أحد رواد الأدب العربي الأستاذ عباس محمود العقاد، ولد سنة ١٣٠٦هـ، وهو كاتب مكثر متعدد الجوانب واسع الافاق لم يدع شيئا مما يخطر على بال الأديب إلا خاض فيه وتناوله بالدرس والبحث، ظل اسمه لامعا.. في حوالي نصف قرن أخرج أكثر من ثمانين كتاباً في أنواع مختلفة وكلها مطبوعة متداولة.. توفي بالقاهرة سنة ١٣٨٣هـ وقد صدر له كتاب مع عاهل الجزيرة العربية.. يصور العقاد رحالة يجوس خلال الديار طالما هفت روحه إليها وتألقت الى مقدساتها وأعمل قلمه في الكتابة عن عباقرتها الذين أناروا الدنيا بعد أن سادها الظلام ففي فترة من سنة ١٩٤٦م أتيح له القدوم الى هذه البلاد لمرافقة جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله في زيارة قام بها الى مصر وكانت تلك مناسبة لم يفت العقاد أن يغتنمها في زيارة هذه الرحاب الطاهرة والأماكن المقدسة فاكب في مقالات متتالية على وصف مشاهداته وإحياء ذكريات تاريخية وأدبية حفلت بها الأرض المقدسة وقد يسرت له تلك الرحلة زيارة مكة المكرمة والاعتمار.. ويقص رحلته قائلا: سافرنا يوم ٢ يناير سنة ١٩٤٦ من ميناء السويس على ظهر الباخرة المحروسة ووصلنا ميناء جدة.

وفي اليوم السابع من يناير كان في استقبالها معالي الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية والشيخ يوسف ياسين وكيل الخارجية وغيرهم من كبار رجال المملكة، ثم قصدوا قصر «خزام» العامر وكان في استقبالهم هناك سمو الأمير منصور وكيل نائب جلالة الملك والأميران محمد وخالد ومعهم لفيف من الوزراء المفوضين ورجال السلك القنصلي من العرب والأجانب. وفي المساء وصلت البعثة الى مكة المكرمة وهي في ثياب الإحرام للاعتمار والتشرف بعد المناسك بالسلام على جلالة الملك عبد العزيز لدعوته لزيارة مصر.

وقد ذكر العقاد ـ رحمه الله ـ لنا أن الكعبة الشريفة قد فتحت لهم يوم وصولهم فزاروا الحرم الشريف وأدوا الصلاة بعد أن طافوا بالكعبة الشريفة. وقد صور العقاد شعوره في هذه الزيارة في مقال نشره بمجلة «الرسالة» عقب العودة بعنوان «في الحرم» قال فيه: «ركبنا البحر ونحن لا نعلم على التحقيق أين

تلقى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، لأن برنامج الرحلة لا يشير الى المكان». فمن الجائز أن يكون في جدة، لأنها الميناء الذى ينتقل منه جلالته الى يخت المحروسة، ولجلالته قصر منيف في أرباضها هو القصر المعروف بقصر خزام. ومن الجائز أن يكون في مكة المكرمة، لأن اليخت يصل الى جدة قبل سفر جلالته بيومين.

فإذا كان استقبال البعثة الملكية في جدة فلا عمرة ولا إحرام، وإذا كان الاستقبال في مكة المكرمة، فقد وجبت العمرة ووجب الإحرام. ولكن كيف السبيل الى الإحرام؟ وكيف السبيل الى خلع المخيط في الشتاء، وإن كان الجو في مكة أدفأ من جو القاهرة بدرجات؟.

إنني ألبس الصوف شتاء، وصيفاً منذ خمس وعشرين سنة، وإذا صح أن «الصوفي» منسوب الى الصوف، فليس على ظهر الأرض رجل أحق مني بهذه الصفة. فكيف السبيل الى التحلل من هذه الصفة التى لصقت بالموصوف، فلا فكاك منها ولا فرار؟.

جاءنا النبأ في عرض البحر بأن صاحب الجلالة عاهل الجزيرة يستقبلنا في قصره العامر بمكة المكرمة، فنوينا الفدية، ونوى أصحابنا الإحرام، ولم يبق معي بملابسه غير وزير مصر المفوض في المملكة العربية السعودية، لأن الإحرام لا يلزمه، وإنما يلزمه أن يطوف بالكعبة عند مغادرة مكة طواف الوداع.

وقد خصصت الحكومة السعودية قصر «الكندرة» بجدة لتبديل الملابس قبل المسير الى الحرم الشريف. وتلى الإشراف على راحة البعثة ومن معها الشيخ يوسف ياسين وزير الدولة، وفؤاد شاكر مدير المطبوعات. فلما تهيأ أصحابنا للسفر تحرك الركب بالسيارات، فكان من نصيبي الركوب في سيارة الوزير المفوض، وهو رجل فاضل عرف أهل البلاد كما عرفه أهلها، فانعقدت بينه وبينهم صلات المودة والزمالة، وارتفعت بينهم الكلفة كل الارتفاع فيما عدا المراسم التى تقضي بها المعاملات الدولية، وقد عبر الطريق مرات فعلمت منه كل ما احتجت الى علمه من معالمها وأصولها، ووصلت الى مكة بزاد غير قليل من المعرفة العملية بهذه الربوع.

هذه جبال مكة .. وهذا جبل حراء.

بلغنا بعد ساعة ونصف من السير المعتدل في السيارة ومررنا بمناظر كثيرة نرى أمثالها في بلادنا، ولا سيما بلدي الذى نشأت فيه، وأعنى به أسوان، أما الجديد كل الجدة على النظر وعلى النفس فهو غار حراء.. هو قمة مرتفع في جبل، كأنما بنيت بناء على شكل القبة المستطيلة الى الأعلى، ولكنها عسيرة المرتقى لا يبلغها المصعد فيها إلا من شعاب وراء شعاب. أخبرني من صعدوه أنهم كانوا يعانون شديد العناء من وعورة مرتقاه، وأن القليل من الناس يصمد في صعوده الى نهايته العليا، حيث كان الرسول عليه السلام يتنسك ويبتهل الى الله سبحانه وتعالى.

والحق أن الرؤية غير السماع.. والحق أن ما يلمحه الناظر في نظرة خاطفة قد يَعْيَ الكاتب بوصفه في الصحف والأسفار.. والحق أننا قرأنا ما قرأنا عن الجبل وعن الغار، ثم نظرنا إليها، فعلمنا أن القراءة قد تركت الكثير من فراغ النفس لتملأه هذه النظرة العابرة في الطريق.

مررنا به عابرين كما كان سكان البلاد يمرون به غادين رائحين في غفلة عن ذلك الرجل المفرد الذي يأوى إليه ويسكن الى غاره. كانوا في غفلة عن ذلك الرجل المتوحد في سبيل التوحيد، كما كان العالم كله في مثل تلك الغفلة وفي مثل تلك الظلمات.. ولكنها كانت ساعات يرتبط بها تاريخ أحقاب ودهور، فلما انقضت مدتها لم يبق في الأرض المعمورة غافل عن ضيف ذلك الغار، أو جاهل بآثار تلك الساعات التى كان يقضيها فيه بالليل والنهار.

وحسبك نظرة واحدة الى الجبل ومرتقاه لتحيط بعض الإحاطة بتلك النوازع المرهوبة التى كانت تنهض

بالرسول في صباه الى ذروة تلك القمة مرات بعد مرات وأيام بعد أيام.

كل مرة من تلك المرات تترجم لنا عن قوة تلك البواعث المحتدمة في نفسه الشريفة، وترينا كيف بلغت هذه البواعث المحتدمة أن تدفع بالعالم كله في طريق غير طريقه، والى غاية لم تكن له من قبل في حساب، فلولا لاعج من الشوق الإلهي ينهض بالروح والجسد نهضة لا تصبر عليها طبيعة البشر لما توالت تلك المصاعد ولا تعاقب ذلك العكوف.

إن اللواعج التى حملت الرسول الى مرتقى الغار هي السر الروحاني الذي استجاش العالم كله بعد ذلك في حركة دافقة تقتحم السدود وتخترق الأسوار والحدد. وكل ذلك السير الجارف إنما تجمع قطرات عند هذه القمة العالية، كل ذلك كان في هذا المكان، عبرنا خاشعين مطرقين، وسكتنا لأن مهبط الوحي هناك قد ألهمنا السكوت.

مكان آخر عند الكعبة كان له في قلوبنا مثل هذا الخشوع ومثل هذا الرجوع مع الزمن الى أيام الرسالة وأيام الجهاد، ذلك هو موقف الدعاء الذى كان الرسول عليه السلام يختار الوقوف فيه كلما طاف بالكعبة ودعا الى الله.

أنت هنا ولا ريب في مقام قام فيه ذلك الرسول الكريم، ذلك السر السرمدي الذى يتعلق به مقادير التاريخ ومصائر الأمم ومصائر بني الإنسان، ذلك الإنسان الذى يقترن اسمه في صلوات الألوف بعد الألوف باسم خالق الكون العظيم.

أنت هنا تقف حيث وقف وتدعو حيث دعا وتنظر حيث نظر وتحوم بنفسك حيث حام في اليقظة لا في المنام.

قيل لنا: هنا يستجاب الدعاء.. قلنا: نعم، هنا أخلق مكان أن يستجاب فيه دعاء، وألهم الله كلا من الواقفين معنا أن يدعو دعاءه وأن يستجمع في الدنيا والآخرة رجاءه.

منظر ثالث أخذني بجماله في جوار البيت الحرام، وهو منظر الحمام الآمن الوادع في ذلك المقام، لا يخشى ولا يفزع، بل يظل طوال نهاره في طواف على الأرض وطواف في الهواء. وأعجب ما سمعت ورأيت أنه يطوف حول الكعبة ولا يعلو عليها فرادى ولا جماعات.

وهذه خاصة لابد لها من سبب مفهوم، ولابد من استقصائها في جميع أحوالها قبل التيقن منها وقبل تعليلها بالخوارق التى لا تقبل التعليل، فإن الذهن لا يقبل الخارقة إلا إذا ضاقت به علل الطبائع التى أودعها الله في خلقه وتواترت بها المشاهدة في جميع الأحوال، وبخاصة حين لا يكون هناك مقتض من حكم الدين ولا حكم العادة لامتناع الطيران في فضاء الكعبة أو أي فضاء مقدس مصون، ولا معابة على فضاء السماء في كل مكان أن تحلق فيه الطيور أو تعبر به الطائرات.

وقد شغلني أن أتيقن أولا من تطابق الأقوال على اطراد هذه الظاهرة، وأن أجرب حماماً غير حمام الحرم لأرى كيف يطير إذا أطلق في جوانب الكعبة وحده، وأن أجرب طيراً غير الحمام من القماري أو العصافير أو فصائل اليمام، لأن الجوارح قد يصرفها النظر الى فرائسها عن تحقيق التجربة بما يفيد الحرية في اختيار جو الطيران، وخطر لي قول الطائي:

يسقط الطير حيث يلتقط الحب
وتغشى منازل الكرماء

ولكن الطير يسقط حيث يلتقط الحب ولا يقصر طيرانه على مواضع التقاطه، فإذا كان حمام البيت قد تعود أن يلتقط غذاءه في المماشي التى حول الكعبة فليس ثمة ما يمنعه إذا صعد في الجو أن يتجاوز تلك المماشي الى ما جاورها، وهو قريب من قريب.

وأوصيت بعض رفاقنا أن يراقبوا هذه الظاهرة في زياراتهم المتعددة وهم يزورون البيت. فلما عادوا جميعاً كفيت مؤنة التجربة أو التجارب الكثيرة التى كان لابد لنا منها قبل التيقن من تلك الظاهرة وتعليلها

بما يكشفها على جليتها، لأن ثلاثة منهم اتفقوا على أنهم شاهدوا الحمام يطير أحياناً فوق الكعبة وإن لم يكن ذلك مطرداً في جميع الأوقات.

ثم ختم العقاد مقاله هذا عن «حمام الحرم» بقوله: «ولسنا نختم هذا المقال قبل أن نستوفي سيرة الحمام كما عرضت خلال الزيارة إما بمكة أو خلال الطريق».

وبعد أن أفاض في الحديث عن حمام الحرم، ختم رحلته بالحديث عن الأصل في اسم مكة المكرمة وأورد ما قاله الأصمعي وفيلبي وما ورد في كتاب بطليموس الجغرافي ثم قال: ذلك مثل من الجو التاريخي واللغوي الذي كان يحيط بنا في رحلتنا الى هذه الربوع الطاهرة بحراً وبراً في الذهاب والإياب كما تدور أحاديثنا على الذكريات التاريخية والمواعظ الدينية والتعقيب على الحوادث الهامة والمسائل العالمية والاستشهاد بالآيات القرآنية في مواضعها والأحاديث النبوية في مناسباتها والأبيات من الشعر والعبر من النوادر والأمثال كما ألقى العقاد قصيدة بين يدي الملك عبد العزيز قوبلت بالإعجاب والاستحسان مطلعها:

عش يا طويل العمر عيش معمر
تحيا به أمم من الأحياء
ملك أناف على العقول بعزمة
وأتم ذاك بما يراه الرائي
جمع المهابة في العيون وفي النهى
وسما بمجد أبوة وإباء

وهي قصيدة طويلة، وتحدث في رحلته عن الأقضية التي اشتهرت عن الملك عبد العزيز وعن عدله وقوته، وقد أثرت شخصية الملك عبد العزيز في العقاد فصور جوانب منها تصويراً صادقاً في كتابه مع عاهل الجزيرة العربية كما التقى بعدد من أبناء مكة المكرمة وشعرائها قائلا إنني شعرت منذ هبطت بلدكم المقدس بالحفاوة والتكريم وقد وجدت في هذه البلاد السعودية شباباً ناهضاً يصبو الى العلم والأدب شبابا ناهضا دائب الدرس والتحصيل متابعاً الحركة الأدبية باهتمام وهذا شيء يجعلني مطمئناً الى أن لهذه البلاد مستقبلا أدبياً وإني لواثق أن وثبتكم الجديدة ستعيد الى بلادكم سمعتها الأدبية الأولى وذكر حديث أحد الأدباء السعوديين له قائلا: نريد أن تلقى شباب المملكة العربية السعودية في حرمهم وها أنت ذا قد قدمت الى بلدنا الحبيب الى كل مسلم فالحمد لله الذى بلغنا منانا وبلغك مناك لنقوم بواجبنا نحوك وتقوم أنت بواجباتك نحو البلد الأمين الذى أنبت أبطال عبقرياتك الخوالد، ثم أخذ العقاد يذكر هذه البلاد بالخير والثناء وأن يكون حاضرها ومستقبلها كماضيها المجيد، وبعد ذلك غادر مكة المكرمة الى جدة استعداداً للرحيل الى مصر.

وهكذا أمضى رحلته الى هذه البلاد الطاهرة حيث زار الأماكن المقدسة ومعالمها الأثرية والالتقاء بعلمائها وأدبائها والتعرف على أحوالها وثقافة أبنائها فتميزت رحلته بخصوصية دينية وثقافية وتاريخية لهذه الربوع الطاهرة ذات العبق الإيماني مهوى أفئدة المسلمين فهي سجل شامل احتوت على مادة علمية ثرية ساعدته على التعرف على جوانب عديدة من تاريخ هذه الأماكن المقدسة حيث جمع قدراً كبيراً من المعلومات.

وهكذا فالرحلات من مصادر دراسة التاريخ وتتحول الى وثائق علمية وذكريات لها خصائصها التاريخية وسماتها الثقافية وكان لأدب الرحلات من كل ذلك حصيلة كبيرة - ومجمع القول فالرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية والاستمتاع بالتاريخ والآثار والعلم والمعرفة والأدب وسيظل أدب الرحلات رافداً من روافد المعرفة والثقافة والتاريخ والى ما يترك أثراً خالدا يعود بالفائدة والقدوة الحسنة.

المصدر :

من كتاب (عاهل الجزيرة العربية). عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية - بيروت.



أدب الطفل في المملكة العربية السعودية



ارتبطت حضارات الأمم عبر العصور المختلفة بمقدار ما توليه من اهتمام نحو الطفولة، لأن طفل اليوم هو رجل المستقبل ودعامة المجتمع، فإذا توليناه بالرعاية والتنشئة السليمة صار لبنة في بناء اجتماعي متماسك ، ولهذا يكون أدب الطفل - في رأى د/ علي الحديدي أقوى سبيل يعرف به الأطفال الحياة بأبعادها الماضية والحاضرة وحتى المسْتَقْبَلَة، ويحتاج عقل الطفل وخياله الى الأجناس الأدبية المختلفة لتغذي جوانب تفكيره وتقوي نواحي الخيال فيه، ولتكون وسيلة من وسائل التعليم والتثقيف بالتسلية والمشاركة في الخبرة[١] ٠

والواقع أن مبدعي الغرب - منذ بداية نهضتهم - قد فهموا هذه الحقيقة فأخذوا يبحثون عما في جعبة ماضيهم وفي جعبة الأمم الأخرى لينسجوا على منواله، فوجدوا في تراثنا العربي زاداً وفيراً يتمثل في مجموعة كبيرة من قصص الخيال في كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة فتأثروا بها أيما تأثير[٢]، وأثمر هذا التفاعل ظهور عدد من الإبداعات - منذ القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر - للشاعر الفرنسي تشارلز بيرو والكاتب الإنجليزي لويس كارول والكاتب الدانمركي هانز كريستيان أندرسون[٣] وغيرهم، ناهيك عن الكتب التربوية والنفسية التى أعدها لفيف من المفكرين حول عالم الطفولة وطرق التنشئة وكذا ما قامت به المؤسسات من إنشاء صحف ومجلات متخصصة للأطفال[٤]٠

أما بالنظر الى تراثنا العربي القديم، فرغم ما حواه من ذخائر بعضها جاء في صورة إبداعات أدبية والبعض الآخر في صورة فكر تربوي وإرشادي هادف فإن المبدعين قد توجهوا بأدبهم حينذاك الى الكبار فحسب، ربما لأن المجتمع القبلي بما فيه من صراعات كان مهتماً بإعداد الأبطال والفرسان، وإذا كان البعض

بقلم : **د. محمد عبدالحكم عبدالباقي**

كلية التربية للبنات- أبها

قد راح يؤكد على وجود أدب للصغار يتمثل فيما كانت تقوم به الأمهات والجدات والمربيات إلا أن هذا التراث لم يعرف طريقه الى التدوين، ومن ثم يقف كلامنا عند حد التخمين دون وجود دليل قاطع وملموس[٥].

وبقى العرب حتى القرن التاسع عشر الميلادى يعانون من عدم وجود أدب للطفل ينمى فكره وخياله حتى بدأت رحلات الابتعاث الى الغرب، وعندئذ لعب المبتعثون دوراً كبيراً في الاهتمام بهذا اللون من الأدب ومن هؤلاء **رفاعة رافع الطهطاوي وأحمد شوقي** كما برز على الساحة عدد كبير أيضا ممن قرأوا نتاج الآخرين من الأوربيين وأخذوا يحاكونه ويترجمون بعضه وأعنى **محمد عثمان جلال وإبراهيم العرب وكامل كيلاني والهراوي ومحمد سعيد والعريان وعبد التواب يوسف ويعقوب الشاروني ومحمد أحمد برانق ومحمد عطية الابراشي وأحمد سويلم وغيرهم**.

وكما هو واضح من متابعة أسماء المبدعين أن هذا اللون من الأدب بدأ في مصر حيث أخذ مساحة كبيرة من اهتمام المسؤولين والإعلاميين ورجال الصحافة والنشر حتى غدت العقود الأخيرة من القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين تشهد نهضة واسعة في مجال الإبداع الأدبي للطفل.

ولهذا يحدونا الأمل أن يمتد هذا النشاط الى الدول العربية الأخرى وخاصة الدول التى تتمتع بعمق تاريخي مثل المملكة العربية السعودية لما لهذه الدول من دور بارز في مجال الخطاب الإبداعي العربي وكذا الخطاب النقدي.

إن المتتبع لحركة الإبداع السعودي «شعرا ونثرا» يلاحظ هذه الكثرة الكاثرة من المبدعين الذين يمتلكون أدواتهم ببراعة واقتدار وإن كانوا في حاجة كغيرهم من المبدعين في عالمنا العربي الى جهود النقاد واهتماماتهم، ولكن الملاحظ أيضا أن هذا الكم الكبير موجه للكبار ويجسد مشكلاتهم ويناقش قضاياهم دون اكتراث بمجتمع الصغار.

وقد لمس علماء التربية بعض المشكلات التى تشكل عائقا كبيرا في عملية التنشئة، ومن هذه الدراسات الجيدة الدراسة التى أجرتها الباحثة/ **هناء محمد المطلق** تحت عنوان «**اتجاهات تربية الطفل في المملكة العربية السعودية**»[٦] منوهة الى عدد من القضايا المهمة التى أذكر منها:

أولا: العوامل المؤثرة في تكوين اتجاهات الأمهات نحو تنشئة أبنائهن، وأشارت في ذلك الى الطابع الثقافي والعامل البيئي والعامل الطبقي والمستوى التعليمي للوالدين.

ثانيا: العوامل الخاصة بالأم ذاتها باعتبارها العامل المهم في عملية التنشئة، وهنا نوهت الباحثة الى مناخها الأسرى وتأثير تعدد الزوجات وحجم الأسرة التى تقوم على رعايتها، إضافة الى رغبتها الشديدة في الإنجاب.

ثالثا: المتغيرات الخاصة بالطفل

** أطفال اليوم أمل الغد .. وعدة المستقبل.

** العناية بالطفل، عناية بالأمة بكاملها.

** الكتابة للطفل لم تعد أحاجي وأساطير.

** أطفال اليوم أخصب ذهناً وأوسع مداركاً.. وأقدر ملاحظة واستنتاجاً.

** الكتابة للطفل أمانة عظمى ومسئولية كبيرة.

** ثوابت الأمة، ومستجدات العصر، هما مسموعات الكتابة للطفل.

وتحت هذا العنوان ناقشت الباحثة جنس الطفل ذكراً كان أم أنثى، ومدى تأثير ذلك على نوعية الأساليب المتبعة في عملية التربية ثم عرضت لموضوع ترتيب الطفل بين إخوته، وكذا النظر في حالة الطفل المزاجية ومدى التأثير الذي يتركه الأصحاب والأصدقاء عليه، ثم دور الجماعة المرجعية في تكوين اتجاهاته نظراً لأن الطفل يحمل - دوما - طابع وهوية تلك الجماعة التي ينتمي إليها.

ولكن هذه المشكلات - رغم توابعها النفسية - لا ينبغي أن تقف في طريق عملية الإبداع الأدبي الموجه للطفل.. صحيح أن الكثير من المبدعين ربما لم يعيشوا طفولتهم ولم يعد في ذاكرتهم شيء يذكرهم بها، ولكن الفنان يستطيع أن يجوب هذا العالم وأن يعيش بينهم لفترات طويلة في الروضات والمدارس الأولية وفي البيت والشارع وأن يحس بمشكلاتهم النفسية وأن يستشعر أحاسيسهم ومشاعرهم نحو العقيدة والوالدين والوطن والأصدقاء... الخ، ثم يروح ليكتب لهم ما يستعذبونه سماعاً وقراءة وحفظاً ورواية، فتنمو لديهم - تبعاً لذلك - مهارات القراءة والتذوق والإحساس بالكلمة.

إن أدب الطفل[٧] يمتلك الوضوح والصراحة والإرشاد والنصيحة والحكمة والمثل والموعظة، كما أنه يمتلك الطريقة والشكل المؤثر الذي يحمل ذلك كله الى الطفل، إما في صورة قصيدة شعرية أو مقطوعة صغيرة أو في صورة حكاية شعرية أو قصصية تدور على ألسنة البشر أو الحيوانات أو الطيور أو في صورة لغز شعري أو قصصي أو في صورة رحلة تثقيفية تروق الطفل وتزيد من معرفته بالعالم الذي يحيط به.

والواقع أننا نستطيع - من خلال هذا الإبداع الموجه للطفل - أن نقوي علاقته بخالقه وبعقيدته الإسلامية كما تقوي رابطته بوطنه وترفع درجة الانتماء في نفسه كما نستطيع من خلاله أن نشكل سلوكه وأخلاقه ومزاجه وطريقة حواره مع الآخرين فضلا عن تنمية ذكائه ومهاراته.

ويسهم أدب الطفل بدوره في معالجة عوامل ضعف اللغة العربية الفصيحة التي بدأت تظهر آثارها في بيئاتنا العربية وأفرزت مجتمعا من المتعلمين ينفرون من اللغة الفصحى ويجدون صعوبة في التحدث بها، ولعل الدور الذي يلعبه أدب الطفل يتمثل في تنمية مهارات الطفل اللغوية ويكوّن لديه قاموسا يجمع بين مفردات عربية متداولة وألفاظ معربة.

لأجل كل هذا نجد الحاجة ماسة في المجتمع السعودي الى وجود هذا اللون من الأدب ولكي يتحقق هذا الهدف ويتحول الى واقع فعليّ علينا أن نحدد بعض المقترحات اللازمة لذلك:

أولا : ضرورة اهتمام المجتمع السعودي بمصالح الأطفال ورعايتهم نفسيا وذهنيا وترفيهيا من خلال المساهمة في تكوين جمعيات وهيئات فاعلة.

ثانيا : تشجيع المبدعين السعوديين على الكتابة للأطفال ورصد الجوائز لأحسن الأعمال الأدبية القادرة على تجسيد عالم الطفل.

ثالثا : تشجيع دور النشر لطباعة كتب الأطفال وتسهيل توزيعها على المدارس الحكومية والخاصة والمكتبات العامة.

رابعا : تنمية مهارات القراءة لدى الأطفال من خلال تثقيف الأمهات بدورهن في عملية التنشئة ورفع درجة الإحساس لديهن بالمسؤولية الملقاة عليهن إضافة الى دور الروضات الخاصة والمدارس الأولية.

خامسا: ضرورة إنشاء مجلات متخصصة في أدب الأطفال غايتها تشجيع الأطفال على الكتابة وتسهيل النشر لهم من ناحية، وعرض النماذج الأدبية الطريفة التي تحقق لهم متعة التسلية من ناحية ثانية.

سادسا: الاهتمام بتدريس مقرر أدب الأطفال في كليات التربية، وأقسام اللغة العربية في جميع الجامعات السعودية وفتح باب الدراسات العليا في هذا التخصص المهم.

سابعا: ضرورة تأهيل المعلمين والمعلمات تأهيلا تربوياً وأكاديمياً، وتزويدهم بدروس مستفيضة في علم النفس واللغة العربية حتى يستطيعوا القيام بدورهم على خير وجه.

إن هذه العوامل وغيرها كفيلة بأن تحقق للطفل السعودي غايته وتسهم في تشكيله نفسياً وذهنياً واجتماعياً، وتفتح أمامه سبل الابتكار والإبداع.

الهوامش :

(١) انظر د/ على الحديدي - في أدب الأطفال - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٩٢ الطبعة السادسة (مزيدة ومنقحة) ص١٠.

(٢) هناك عدد من الباحثين ناقشوا قضية تأثير الأدب العربي في النهضة الأوربية الحديثة - راجع د/ سهير القلماوي - ألف ليلة وليلة + د/ سيجريد هونكة - فضل العرب على أوروبا - ترجمة د. فؤاد حسنين + د/ محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث + د/ طه وادي - القصة بين التراث والمعاصرة.

(٣) كتب تشارلز بيرو مجموعتين قصصيتين الأولى بعنوان حكايات أمي الأوزة ١٦٩٧. والثانية بعنوان أقاصيص وحكايات الزمان الماضي - كما كتب لويس كارول مجموعة قصصية بعنوان أليس في بلاد العجايب ١٨٦٥. كما كتب هانز أندرسون مجموعة من الحكايات والأساطير نشرت في الدانمرك.

(٤) هناك مؤلفات فلسفية وتربوية ظهرت منذ القرن السابع عشر الميلادي حيث ظهرت آراء جان جاك روسو وأميل زولا حول تعليم الطفل وكيفية تنشئته وفق أسس نفسية وعلمية، كما كتب جيمس جينواي كتاب التحدث للأطفال ١٧٢٠ وكتب جون بانيان كتابا حول البنين والبنات.. أما أول صحيفة خصصت للأطفال فكانت بعنوان صديق الأطفال وقد ظهرت في فرنسا في منتصف القرن ١٨.

(٥) راجع د/ على الحديدي - المرجع السابق من ص ٣٠٧ - ٣٣٢.

(٦) انظر هناء محمد المطلق - اتجاهات تربية الطفل في المملكة العربية السعودية دار العلوم للطباعة والنشر ١٩٨١ - الرياض.

(٧) راجع المؤلفات التى اهتمت بأدب الأطفال تنظيرا وتطبيقا ومنها: د. على الحديدي - في أدب الأطفال + د. نعمان الهيتي - أدب الأطفال + د. فوزي عيسى - أدب الأطفال (الشعر - مسرح الطفل - القصة) + د. أحمد زلط - رواد أدب الطفل العربي + د. أنس داود - أدب الأطفال - في البدء كانت الأنشودة + عبد التواب يوسف - الطفل العربي والأدب الشعبي + أحمد فضل شبلول - جماليات النص الشعري للأطفال + عبد الفتاح أبو معال - دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم.. الخ.

أحدُ .. سلامٌ وتحية

منـي ومن أهل العقيق سلامُ
وتحية تشدو بها الأيامُ

ومحبة في القلب تشرق كلما
مرّ النسيم ونشرُها إعظامُ

وسناء ذكرى والقلوب حزينةٌ
لما تُضيءُ تُعالجُ الآلامُ

يا أيها الجبل المنيف تحية
هذا الحديث وخطه الإلهامُ

فلأنت في التاريخ أبلغ واعظ
رفعت على أكتافك الأعلامُ

ستظل تحكي شامخاً بأصالة
لك وقفةٌ وترقبٌ وكلامُ

فيك البسالةُ والصمود حقيقة
ولديك عزاً لا نراه يُسامُ

ومن الطرائف كم رميت قلوبنا
فأسرتها ومن العيون سهامُ

من طيبة الغراء نور خالد
كشف الحقيقة وانجلى الإظلامُ

ومطالع الفجر السعيد تكاملت
وتهاوت الأوكارُ والأصنامُ

فأضاء دين الله كل مسافة
يهدي العباد بنوره الإسلامُ

إني لأحمل مشعلاً من مجدنا
الفخر فيه معادنٌ وسنامُ

أتلو المعالي .. والمدينة ثرةٌ
بالطيبات .. وبيننا أرحامُ

وفضائلٌ للدار صح حديثها
تعدو بذكر جمالها الأعوامُ

زانت لحونٌ فالشعور يبثه
قلبٌ يقول ودمعة وهيامُ

سنعيدُ ذكر .. والطيوف عديدة
شأن الكتيبة والرسول إمامُ

باعوا النفوس الى الإله ليشتروا
داراً تحار بكنهها الأفهامُ

وتقدموا وهمُ الأشاوس في الوغى
وهم الأسود فشأنهم إقدامُ

والله من فوق العباد بعينه
والمنجيات الدين والصمصامُ

في وقعة للطعن فيها صولة
والنقع ثار وطارت الأحلامُ

حربٌ عبوسٌ والصحابة بُسّلٌ
وتزلُ فيها لخوفها الأقزامُ

حتى إذا شد القتالُ بخيله
والحرب يدري بحالها العلامُ

ترك الرماة مكانهم في عاجل
من أمرهم واستتات الأقوامُ

ما كان قصدهمُ التخاذل إنما
وقع الذي قد خطت الأقلامُ

علموا بأن الله ينصر جنده
بالصالحات وللحروب نظامُ

هذا هو الدرس الذي رجعوا به
فهل انتبهنا والدروس تُقامُ

ولكم تأثر عابدٌ بفعاله
لما سبته بحسنها الآثامُ

لكنّ فضل الله عمّ ركابهم
فلدينا الإفضالُ والإكرامُ

شعر : **محمد بن حمود الرحيلي** – المدينة المنورة



وهم الصحابة كالبدور وضاءة
أرواحهم للدين والأجسامُ

قل لي بربك إذ أتاك محمدٌ
معه الخيارُ وصحبه الأعلامُ

لما رأيت الفضل .. تُهت بخفة
فيها معانٍ للحبيب عظامُ

وعزفت لحناً فيه ألف عبارة
ما مثله الأشعارُ والأنغامُ

أتُلام جَوراً .. والحبيب محمدٌ
والجذعُ حنَّ .. فمن يلومُ يُلامُ

أو ما دروا أن الضلوع تكسرت
من حبها واستبك منها حطامُ

(اثبت أحدُ) .. فلقد علاك محمدٌ
هو رحمة وهداية وغمامُ

تلك الصحابة من حديث نبينا
جعلتك تسكن والجوى يلتامُ

أحد المنيف (يحبنا ونحبه)
وكستك ثوباً بالبها الأقسامُ

فارفل به بين الجبال مكرّماً
وبباب عدن للكريم مقامُ

علَّ الديار بجانبيك عوامراً
وسقى ثراك من السما أنعامُ

ما أجمل الشوق الحميم وروحه
فالذكريات بعطرها أنسامُ

فاقبل حديثي والختامُ تحية
مني ومن أهل العقيق سلامُ



الفكر والكلمة: حقيقتان متلازمتان في حياة الانسان.. وهما أبرز مظهر من مظاهر إنسانيته، وأعمق سبب من أسباب رقيه، وتطور حياته. لأن الحياة الانسانية، بكل ما فيها من مظاهر الحضارة، والمدنية، والرقي الاجتماعي.. ما هي إلا نتيجة عملية للمعرفة الإنسانية، ولقدرة الإنسان على التعلم، وانتزاع المعارف، والعلوم، واكتسابها.

ولولا وجود هذه الظاهرة الفكرية في حياة الإنسان، لما شاهدنا النشاطات الإنسانية التى تشكل صيغة الحياة المدنية والحضارية كالصناعات، والاكتشافات والعلوم، والفنون، والآداب. أي أثر أو وجود..

وما هذه العلوم، والمعارف، التى أعطت الحياة الانسانية، قيمتها وصيغتها إلا نتاج الفكر وغراس الكلمة[١].

فما نشاهده من مظاهر، ونسيج العلاقات الإنسانية التى تربط المجتمع الإنساني وتشكل صيغته.. ما هي إلا نتاج الكلمة التى نتخاطب بها، وننقل الأفكار، والأحاسيس، والمشاعر عن طريقها.. قال تعالى: {**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**} (النمل/ ٧٨).

فالفكر والكلمة نتاج «الفؤاد والسمع، والبصر» وهما يكونان في نظر القرآن الكريم ومفهومه، العنصرين الأساسيين، في بناء الحياة الإنسانية، وتشكيلها الحضاري والاجتماعي.

والكلمة أداة الإفصاح والتعبير عن الفكرة، ووعاء المعنى، الكامن في نفس الإنسان، ولولا الكلمة لما استطاع الإنسان أن يوصل للآخرين ما يفكر به.. ولولا الكلمة لما استطاع الإنسان أن يتفاهم مع الآخرين، أو يكون حياته الاجتماعية، التى استطاع أن يبني كيانها الشامخ.

فالفكر والكلمة: إذن هما قاعدة البناء الحضاري، وهما ركيزتا الحياة الاجتماعية. لذا كان اهتمام الإسلام بالكلمة بالغ الأهمية، باعتبارها الأداة المعبرة عن الفكر الإنساني.. إذ ليست الأفكار والمفاهيم، إلا عالما من الصور التى ينتجها التفكير، وينتزعها الفكر من العالم المحيط بالإنسان، أو من ترجمة الإنسان لأحاسيسه ونوازعه التى تختلج في نفسه.

وهذا العالم الصامت «الأفكار» يعيش جزيرة

بقلم : **د. أحمد عبدالرحيم السايح**

- القاهرة -

مقطوعة الاتصال والوجود عن بقية الناس.. فهو لا يستطيع الخروج عن محيطه، أو الإعلان عن وجوده. إن لم تمتد بين الإنسان وبين الآخرين، من أبناء جنسه جسور الكلمات، ومعابر الحروف. التى تعبر عليها الأفكار والتصورات التى يحملها في فكره ونفسه، لتصل الى الذين يراد إيصال الفكر المراد إليهم[٢].

ولقد وصف القرآن الكريم هذه الحقائق، وعبر عنها أدق تعبير حين سمى النطق بالكلمة «بيانا» وحين جعل البيان مرتبطا بالتعلم. قال تعالى: **{الرحمن * علم القرآن * خلق الانسان * علمه البيان}** (الرحمن/ ١-٤).

فدقة الاستعمال القرآنى تتضح في تسمية القرآن الكريم للنطق بيانا، لأن البيان هو الكشف، والإعلان، والتعبير عن المحتوى والمضمون، الذى يحمله الإنسان في فكره ونفسه[٣].

وقد يكون معلوما: أن الدعوة الإسلامية بدأت بكلمة «اقرأ».. وكلمة «القراءة» تعني الإسلام، وما فيه من تكامل، وشمول، وحيوية، وحركة، وحضارة، وعلم، ومعرفة.

والأمر في كلمة (اقرأ) يفيد القصد والاستمرار، قصد ما يقرأ، والاستمرار فيه.. والقصدية والاستمرارية التى وجدت في كلمة «إقرأ» والتى كانت أول كلمة يسمعها الرسول {صلى الله عليه وسلم} من وحي السماء، لم تتوفر في كلمة أعلم أو تعلم.. لأن العلم يعنى الوقوف عند المعلوم، بخلاف كلمة «اقرأ» فهي أكثر دلالة على العلم، والمعرفة، وما يدفع إليهما، وما يدور حولهما[٤].

فأول آيات القرآن نزولا تدعو الى القراءة «اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم}[٥] (العلق/ ١-٥).

وآيات كثيرة من القرآن الكريم، يقسم الله فيها بالقلم، والكتاب المسطور. قال تعالى: **{ن والقلم وما يسطرون}** (القلم/ ١).

فالله سبحانه وتعالى أقسم بالقلم والكتب، فتحا لباب التعليم بهما، ولا يقسم ربنا إلا بالأمور العظام.. فإذا أقسم بالشمس والقمر، والليل والفجر.. فإنما كان ذلك لعظمة الخلق، وجمال الصنع.. وإذا أقسم بالقلم والكتب، فإنما كان ذلك ليعم العلم والعرفان الذي به تتهذب النفوس، وترقى الشئون الاجتماعية والعمرانية[٥].

والتعلم بالقلم من أعظم نعم الله على عباده. إذ به تخلد العلوم، وتثبت الحقوق، وتعلم الوصايا، وتحفظ الشهادات، ويضبط حساب المعاملات الواقعية بين الناس.. وبذا تقيد أخبار الماضين

للباقين اللاحقين.. ولولا الكتاب لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، ودرست السنن، وتخبطت الأحكام، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف.

وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم، إنما يعتريهم من النسيان الذى يمحو صور العلم من قلوبهم، فجعل لهم الكتاب وعاء حافظا من الضياع، كالأوعية التى تحفظ الأمتعة، من الذهاب والبطلان[٦].

وما أروع لفظ {وما يسطرون} حيث يشمل كل فنون الكتابة، والتعبير، عما في الضمير بالرسم والتصوير، ويشمل كل آلة أو نظام استحدث للتوصل الى ذلك من آلات ومعدات حدثت أو ستحدث[٧].

وكان الرسول {صلى الله عليه وسلم} يشجع على التعليم بعمله وقوله. فقد كان يطلق سراح الأسرى المتعلمين من الكفار، إذا علموا بعض المسلمين القراءة والكتابة. حرصا من الرسول عليه الصلاة والسلام، على ذيوع التعليم ونشره بين جمهرة المسلمين.

وبدا ذلك واضحا بعد أن وضعت الحرب أوزارها في معركة بدر الكبرى، حيث كان في الأسرى من يكتب، ولم يكن في الأنصار من يكتب «فكان منهم من لا مال له فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة، ويخلى سبيله»[٨].

ولم يفت الرسول {صلى الله عليه وسلم} أن يعطى المرأة حظها ونصيبها في تعليم القراءة والكتابة. فقد سأل الشفاء العدوية. أن تقوم بتعليم زوجه السيدة حفصة: القراءة والكتابة، ضارباً بذلك أحسن الأمثال لأمته في وجوب تعليم الفتاة[٩]. لتقوم بدورها في حركة الحياة.

والتاريخ يحدثنا: أنه حينما جاء الإسلام، كان عدد من يعرف القراءة والكتابة من أهل قريش سبعة عشر رجلا.. لكن الدين الاسلامي شجع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة وإجادتهما. فبدأت القراءة والكتابة تنتشران في جزيرة العرب.

وكان المسلمون إذا أرادوا تعليم أبنائهم، أرسلوهم الى الكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة، أو الى المساجد ليحضروا ما بها من حلقات علمية ودينية، أو الى بيوت العلماء لتلقي العلم عنهم، أو الى المكتبات والحوانيت التى تباع فيها الكتب، للبحث، والقراءة، والاطلاع، والاتصال بمن فيها من العلماء والأدباء. أو الى المنتديات الأدبية، وقصور الخلفاء، والأغنياء، والأمراء، لاستماع ما يلقى فيها من المحاضرات، والمناظرات، والقصائد الشعرية، أو الى البادية للأخذ عن الشعراء، وكتابة ما جادت به قرائحهم من الشعر والنثر[١٠].

فاهتمام الناس بدعوة الاسلام الى التعلم والكتابة، والاستجابة لآيات القرآن الكريم جعلت الناس يتقدمون في القراءة والكتابة، ليبرز الى الوجود «فن الكتابة» ليواكب ازدهار الحضارة الاسلامية.

وفن الكتابة هو ابن شرعى للحضارة الاسلامية، فلم يكن للعرب به سابق خبرة أو معرفة، ولم يكابدوه، أو يحاولوه، وإن كان بعضهم يعرف القراءة والكتابة «ومن ثم فإن الكتابة بقوتها

ومـوضـوعـاتهـا اسـتـجـابة مـبـاشـرة لرسـالة الإسلام»[١١].

ومن الثـابت لدى البـاحـثين: أن العرب ـ قـبل الاسـلام ـ عرفـوا الشـعـر، ونبـغـوا فـيـه، وجـوّدوا في موضـوعات تقليدية من مديح، وفخـر، ورثاء وهجـاء، ومحاورات، ووصف ، في نطاق البيئة العربية[١٢].

ولقد عرف العرب أيضاً في جاهليتهم الخطابة بموضـوعـاتهـا المختلفـة، كمـا عـرفـوا المحـاورات والمناظرات.. لكن مـعـرفـة العـرب الكتـابة كـفن حضـاري، جـاءت بعد الدخول في الإسـلام، وتنوق الآيات القرآنية.

ولم يأت فن الكتابة نتيجة لتفاعل الحضـارات في مـخـتلف العلوم والفنون، الذي قـد أخـذ دوره في محيط الحضارة الاسلامية، ولم يكن من واقع تأثرات النماذج والمخالطة، إنما كان أثرا حضاريا من آثار الاسـلام البـارزة.. عـرفـه العـرب في ظل الإسـلام. فظهـرت رسـائل فنية «الإنشـاء»بليـغـة الصـنـاعـة، ونسـتطيع أن نضـرب مثـالا برسالة كـتبـهـا الحسن البصري الى الخليفة عمر بن عبد العزيز وصف فيها الإمام العادل، وذلك بقوله: «اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جـعل الإمـام العـادل قوام كل مائل، وقـصـد كل جائر، وصـلاح كل فاسد، وقـوة كل ضـعيف، ونصـفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف.

والإمـام العـادل يا أمـير المؤمنين. كـالراعي الشـفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مـواقع الهلكة، ويحـمـيـهـا من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني على ولده، يسـعى لهم صـغـارا، ويعلمـهـم كـبـارا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمـام العـادل يا أمـيـر المؤمنين، كـالأم الشـفـيـقة البـرة بولدها، حملتـه كرها ووضـعـتـه كـرهـا، وربتـه طفـلا، تسـهر بسـهـره، وتسكن بسكونه، ترضـعـه تارة، وتفطمـه أخـرى، وتفـرح بعـافـيـتـه، وتغـتـم بشكايته[١٣].

وعلى هذا النمط، وفي نطاق ذلك عـرفت الكتـابة على يد العـرب، ولكن تحت راية التربية الاسـلامـيـة. ولا شك أن العرب قد تحولوا تحولا حضاريا راقيا مرموقا بعد إسلامهم، فظهرت عندهم ظاهرة الكتابة التي هي في جوهرها الثمرة الأولى. لما يمكن أن تؤديه العـقـيـدة الجـديدة لهم، من تقدم عقلي، وتطور ثقافي[١٤].

وتتـسـع رقـعـة الدولة الإسـلامـيـة، ويدخل في الإسـلام أجناس عديدة وتكبر مسئولية الخليفة الذي لا يجد بُداً من أن يستعين بالكتاب، فيلمع بين كتاب الأمويين عبد الحميد بن يحيى الذي لقب بعبد الحميد الكاتب[١٥].

** الكلمة.. أداة الافصاح ووعاء المعنى.

** الفكر والكلمة.. قاعدتا البناء الحضاري.. وركيزتا الحياة الاجتماعية.

** الإسلام دعا للقراءة والكتابة.. وجعل الكون كتاباً مفتوحاً على المسلم تدبره.

** في مجال الكتابة والابداع ظهر أعلام من الكتاب احتضنهم الفكر الاسلامي.

وعبد الحميد لم يكن عربيا، وإنما كان فارسيا، غير أن ثقافته كانت إسلامية فهو على بلاغته كانت كل حياته الثقافية مستمدة من ثقافته الإسلامية.

لقد كان عبد الحميد إماما للكتابة بحق، ولو أنه لم يبدأ من فراغ، فقد سبقه الى مكابدة الكتابة، كثيرون من البلغاء العرب مثل: يحيى بن يعمر السعدواني، وقطريّ بن الفُجاءة[١٦].

إن عبد الحميد بثقافته الإسلامية العربية قد أصبح إماما للكتاب ورائدا للكاتبين. سما بالكتابة، وأكبر من شأنها، ووضع للكتاب دستوراً مليئا بالنصائح، مشتملا على الصفات التى ينبغي أن يتحلى بها الكاتب، من علم وفير، وخلق جميل، فيقول في رسالة له مخاطبا الكتاب: «وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها، ومساوى الأمور ومحاقرها، فإنها مذلة للرقاب، مفسدة للكتاب، ونزهوا صناعتكم، واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الدناءة والجهالة»[١٧].

لقد أصبحت الكتابة أسمى المهن مكانا، وأصبحت وظيفة الكاتب هي نفسها وظيفة الوزير. عقل الدولة المفكر، وعينها المبصرة، وأذنها السامعة، وقلبها النابض، وأصبح يهزم الكتائب، ويذل المتكبرين، وينتصف للمظلومين.. كل ذلك لهذه الظاهرة الحضارية.

وتلتمع في نطاق الكتابة شخصيات، وتسمو بيوتات لم تكن عربية، ولكن الثقافة العربية والعلوم الإسلامية، قد صقلت عقولها، وثقفت حواشيها، فجعلتها في أسمى مكان في الدولة، وهي مكانة الوزارة. فالبرامكة الذين أسهموا إسهاما فعليا في إنشاء دولة بني العباس ابتداء بخالد البرمكي، ثم بابنه يحيى بن خالد، ثم بأحفاده جعفر والفضل.. كل هؤلاء لم يكونوا عربا، وإنما هم أبناء الثقافة الإسلامية، والمعرفة العربية: فأصبحت الحكمة تجرى على ألسنتهم، والنبوغ ينبع من عقولهم. وأخبار البرامكة في نطاق القول كلها سيالة، وفي نطاق العمل كلها حكمة في بناء الدولة[١٨].

لقد رفعت الكتابة من شأن البرامكة. ولم يكن البرامكة وحدهم الذين تملكوا زمام الأمور بالكتابة والثقافة. فقد كان هناك أعلام غيرهم، سلاح كل منهم المعرفة والثقافة، وقد تأهلوا بمؤهلات علمية، ثقافية عربية إسلامية.. ومؤهلات شخصية لحمتها

الأخلاق، وسدتها الشمائل، ولبناتها العفة والنظافة والعطف والأمانة[١٩].

وقد ساعدت الكتابة العربية في ظهور فنون حضارية رائعة، واكبت التقدم الانساني، حيث برزت رسائل الدواوين، وما كان يجرى على شكل محاورات، ومساجلات، ومناظرات، واسهمت الكتابة العربية في فن الفكاهة، الذي يسرى عن النفوس، وينفض عنها غبار الهموم، ويواسى القلوب المتعبة.

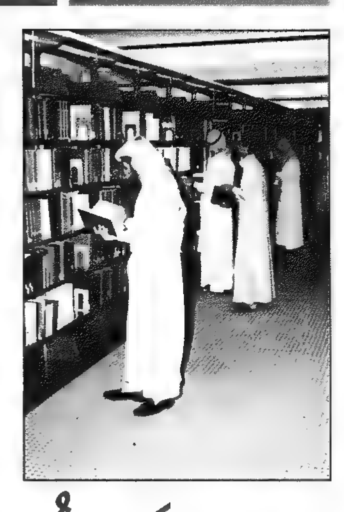
واسهمت الكتابة العربية من خلال أقلام، وأفكار، وأعماق، في إيجاد قصة عربية قصيرة، مكتملة أسباب النضوج الفني، والبناء القصصي، من موضوع، وهدف وإثارة، وتحول، ومفاجأة، والتفات، وأخذ بأسباب الوجدان.

وبديع الزمان الهمذاني كتب قصصه القصيرة التى أسماها «مقامات» وهو مقيم في (نيسابور) سنة ٣٨٣هـ، وقام الكتاب بإنشاء مقالات تستهدف إصلاح المجتمع، وتوطيد أركان الأمن وتدعيم أواصر الأخوة بين الناس.

وتمضي الكتابة بنت العقل، وربيبة التعلم: الظاهرة الحضارية التى تنشر الإصلاح والخير، وتنمي الإحساس الجمالي للحياة، وتعمل على البناء السلوكي والاجتماعي القويم.

الهوامش :

(١) سلسلة مفاهيم إسلامية «أهمية الكلمة في الاسلام» ص٧ ط القاهرة.
(٢) مفاهيم اسلامية «أهمية الكلمة في الاسلام» ص٨.
(٣) مفاهيم إسلامية ص ٠٩
(٤) انظر: أحمد السايح «منبر الاسلام» العدد السابع المجلد ٤٠ القاهرة.
(٥) المراغي تفسير القرآن الكريم ج ١٩ ص ٢٧ ط القاهرة.
(٦) القاسمي (تفسير القرآن الكريم) ج ١٧ ص ٦٢٠٩ ط القاهرة.
(٧) الشيخ حجازي (التفسير الواضح) ج ٢٩ ص ١٣ ط القاهرة.
(٨) أبو القاسم السهيلي (الروض الأنف) ج٢ ص ٩٢ ط القاهرة.
(٩) محمد عطية الأبراشي - «التربية الاسلامية» ص ٣٦ ط الدار القومية القاهرة.
(١٠) المصدر السابق ص ٠٤٨
(١١) الدكتور الشكعة (معالم الحضارة الاسلامية) ص ٢٢٢ ط دار العلم للملايين بيروت.
(١٢) الدكتور الشكعة: (معالم الحضارة الاسلامية) ص ٠٢٢١
(١٣) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ج١ ص ٣٩ ط القاهرة.
(١٤) الدكتور الشكعة (معالم الحضارة الاسلامية) ص ٠٢٢٤
(١٥) الدكتور الشكعة (معالم الحضارة الاسلامية) ص ٠٢٢٥
(١٦) الجاحظ: البيان والتبيين ج٢ ص ٢٣١ تحقيق عبد السلام هارون، ط القاهرة.
(١٧) الجهشياري (الوزراء والكتاب) ص٧٦ ط الحلبي القاهرة.
(١٨) الدكتور الشكعة (معالم الحضارة الاسلامية) ص ٢٢٨ ط بيروت.
(١٩) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٧٤ - ٧٩ حيث توجد رسالة لعبد الحميد الكاتب تضمنت المؤهلات التى تؤهل الكاتب للكتابة.





الكتَابُ مَلِكُ المعرفة المتـــــوج

إن الإنتاج الفكري للبشرية الذي تداوله الناس على وسائط خارجية هو وحده الجانب العام من المعرفة الذى أمكن الانتفاع به من خلال حفظه وتداوله في الكتب وأمكن للإنسان أن ينتفع بما وصل إليه أقرانه المعاصرين أو السابقين له بقرون طويلة أما المعرفة الخاصة التى تنشأ في عقل الفرد وتموت بموته دون أن تنتقل الى الآخرين فهي صفحة لا تقبل التداول في فكر البشر لأنها لم تحفظ عبر وسائط التداول المعرفية الخارجية.

ولو اقتصرت معرفة الانسان على الجانب الخاص لاستحال وجود تفاعل فكرى وتبادل الخبرات بين الناس وفقدت البشرية ما يعرف بالموروث الفكري والمعرفي

ولا شك أن وسائل حفظ المعرفة قديمة قدم المعرفة ذاتها منذ أدرك الإنسان البدائي أن عقله على سعته لا يصلح لتخزين المعارف والتجارب بعد الموت مما جعله يبحث عن وسائط مثالية لاختزان المعرفة وتبادلها وحفظها ونقلها للأجيال القادمة.

ومنذ أن عرف الإنسان الورق كوسيلة للكتابة حسم صراع الوسائط لصالح الكتاب المقروء فأصبح هذا الكتاب حامي حمى المعرفة وحافظ سرها الأمين. وازداد سلطان الكتاب قوة باختراع الطباعة ـ جوتنبرغ ـ ١٤٧٥م ويبقي الكتاب وسيلة اختزان المعارف وحفظها طيلة هذه القرون المتطاولة من عمر البشرية.

والذي يبدو أنه مثلما الأيام دول متعاقبة فإن الوسائط أيضاً دولٌ تحكمها سنن التغير والتدافع كالمجتمعات فها نحن ندلف الى القرن الحادي

بقلم : **محمد علي حسين الحريري** - مكة المكرمة

والعشرين الميلادي وقد ظهرت وسائط جديدة كإفراز منطقي للتقدم العلمي الهائل في مجال تقنية المعرفة والاتصالات وتبادل المعلومات.

لقد اعتبر الورق لحظة اكتشافه نقلة نوعية في عالم الوسائط فضحت عيوب البردي وارتفعت الأصوات تطالب بترك البردي واستخدام الورق بدلا منه لتصبح المكتبات بصفوف الكتب المتراصة عنوان التقدم العلمي والمعرفي.

إن كتاباً واحداً من الورق كان مضمونه يشغل حجرة كاملة من (الألواح والحجارة والأكتاف والعسب واللخاف) من وسائط ما قبل الورق ويتضح ذلك من حجم المصحف قبل جمعه عندما كان يملأ حجرة في بيت حفصة رضي الله عنها.

والكتاب الأليكتروني المعاصر قد يتسع مفهومه ليشمل كل الملفات المقروءة آلياً ويحتوي بين دفتيه مكتبة جامعية كاملة أمكن بالتقنية المعاصرة ضغطها في قرص أو عدة أقراص لا تشغل في حجمها مقدار كتاب عادي واحد.

إن الكتاب المطبوع هو وحدة فكرية تعكس فكر شخص أو أشخاص قاموا بإعدادها وقولبتها ثم دلف هذا الكتاب الى المطابع ليجد طريقه الى مستفيد آخر يقرأ الكتاب وكأنه رسالة مطبوعة من مؤلف الكتاب وكان الناشر وسيطاً كساعي البريد.

وهذا المعنى المتعارف عليه للكتاب ينطبق تماماً على مصطلح جديد أفرزته التقنيات المعاصرة وهو ما يعرف بالكتاب الالكتروني ، الذي قد يكون له نظير مطبوع أو يكون اليكتروني الأصل والمنشأ.

إن تصاعد التطورات المتسارعة في عالم الاتصالات والمعلومات والألكترونيات أوجد تصوراً أو اعتقاداً بأن الكتاب المطبوع وأدوات ووسائل متعددة أخرى سوف تزول من حياتنا اليومية أو تتلاشى حاجتنا إليه في ظل الانترنت والكمبيوتر.

وقد بدا ذلك واضحاً من خلال العزلة والانكماش الذى يتعرض له الكتاب المطبوع أمام التفوق الكاسح للفضائيات والتقنيات المتطورة. وأصبح الكتاب الالكتروني منافساً قوياً للكتاب المطبوع في معارض الكتب في جميع أنحاء العالم.

لقد تجاوزت التقنيات المتطورة آفاق خيالنا فرحنا نلهث خلف مهارات الآخرين وإبداعهم كي نمسك بآخر عربتهم المنطلقة بسرعة في مجال التفوق التقني الذى تجري فيه الدول المتقدمة ففي كل يوم وربما في كل ساعة يبرز ابتكار علمي جديد يشكل لنا مفاجأة مدهشة لبعدنا عن ميدان السباق ومضماره الذى تجرى فيه أوروبا وأمريكا واليابان وهناك دول أخرى تحاول أن تصنع شيئا أما أغلبية البشر فهم متفرجون.

الكتاب الأليكتروني واحد من انجازات المعلوماتية المتطورة قدمته مطلع عام ٢٠٠٠م شركة (جيمستار) الأمريكية ليحدث انقلابا في المفاهيم المتعلقة بدور النشر والكتاب التقليدي. فقد فتح الكتاب الأليكتروني عصر القراءة الآلية التي ستسيطر قريباً على كل ساحة المعرفة لأننا في الطريق لتحويل كتبنا كلها إلى أشرطة اليكترونية.

صحيح أن تكلفة الكتاب الالكتروني قد تكون مرتفعة إذا قيست بالكتاب التقليدي كما أن الكتاب الاليكتروني لا يزال في حوزة النخبة الذين يمكنهم الاتصال بشبكة الانترنت مما يجعله بعيد المنال عن أيدى عامة القراء.

وتمكنت فرنسا من طرح أول كتبها الاليكترونية في يناير ٢٠٠١م وكان هذا الكتاب عبارة عن جهاز يشبه لوحاً صغيراً أبعاده ٢١ ـ ١٦ سم ويصل وزنه

الى ٩٠٠ غرام يحمل شاشة وأربعة أزرار يمكن ربطه مع أي جهاز حاسوب يستوعب ١٥ ألف صفحة أي أن بوسعه تخزين ثلاثين كتاباً كل كتاب ٥٠٠ صفحة تقريبا ويمكن بواسطة الأزرار الأربعة الموجودة على أطراف الكتاب تقليب الصفحات في الاتجاهين مما يمكن به أن يكون كتاباً عربياً وتساعد الأزرار الأخرى في تحديد الضوء على الشاشة والتحكم بحجم حرف الكتاب ويقول مخترع الكتاب بإمكانية عمل الكتاب بالبطارية لبضع ساعات كما يمكن وصله بالأنترنت لإنزال الكتب الموجودة عليها في الكتاب الاليكتروني بعد الاتفاق طبعاً مع دور النشر الاليكترونيه[١].

إن الكتاب الالكتروني قد يتسع مفهومه ليشمل كل الملفات المخزونة آلياً والتى يمكن قراءتها ولكن المقصود هنا هو كون الكتاب ذا أصل مطبوع رأى ناشروه إظهاره بشكل أليكتروني وكما هو شأن الناس فقد انقسم البشر الى فريقين تمسك أحدهما بالكتاب التقليدي مهملا دور الالكترونيات في حفظ المعرفة وتداولها بينما نادى الفريق الثاني بترك الرصيد المعرفي المطبوع وضرورة نسخه وحفظه على الوسائط الاليكترونية وهذه الدعوى العريضة ترجع الى أكثر من خمسين سنة فقد نادى بها في الغرب عام ١٩٥٠م أحد أساتذة جامعة كاليفورنيا مأخوذاً بالتقدم الهائل في الوسائل السمعية البصرية. وربما يتناسى هذا الفريق أن إلغاء الكتاب الورقي المطبوع وحصر المعرفة بالصورة الاليكترونية إنما هو إجهاض للذاكرة وقضاء على ما تبقى من العقل البشري الذي سلم نفسه لعالم الأقراص.

لقد صمد الورق أمام عواصف متعددة ثارت في وجهه منذ ظهور المصغرات الفيلمية وامكانية تصوير المخطوطات حتى راح بعض الناس الى القول بإمكانية التخلص من الورق نهائياً، وهذا من المحال أن يحدث لأن الورق موضوع الكتابة رافق وجود الانسان منذ احتاج الانسان الى الكتابة والتوثيق في حياته.

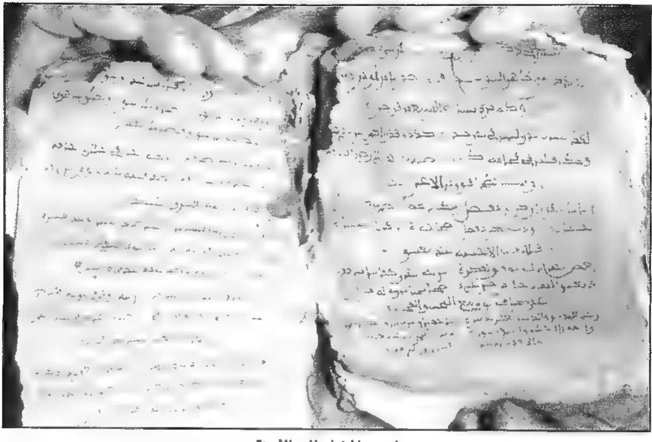
إن هناك علاقة صداقة ومحبة ووئام بين الإنسان والكتاب الورقي وهي علاقة وجدانية فالعقل البشري يكره الاضطراب ويضيق صدره بالزخم المعلوماتي الذى وصل الى حد التفجر. ليتخيل أحدنا قاضياً طلب شهادة خبير في قضية معينة فجاءه هذا الخبير بملف شهادته محتوياً على أكثر من (٢٠ ألف) صفحة تتضمن حيثيات القضية وأبعادها فماذا يصنع القاضي؟ لابد أنه سيحيل القضية للحفظ ولن يفصل فيها.

وحقيقة الأمر أن الصراع بين الكتاب الالكتروني والمطبوع ما هو إلا صورة من الصراع الفلسفي بين القديم والحديث وبين الأصالة والحداثة وهو صراع لا يمكن التكهن بنتائجه في معظم الأحيان لتباين المعايير التى تحدد الفوز والهزيمة ولوجود تغذية راجعة لتغذية الفريقين وتدعم استمرارية الصراع، وحتى هذه اللحظة لم يقل أحد بفوز تيار الحداثة بملامحه وعتاده وأصواته العالية كما لم يستطع أحد القول أن نعصب أعيننا عن مظاهر التقدم التزاماً بالتقليدية المحضة.

والموقف الحق الذي يحفظ تشتت الجهود في رصد مالا يجدي رصده هو إمكانية التوافق والتعايش والتصالح بين الطرفين المتخاصمين فكليهما يخدم المعرفة البشرية في مجاله ولا حاجة بنا لترجيح أحد الجانبين على الآخر.؟ بل لماذا نصر على التلذذ والتشفي بهزيمة أحد الأطراف ونهلل لفوز الآخر عليه مع إمكانية التعايش بين جميع وسائط المعرفة.

إن حياتنا تشهد عدة صور من التعايش بين متضادات كثيرة فلم تلغ العدسات اللاصقة النظارات التقليدية ولم تلغ المصاعد الكهربائية الأدراج والسلالم التقليدية إنها بدائل لا يغني وجود أحدها عن الآخر وقد كان أجدادنا يقولون (ما تحتاجه يوماً حافظ عليه دوماً). وهذه بطاقات الصرف الآلي نحملها في جيوبنا مع النقود التقليدية دون افتعال صراع بينهما فالقضية محسومة لصالح كل البدائل ولو أن الكتاب الاليكتروني ما يزال وليداً لم يقطع حبله السري[٢].

إن الكتاب الورقي المطبوع لازال متربعاً على



إحدى المخطوطات الثمينة

عرش الوسائط المعرفية لأنه يعبر بمحتواه عن كل جوانب المعرفة وهو سهل القراءة قابل للتنقل يملكه الغني والفقير ولا يحتاج لأجهزة أخرى للاستفادة من مضمونه، أما الكتب الالكترونية فمازالت محصورة في بعض القطاعات وفيها بعض الصعوبات في قراءتها وامكانية نقلها وتبادلها وليست بمتناول عامة الناس، وإن كانت هذه الالكترونيات أسرع في الوصول الى المعلومة ولكن هذا يذهب بلذة البحث والتنقيب. ولا تتجاوز مبيعات الكتب الالكترونية ٥٪ تقريباً من مبيعات الكتب المطبوعة في معارض الكتب العالمية.

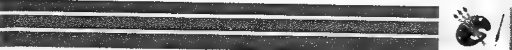
من الصعب جداً كما يبدو إلغاء الكتاب التقليدي من حياتنا في المستقبل المنظور فما يزال هذا الكتاب أهم عناصر الثقافة عند بني البشر وقد تبين لنا أن ما بشّر به بعض المتفائلين في الثمانينيات الماضية من شركات نشر بلا ورق وكتب بلا ورق ومكاتب بلا ورق غير صحيح. فما يزال الكتاب على عرشه وإن كان بحاجة في عالمنا العربي الى جودة الإخراج وتصحيح الطباعة ومزيد من الاهتمام.

إن قراءة متأنية لأرقام مبيعات الكتب لا تزال تخبرنا بما معناه أننا لسنا قراء جيدين ولا يشكل الكتاب جزءاً هاماً في حياتنا وعلى سبيل المقارنة - ينفق الألمان سنوياً ١٨ بليون مارك لشراء الكتب التى لا يلقونها في المهملات بعد قراءتها وعلى قارعة الطريق بينما يلقي أبناؤنا بعد انتهاء الاختبارات - بكتبهم ودفاترهم وأقلامهم وشنطهم - جملة واحدة في الهاوية معلنين غضبهم على العلم والمعلم والكتاب والدفتر وعلى كل ما له صلة بهذا الأسلوب في كسب المعرفة.

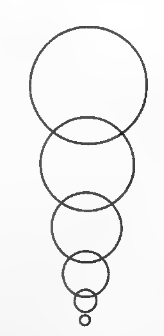
الهوامش :

(١) ملحق الأربعاء الثقافي ١٥ شوال ١٤٢١هـ

(٢) جريدة الوطن - العدد ٦٤/ ٦ رمضان ١٤٢١هـ



الإسلام والفنون الجميلة



(الحلقة الأخيرة)

على مدى سبع حلقات متتاليات ـ هذه آخرها ـ عرض الأستاذ الدكتور محمد عمارة لموضوع «الفنون الجميلة.. ورأي الاسلام فيها»..

من رسم ونحت وتصوير.. منطلقاً من قاعدة ان الجمال ترغبه النفس.. وهو مركوز في فطرتها.. وان الاسلام رغَّب فيه، بشروطه ومقتضياته.

في هذه الدراسة العلمية القيمة عرض الدكتور عمارة لوجهتي النظر القائلتين بـ (الحل ـ أو ـ الحرمة).. مسجلا أدلة ومستندات كل فريق منهما.

وطرح الموضوع ايضاً من جانبي (الضرورة الاجتماعية أو التربوية أو التوثيقية) المبيحة لهذا النوع من الفن أو ذاك.. والى (الضرر المحقق أو المحتمل على العقائد) وهذه الدراسة لأهمية موضوعها تستحق من الدارسين المختصين النظر اليها..

ويبقى رجاؤنا موصولا مع الاستاذ الدكتور عمارة أن يمد المنهل بجديده المتواصل دائما..

وله الشكر موصولا..

- المنهل -



بقلم المفكر الإسلامي : **أ.د. محمد عمارة**

- مصـــر -

وإذا كان لنا أن نشير الى موقف الفقهاء من هذه القضية.. قضية «الفنون الجميلة» بعامة، و«فنون التشكيل» على وجه الخصوص.. فمن المهم أن ننبه على أن كثيرين من الفقهاء في فكرنا الإسلامي قد انحازوا الى صف التحريم لهذه الفنون، بدءا من الغناء والموسيقى وانتهاء بالرسم والنحت والتصوير.. **وأن هؤلاء الفقهاء، الذين اختاروا موقف «المنع .. أو الكراهة.. أو التحريم» قد وقفوا عند حرفية وظواهر المأثورات التي منعت أو حرمت هذه الفنون، رغم العلل التي قدحت وتقدح في صحتها**، ولم ينحازوا الى المأثورات التي أباحت هذه الفنون.. وذلك فضلا عن أنهم لم يقدموا التفسير الذي يربط المأثور بملابسات قوله، وبالعلة والحكمة التي يجب أن يدور معها حكمه وجودا وعدما.. إن هؤلاء الفقهاء قد وقفوا هذا الموقف، لا غفلة منهم ولا تقصيرا - كما قد يحسب الذين يسيئون الفهم والتفهم - وإنما كان ذلك لأسباب .. في مقدمتها:

أ - أن هذه الفنون، في تاريخنا الحضاري، سرعان ما غلبت عليها علل المجون والتخنث وانحرافات الفساق، حتى غدت معاول للهدم وشراكا للترف الذي أصاب قوى الأمة وقدراتها بالتفكك والانحلال.. حدث ذلك في دوائر الكبراء.. والسراة.. والعامة على حد سواء.. بل لقد استخدم بعض القادة والكبراء فنون الانحلال سلاحا يشل قدرات الأمة عن المعارضة والتطلع الى السلطة والسلطان.

ب - أن التصوف الفلسفي - ذا المنطلقات والجذور «الغنوصية - الباطنية»، قد ذهب به الغلو في استخدام «السماع» و«الوجد» وذهبت به تصورات «الحلول» و«الفناء» و«وحدة الوجود» الى الحد الذي جعل هؤلاء الفقهاء - وهم الأعداء الألداء لهذا التصوف - يرون في هذه الفنون شراكا تغبش عقائد الأمة وتعطل طاقات الإبداع لدى أبنائها.. لقد عادت هذه الفنون - بنظر هؤلاء الفقهاء - مرة أخرى الى دائرة المنع والتحريم عندما دارت علل الأحكام فيها الى دائرة الضرر، المحقق أو المحتمل، على العقائد والشرائع، كما كان الحال عندما ظهر الاسلام.

تلك هي - في تقديرنا أسباب انحياز كثير من فقهاء تلك العصور، التي غلبت على فنونها هذه التحولات، انحيازهم الى القول «بالتحريم».. وهي أسباب تؤكد على صدق المنهج الذي نعالج به موقف الإسلام من هذه الفنون.

ومع ذلك.. فإن التاريخ الفكري للفقه والفقهاء،

في حضارتنا، لم يخل من مواقف فكرية - بل وممارسات عملية - إيجابية لعدد من أعلام الفقه والأصول إزاء هذه الفنون.. لا الغنائية فقط، كما أسلفنا الإشارة الى نماذجهم - كابن حزم والغزالى مثلا - وإنما أيضا إزاء فنون التشكيل.

إن قطاعا هاما من المفسرين للقرآن الكريم، ومن الفقهاء - وخاصة فقهاء المذهب المالكي - **قد أباحوا التصوير والنحت، إذا كانت لهما ضرورة اجتماعية أو تربوية..** وعلى سبيل المثال:

* فالمفسر: **النحاس، أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادى** (٣٣٨هـ/ ٩٥٠م) يحدثنا عن أن قوما من المفسرين والفقهاء قد قالوا: «إن عمل الصور جائز» وأنهم استدلوا بالآية التى جعلت من صنع التماثيل لنبى الله سليمان نعمة من نعم الله (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل).. واستدلوا كذلك بصنع المسيح عيسى بن مريم، عليه السلام، بأمر الله، لتماثيل الطير (.. أنى قد جئتكم بآية من ربكم، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله)[١].. فعيسى قد صنع تماثيل للطير من الطين، وجاز ذلك عندما لم تكن شبهة وثنية تلحق بالعقائد بسبب هذه التماثيل.

* **ويحدثنا المفسر الأندلسي:**

مكى بن حموش (٣٥٥ - ٤٣٧هـ/ ٩٦٦ - ١٠٤٥م) في كتابه (الهداية الى بلوغ النهاية) - وهو سبعون جزءا في معاني القرآن وتفسيره - يحدثنا عن «أن فرقة تجوز التصوير»، مستدلة بهذه الأدلة ذاتها[٢].

* **والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى (٦٧١هـ/ ١٢٧٣م) يشير الى اجتهاد فقهاء المذهب المالكي بجواز التماثيل عندما تقتضيها ضرورات التربية،** وذلك مثل تربية البنات، التى تستدعى تعويدهم على اللعب بالدمي - من «عرائس» وغيرها - فيقول: «وقد استثنى من هذا الباب (باب الخلاف في التحريم .. أى أن هذا المستثنى متفق على حله) - لُعب البنات، لما ثبت عن عائشة أم المؤمنين أن النبي [صلى الله عليه وسلم] تزوجها وهى بنت سبع سنين، وزفت اليه وهي بنت تسع، ولعبها معها.. قالت: كنت ألعب بالبنات (أى اللُّعب - الدمى - العرائس) - عند النبي، وكان لي صواحب يلعبن معى، فكان رسول الله إذا دخل ينقمعن - (أي يتغيبن مختفيات وراء الستر) - منه، فيسربهن - (يبعثهن) - إليّ فيلعبن معى»؟![٣].

فعائشة، أم المؤمنين، تلعب بعرائسها - وهى دمى وتماثيل لأحياء آدمية - مع صواحبها.. ورسول الله [صلى الله عليه وسلم] يرى، ويرضى، بل ويبعث لها بصواحبها يلاعبنها، اذا هن اختبأن حياء منه.

وفي (**طبقات ابن سعد**) ما يفيد تنوع هذه الدمى.. فلقد كانت فيها دمى للخيل أيضا - وهى الأخرى صور أحياء - فعن عائشة ، قالت: «دخل عليَّ رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، يوما، وأنا ألعب بالبنات، فقال: ما هذا يا عائشة؟ فقلت: خيل سليمان. فضحك»[٤].

ثم يعقب القرطبي على هذه القضية، فيحكي أن العلماء قد أباحوا الدُّمى واللعب بها، للدور الذى تقوم به في التربية، وخاصة تربية البنات «حيث يتدربن على تربية أولادهن» منذ الصغر بالألفة التى تنشأ بينهن وبين دمى العرائس والأطفال[٥].. فعندما تكون المنفعة - مادية أو جمالية أو هما معا - فان الاجتهاد الاسلامى يزكى إباحة فنون التشكل.

* بل إننا واجدون لدى مجتهد آخر من مجتهدى المذهب المالكي ما هو أكثر من إباحة الصور والتماثيل، التى تتطلبها مصالح الأمة العملية وتنمية معارفها العلمية وتربية حاستها الفنية وتهذيب طباعها وسلوكها.. واجدون لدى الفقيه الأصولى الإمام القرافى، أبو العباس أحمد بن إدريس (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) الاشتغال بفن النحت والتصوير، وليس مجرد الافتاء بإباحته فقط.. فلقد تحدث عن ممارسته لفن صناعة الدُّمى والتماثيل، فقال في كتابه (شرح المحصول) **بلغنى أن الملك الكامل (٥٧٦ - ٦٣٥هـ/ ١١٨٠ - ١٢٣٨م) وضع له شمعدان - وهو عمود طويل من نحاس له مراكز يوضع عليها الشمع للإنارة - كلما مضى من الليل ساعة انفتح باب منه وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك، فإذا انقضت عشر ساعات (أى حان وقت الفجر) طلع الشخص على أعلى الشمعدان، وأصبعه في أذنه، وقال: صبح الله السلطان بالسعادة. فيعلم أن الفجر قد طلع؟!.**

يحكى الإمام القرافى عن هذا الشمعدان الذى استخدمت فيه التماثيل - تماثيل الإنسان - آلة يقاس بها الزمن، وفيها الحركة والصوت معا.. ثم يعقب فيتحدث عن تجربته هو في صنع شمعدان مماثل، به الى جانب تمثال الإنسان، تمثال أسد، فيقول: وعملت أنا هذا الشمعدان، وزدت فيه: أن الشمعة يتغير لونها في كل ساعة، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد الى البياض الشديد الى الحمرة الشديدة، في كل ساعة لها لون، فإذا طلع شخص على أعلى الشمعدان، وأصبعه في أذنه، يشير الى الأذان - غير أنى عجزت عن صنعة الكلام[٦].

فهنا .. فقيه مجتهد، وأصولى بارز، يمارس صناعة الفن التشكيلى، فكان مَثَّالا، يصنع تماثيل الإنسان والحيوان، وفي صنعته هذه تتّابع وتتعدد الألوان.. جمالا ينفع الانسان، المنفعة المادية والجمالية كليهما.

وهكذا .. فالى جانب الذين منعوا التصوير والنحت، في تراثنا الفقهى، كان هناك الذين أباحوا هذا الفن، بعد أن أمنت الأمة خطر الشرك وعبادة هذه التماثيل والصور. بل وكان هناك الفقهاء المجتهدون الذين مارسوا هذه الصناعة، فكانوا «فقهاء - مجتهدين - فنانين».

وفي العصر الحديث :

عندما شرعت مدرسة التجديد والإحياء الدينى تزيل عن الفكر الاسلامى غبار عصور الجمود والتراجع الحضارى - المملوكية العثمانية - وجدنا واحدا من أبرز مهندسى ذلك التجديد، وهو الأستاذ **الإمام الشيخ محمد عبده** (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م)

يطرق هذا الباب، باجتهاده وتجديده، فيعلن مباركة الإسلام للفنون الجميلة، منبها على دور فنون التشكيل - رسما ونحتا وتصويرا - دورها النافع والضروري في تسجيل معالم الحياة وحفظها، وفي ترقية الأذواق والحواس، والاقتراب بالإنسان من صفات الكمال.

ولقد عرض الأستاذ الإمام لهذه القضية - قضية دور «الفنون التشكيلية» في حياة الأمة - أثناء سياحته في جزيرة «صقلية» سنة ١٩٠٢م.. ففي «صقلية» زار المتاحف والمقابر ومواطن الآثار التي تحفظ وتحكي، بالصور والتماثيل، آثار الغابرين، وكأنها من سجلات التاريخ.. وكان يرسل الى مجلة (المنار) فصولا يحكي فيها مشاهداته في رحلته، وفي هذه الفصول كتب عن هذه الفنون، وعرض لرأي الإسلام في الصور والتصوير والرسم وصناعة التماثيل.

والذين يتأملون الصفحات التي كتبها الأستاذ الإمام حول هذه القضية، يطالعهم الشيخ ذواقة للفن، عاشقا للإبداع الفني، مبصرا الخيوط التي تربطه بفنون العرب المألوفة لعامة الناس، الأمر الذي يضيف الى تجديده في الدين والأدب واللغة وأساليب الإنشاء قسمة أخرى تجعل له فضلا لا ينكر في السعي لتجديد حياة الأمة بمختلف سبل التجديد، ومنها الفنون.. فهو يتحدث، في شاعرية راقية، عن الرسم كفن يضاهي الشعر - الذي هو ديوان الأمة العربية منذ القدم - غير «أن الرسم شعر ساكت، يرى ولا يسمع كما الشعر: رسم يسمع ولا يرى»[٧].

ثم يعرض للحديث عن منافع هذه الفنون ودورها في حفظ تراث الأمة على مر الأزمنة، وما يعنيه ذلك من حفظ للعلم والحقيقة والتاريخ، كي تظل شاهدة فاعلة لمن يأتي من أجيال.. «فحفظ الآثار - الرسوم والتماثيل - هو حفظ للعلم والحقيقة، وشكر لصاحب الصنعة على الإبداع فيها»[٨].

ثم يأتي الأستاذ الإمام الى القضية الشائكة والخلافية.. قضية موقف الإسلام من هذه الفنون وأصحابها، فيدلي بالقول الفصل في فائدتها - ومن ثم حلها - وذلك لتغير الملابسات والمقاصد التي دعت الى نفور المسلمين منها في عصر البعثة النبوية، يوم كانت الرسوم والصور والتماثيل إنما تتخذ كي تعبد من دون الله، أو على الأقل كانت مظنة شبهة، لتعظيمها دينيا، فكان أن نهى عنها الرسول، عليه الصلاة والسلام.. أما الآن، وبعد زوال هذا الخطر بالكلية، وبعد أن لم تعد الرسوم والتماثيل مظنة شبهة العبادة أو التعظيم الديني، وبعد أن وضحت وتأكدت منافعها في ترقية أذواق الأمة، وحفظ حقائق تاريخها وعلومها، فإن رضاء الإسلام ومباركته لها، أمر لا شك فيه..

والأستاذ الإمام عندما صاغ اجتهاده هذا وسطر لنا تجديده في هذا الميدان، كان يوجه حديثه الى الناس عبر الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ/ ١٨٦٥ - ١٩٣٥) صاحب مجلة (المنار).. وكانت (المنار) تنشر هذه الفصول التي يصف فيها مشاهد سياحية دون توقيع.. وكان يتولى يومئذ منصب «مفتي الديار المصرية» ويتربع على عرش الإمامة والاجتهاد في طول بلاد العالم الإسلامي وعرضها.

وفي هذه الفصول أخذ الشيخ محمد عبده يتحدث الى الشيخ رشيد رضا، عن هذه القضية، فقال، بعد وصفه لما شاهد من الرسوم والتماثيل في متاحف «صقلية» وأديرتها وكنائسها ومقابرها وميادين مدنها، وبعد حديثه عن دور هذه الرسوم والصور والتماثيل في «حفظ العلم، وتخليده»·· قال:

«وربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام، وهي: ما حكم هذه الصور في الشريعة الإسلامية: إذا كان القصد منها ما ذكر، من تصوير هيئات البشر في انفعالاتهم النفسية، وأوضاعهم الجسمانية؟ هل هذا حرام؟ أو جائز؟ أو مكروه؟ أو مندوب؟ أو واجب؟··

فأقول لك :

إن الراسم قد رسم، والفائدة محققة لا نزاع فيها، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محي من الأذهان، فإما أن تفهم الحكم من نفسك، بعد ظهور الواقعة، وإما أن ترفع سؤالا الى «المفتي» وهو يجيبك مشافهة (لاحظ أن المفتي هو المتكلم·· وهذا جوابه؟!)·· فإذا أوردت عليه حديث: «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون»، أو ما في معناه مما ورد في الصحيح، فالذي يغلب على ظني أنه سيقول لك:

إن الحديث جاء في أيام الوثنية، وكانت الصور تتخذ في ذلك العهد لسببين: الأول : اللهو· والثاني: التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين· والأول مما يبغضه الدين، والثاني مما جاء الإسلام لمحوه، والمصور في الحالين شاغل عن الله، أو ممهد للإشراك به، فإذا زال هذان العارضان، وقصدت الفائدة، كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر في المصنوعات، وقد صنع ذلك في حواشي المصاحف، وأوائل السور، ولم يمنعه أحد من العلماء، مع أن الفائدة في نقش المصاحف موضوع النزاع، أما فائدة الصور فمما لا نزاع فيه، على الوجه الذى ذكر·

أما إذا أردت أن ترتكب بعض السيئات في محل فيه صور، طمعا في أن الملكين الكاتبين، أو كاتب السيئات على الأقل لا يدخل محلا فيه صور، كما ورد[٩]، فإياك أن تظن أن ذاك ينجيك من احصاء ما تفعل؟!، فإن الله رقيب عليك وناظر إليك حتى في البيت الذى فيه صور، ولا أظن أن الملك يتأخر عن مرافقتك إذا تعمدت دخول البيت الذى فيه صورا؟!·

ولا يمكنك أن تجيب المفتي: بأن الصورة، على كل حال، مظنة العبادة، فإني أظن أنه يقول لك: إن لسانك، أيضا، مظنة الكذب، فهل يجب ربطه؟!، مع أنه يجوز أن يصدق كما يجوز أن يكذب؟!·

وبالجملة فإنه يغلب على ظني أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم، بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين، لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل·· وليس هناك ما يمنع المسلمين من الجمع بين عقيدة التوحيد ورسم صورة الإنسان والحيوان لتحقيق المعاني العلمية وتمثيل الصور الذهنية[١٠]·

هكذا صاغ الأستاذ الإمام، في الفنون التشكيلية ما يشبه الفتوى الشرعية، فقرر أنها أداة لحفظ الحقيقية العلمية والتاريخية، بل «وسيلة من أفضل

وسائل العلم»، وأنها فنون راقية، ترتقي بذوق الانسان، كما يرتقي به فن الشعر، وغيره من الفنون التى ليس على الإبداع فيها كلام ولا ملام في الإسلام..

وهو بذلك قد كتب صفحة في كتاب التجديد الإسلامي.. تجديد حياة الأمة بتجديد الفكر الذى يحكم هذه الحياة.

وبعد :

فهل هناك شك، الآن، وبعد هذا الذى سقناه عن موقف المنهج الإسلامى من آيات الجمال في الإبداع الإلهي، ومن ثم من الفنون الجميلة، التى ترتقي بالذوق والحس الإنساني ليدرك آيات الجمال هذه، فيرتقي على سلم الشكر لصانع هذا الجمال.. هل هناك شك، بعد هذا الذى قدمناه، في أن موقف المنهج الإسلامى من هذه الفنون الجميلة ـ من تذوقها ، وممارستها ـ هو موقف الود والتعاطف، والتزكية والمباركة؟.. وذلك على الرغم من شيوع مواقف ومقولات المخاصمة المفتعلة بين الاسلام وبين هذه الفنون؟!.

إن الاسلام لا يخاصم الجمال، ولا يعادى فنونه.. والمسلم الأمثل لا يمكن أن يكون ذلك المتجهم، الذى ينزع عن جماليات الحياة «مباركة الإسلام».. فقط هناك المعايير الإسلامية ـ الأعتقادية والأخلاقية ـ التى يجب أن تحكم موقف المسلم تجاه هذه الفنون، حتى تظل مصدرا حقيقيا للخير والجمال في حياة الانسان.

فالاقتصاد والاعتدال في الاشتغال بهذه الفنون، وفي ترويجها.. مطلب إسلامي، وذلك حتى لا يختل توازن اهتمامات الأمة بمختلف نواحي وميادين النشاط اللازم لتكامل وتنمية طاقات وملكات وحياة الإنسان.

ان الاقتصاد والاعتدال ـ الذى ينفى وينكر طرفى الغلو ـ هو ميزان الإسلام ومعياره في كل ميادين النشاط الإنسانى.. فالقرآن يأمرنا به {يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إن الله لا يحب المسرفين}[١١].. {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا}[١٢].. ورسول الله، {صلى الله عليه وسلم} يؤكد هذا البلاغ القرآني في بيانه النبوى، فيقول: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا، ما لم يخالطه اسراف أو مخيلة»[١٣].. ويتحدث الى من غالى فى العبادة والنسك، فصام النهار وقام الليل، مهملا زوجه ودنياه، فيقول: «إني أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى[١٤].. وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك ـ (أى زائريك) عليك حقا، ولجسدك عليك حقا»[١٥].

إن انفعال النفس الإنسانية بجماليات الحياة هو فطرة فطر الله النفس الإنسانية السوية عليها.. والإسلام يريد لكل الفنون، حتى تكون بحق جزءا من جماليات هذه الحياة، أن لا تعاند الفطرة الإنسانية، بل أن تكون عونا على ترقيتها وتهذيبها.. يريدها سبلا لتهذيب النفس والارتقاء بملكات وطاقات وغرائز الإنسان.. ولا يريدها عوامل تحلل وانحلال ومعاول هدم وإثارة لغرائز العنف والغضب والشهوة واللذة المادية في الإنسان.. يريدها فنونا جميلة ومتجملة بأخلاقيات الإسلام.



وإذا كان لكل شعب من الشعوب فنونه الموروثة، والتي غدت وتغدو سمة من سمات تميزه القومي عن الشعوب الأخرى.. فإننا نريد للفنون الموروثة لشعوب الأمة الإسلامية وقومياتها أن تخضع لما خضعت له المواريث الفكرية لهذه الشعوب عندما دخلت دين الإسلام واندمجت في أمة الإسلام.. نريد لهذه الفنون أن «تحيا» وأن «تتطور»، وفقا لمعايير الإسلام في الاعتقاد.. وفي الذوق الجمالي.. وفي الأخلاقيات.. ولا نريدها أن تكون «تقليدا» لفنون حضارات أخرى، لا تتخلق بأخلاق حضارة الإسلام.. ولا أن تكون «مسخا مشوها» لفنون تلك الحضارات.

وإذا كانت المهمة الأولى للفنون الجميلة في حياة الإنسان، هي الارتقاء بروحه على درب الإدراك والاستمتاع بآيات الجمال الإلهي في هذا الكون.. فإن الإسلام يتقدم على هذا الدرب خطوات أبعد، ليجعل من هذه الفنون سبيلا من السبل التي تصوغ «الإنسان - الرباني» الذي يدرك معنى أن الله «جميل»، وأن «ربانية» الإنسان رهن بشوقه وتعلقه وسعيه على درب التخلق بالأخلاقيات الجميلة.. درب الوعي بالجمال الإلهي المبثوث في هذا الوجود.. وأيضا الاستمتاع بلذات هذا الجمال.

ومع هذه المهمة الإسلامية للتربية الجمالية، وللفنون الجميلة في حياة الإنسان المسلم، فإن للمنهج الإسلامي رسالة يطلب من هذه الفنون أن تنهض بدورها في أدائها.. رسالة الإسهام في حفظ الفكر ونشر الدعوة بواسطة هذه الفنون.

إنها سلاح فعال في البلاغ الى الناس.. ومن الممكن - بل والواجب - أن تكون - كفنون القول - أداة للبلاغ المبين برسالة الإسلام.

الهوامش :

(١) آل عمران/ ٤٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ ص ٢٧٢.

(٣) رواه مسلم والبخاري وابن ماجة.

(٤) (طبقات ابن سعد) جـ ٨ ص ٤٢، طبعة دار التحرير ، القاهرة.

(٥) (الجامع لأحكام القرآن) جـ ١٤ ص ٢٧٤، ٢٧٥ - (بل إن المرء أن يتساءل: هل كانت هذه التماثيل - اللعب، تقوم في حياة أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها - وهي التي لم تنجب - بدور الإشباع؟!.. فيكون لحلِّها سبب آخر - الضرورة والحاجة - يضاف الى ما لحلها من أسباب؟! انه تساؤل وارد.. والتأمل في جوابه مكان).

(٦) مقدمة تحقيق (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام) ص ١٥.

(٧) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ ٢ ص ٢٠٤.

(٨) المصدر السابق. جـ ٢ ص ٢٠٥.

(٩) يشير الأستاذ الإمام الى حديث: لا تدخل الملائكة بيتا فيه جُنُب ولا صورة ولا كلب - رواه أبو داود والنسائي والدارمي والإمام أحمد.

(١٠) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ ٢ ص ٢٠٥، ٢٠٦.

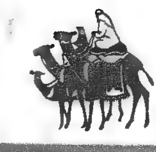
(١١) الأعراف/ ٢١.

(١٢) القصص/ ٢٧.

(١٣) رواه البخاري وابن ماجة.

(١٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والدارمي والامام احمد - من حديث عبد الله بن عمر بن العاص.

(١٥) رواه البخاري ومسلم.



ولاة البلد الأمين

كنا قد أتينا في الحلقة الماضية على أن الأمير العباسى ابن أمير المؤمنين المستعين كان اليه أمر الحرمين الشريفين مع غيرهما بولاية أعم وأشمل، وقد ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام في باب ولاة مكة في الاسلام. ودرج على ذلك العلامة ابن ظهيرة القرشي في كتابه الجامع اللطيف. وقد درجت على ما درجوا عليه رحمة الله عليهم أجمعين. وان كانت ولايته للحرمين الشريفين ولاية غير مباشرة وهو مالا يعنينا هنا. وكان الأمير عبد الصمد بن موسى العباسى واليا بمكة شرفها الله في سنة ٢٤٩ من الهجرة على ما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه وعليه فإن الذى خلفه في إمارة الأباطح المكية في سنة ٢٥٠ من الهجرة الشريفة هو:

**** الأمير جعفر الملقب «بشاشات» ابن الفضل بن عيسى بن موسى العباسى الهاشمي رحمة الله عليه.**

وذلك في خلافة أمير المؤمنين المستعين بالله كما ذكره الامام تقي الدين الفاسى في شفاء الغرام. ووقعت في أيامه حروب واضطراب في البلاد الحرمية بسبب غارات البدو والاعراب من بنى عقيل فحاربهم الأمير جعفر وقتل في هذه الفتنة خلق كثير من جيران بيت الله الحرام. وغلت الأسعار وعلى اثر ذلك ظهر اسماعيل بن يوسف السفاك. وهرب الأمير جعفر بعد أن نهبت داره وقتل جنوده كما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه وكانت مدة ولايته للبلاد الحرمية زمنا من سنة ٢٥٠ وشهران من سنة ٢٥١ من الهجرة ولم أتحقق من مدة ولايته تحديدا. وبعده جاءت فتنة السفاك واستيلاؤه على الحرمين الشريفين وفعله بهما وبأهلهما ما هو



بقلم : **السيد ضياء محمد عطار**

– المدينة المنورة –

الشنيع القبيح ولسنا بصدده حتى هلك. وقد تولى امارة البلد الأمين فيما أعتقده تقديرا في النصف الثاني من سنة ٢٥١ من الهجرة الشريفة.

**** الأمير عيسى بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المخزومي القرشي رحمة الله عليه.**

كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام، وكانت ولايته في خلافة أمير المؤمنين المعتز بالله. وكان الخليفة قد أنفذه مع الأمير محمد كعب البقر لقتال الشريف اسماعيل السفاك. وقد ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه وأخبر أنه كان صاحب جيش مكة شرفها الله ولم يرمز الى ولايته للبلد الأمين بشيء ولكن الإمام تقى الدين الفاسى في شفاء الغرام قال: ولعل المعتز ولّى عيسى مكة في السنة التى بعثه فيها الى مكة وهي سنة إحدى وخمسين.. انتهى.. يعنى بعد المائتين وقال في كتابه العقد الثمين: وذكر الفاكهي ولايته لمكة في غير موضع من كتابه.. انتهى.

وذكر العلامة نجم الدين بن فهد الهاشمى في كتابه اتحاف الورى أن في ولايته جاء سيل عظيم الى الرحاب الابطحية وملأ المسجد الحرام ترابا وغثاء وأحاط بالكعبة المشرفة فتولى الأمير عيسى المخزومي ازالته ونظافته وأمر أن تسحب هذه الترسبات بالعجول. وقد استمر في ولايته حتى هذه السنة أي سنة ٢٥٤ من الهجرة الشريفة على ما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام نقلا عن الامام الفاكهى ولكنه أردف قائلا: وما عرفت الى متى دامت ولايته. وكانت له أيضاً ولاية ثانية على البلدة المقدسة. ولم أتحقق من مدتها. وكان من الأمراء في هذه السنة أيضاً على البلاد الحرمية على قول البعض.

**** الأمير محمد بن أحمد بن أبى جعفر المنصور أمير المؤمنين العباسى الهاشمي رحمة الله عليه.**

وهو الملقب «بكعب البقر». وكانت ولايته في سنة ٢٥١ من الهجرة على ما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام، وكان قدومه مع الجيش العباسى الذى ورد لقتال السفاك وكان برفقة الأمير عيسى بن محمد المخزومى السالف ذكره. وفي اعتقادي أن الولاية كانت للأمير محمد بن أحمد هذا في هذه السنين وكان الأمير صاحب الجيش عيسى بن محمد المخزومى مساعداً له وبعد انتهاء ولاية الأمير كعب البقر هذا جاءت ولاية الأمير عيسى المخزومي. فأعقبها في ولاية البلد الأمين.

**** الأمير على بن الحسن بن اسماعيل العباسي الهاشمي رحمة الله عليه.**

في سنة ٢٥٦ من الهجرة الشريفة. في خلافة

أمير المؤمنين المهتدى بالله، كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وهو الذى تولى تراميم مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام. وتضبيبه وأنفق في ذلك كثيراً من الذهب والفضة.

وهو أول من فرق بين مجالس الرجال والنساء في المسجد الحرام وحدد هذه المجالس بالحبال بين السوارى فكانت من أولياته رحمة الله عليه. وكانت مدة ولايته أشهراً فيما يبدو. وجاء بعده:

**** الأمير أبو أحمد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد رحمة الله عليهم.**

وتولى إمارة الأباطح الحرمية. والمدينة الشريفة وكان ذلك في سنة ٢٥٧ من الهجرة حسبما ذكره الامام تقي الدين الفاسى في شفاء الغرام. وكانت ولايته كما قال الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه: ولاثنتى عشرة خلت من صفر عقد المعتمد لأخيه أبى أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن انتهى كلامه.

وبهذا يتضح أنه كان واليا شاملا وأوسع نفوذاً. ولكن لا يقال فيه أنه كغيره ممن كانت ولايتهم لم تكن محصورة بالبلدة المقدسة فقط وأنه لم يباشرها ونقول إنه باشرها بنفسه على ما قرره الامام الفاسى في شفاء الغرام وقال: فإنه يبعد أن يكون هو فيها يقصد مكة شرفها الله، وولايتها لغيره. انتهى كلام الامام الفاسى وقد ترجم له الحافظ السخاوى في تحفته اللطيفة: وذكر أنه كان ملكاً مطاعاً وبطلا شجاعاً ذا بأس ورأى وحزم وكان أميراً محبوباً في الرعية يشبه جده أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور في حزمه ودهائه وعقله وجميع الخلفاء العباسيين من ولده من بعد المعتمد. وترجم له العلامة ابن كثير القرشى في البداية والنهاية فوصفه بحسام الاسلام وناصر دين الله وذكر أنه كان يخطب له على المنابر وكان غزير العلم حسن التعبير يجلس للمظالم وعنده القضاة والعلماء فينصف للمظلوم ويردع الظالم وكان عالما بالأدب والانساب والفقه وسياسة الملك وله محاسن ومآثر كثيرة جداً كما ذكره العلامة ابن كثير القرشى في تاريخه البداية والنهاية.

وأعقبه من ولاته أو نوابه على البلاد المكية المقدسة.

**** الأمير ابراهيم بن محمد بن اسماعيل العباسي الهاشمي وكانت ولايته في سنة ٢٦٠ من الهجرة على ما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام.**

وذكر الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه أنه حج بالناس في سنة تسع وخمسين وسنة ستين بعد المائتين.

وقد فارق مكة شرفها الله في سنة ٢٦٠ من الهجرة عندما وقع بالأباطح المكية شرفها الله غلاء فاحش وضيق شديد وذلك ببلاد الاسلام كلها حتى أجلى اكثر أهل البلدان منها الى غيرها. ولم يبق بمكة صانها الله وشرفها أحد من المحاربين حتى ارتحلوا الى المدينة الشريفة وغيرها من البلاد كما ذكره العلامة ابن كثير القرشى في تاريخه البداية والنهاية.



وهو الذى سبق اخلاء المطاف بالمسجد الحرام بعد صلاة العصر للنساء ليطفن وحدهن دون الرجال. وكانت مدة ولايته نحواً من سنتين وقد خلفه بعده:

**** الأمير الفضل بن العباس بن الحسين العباسي الهاشمي رحمة الله عليه.**

في سنة ٢٦١ من الهجرة المباركة تقديرا. على ما ذكره الامام تقي الدين الفاسي في شفاء الغرام. وحج بالناس من سنته وذكر العلامة نجم الدين بن فهد الهاشمي في كتابه اتحاف الورى أنه قدم مكة شرفها الله في سنة ٢٦١ من الهجرة ومعه كتاب فيه بيعة جعفر بن أمير المؤمنين المعتمد وأبى أحمد الموفق أخي أمير المؤمنين وجعل هذا الكتاب في قصبة من فضة وعلق ذلك بالبيت الحرام في السنة التى بعدها وحج بالناس في سنة ٢٦٢ ووقع في يوم التروية فتنة قتل فيها تسعة عشر رجلا وجاء سيل عظيم وذهب بحصباء المسجد الحرام. وأعتقد أن ولايته انتهت في أوائل سنة ٢٦٣ من الهجرة. وبذلك يمكن القول بأن مدة ولايته كانت نحواً من سنتين أو تزيد وقد خلفه عليها من بعده:

**** الأمير أبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد المخزومي رحمة الله عليه.**

ويعتقد أن ولايته كانت في زمن ولاية سلفه الأمير الفضل في سنة ٢٦٢ من الهجرة ثم وليها مستقلا في سنة ٢٦٣ من الهجرة حسبما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام وقد قتل بمكة شرفها الله في موسم حج هذه السنة وهو ممن توفى بمكة شرفها الله من ولاتها. وقد خلفه بعد قتله:

**** الأمير أبو المغيرة محمد بن عيسى بن محمد المخزومي رحمة الله عليه.**

كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام وكان أمير المؤمنين المعتمد قد فوض اليه امارة البلاد المقدسة فلما وردها قاومه أميرها أبو عيسى المخزومي فوقع بينهما قتال وحرب فانتصر على خصمه وسلفه ودخل البلد الأمين ظافرا فاستلم الإمرة بها ورأس خصمه بين يديه.

وفي امارته ورد كتاب من والى الحرمين الشريفين أبى أحمد الموفق يأمره بتجريد الكعبة المشرفة فقرىء الكتاب في دار الامارة في الليلة الحادية والعشرين من شهر ذى الحجة الحرام فأمر باحضار التجار والعامة حتى سمعوا مضمون الكتاب وأن تقسم الكسوة على ثلاثة اثلاث. ثلث للقرشيين لقرابتهم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وآله وسلم وثلث للحجبة سدنة بيت الله الحرام وثلث على سكان الحرم فتم تجريد الكعبة في يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة الحرام على ما ذكره الامام الفاسى في كتابه وتاريخه العقد الثمين. ولم أظفر بخبر يحدد مدة ولايته ولكن الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى ذكر في تاريخه خبراً في أمره وسنواصل ذلك في الحلقة القادمة باذن الله تعالى .

مجلة

السائح

العدد
(١٣٤)



الرباط .. من المدينة العتيقة الى العاصمة الحديثة

بلجيكا .. مملكة دفعت ثمن موقعها

في البلدان والعمران .. في التقاليد والأعراف في تقاطيعه وجذوره التاريخية السائح يستقرئ الماضي ويرصد اللاحق



وادي أبي رقراق الذي يفصل مدينة سلا عن مدينة الرباط

الرباط .. من المدينة العتيقة الى العاصمة الحديثة

الرباط (Rabat) هي عاصمة المغرب الادارية، وقد أسسها الخليفة المنصور أبو يوسف بن عبد المؤمن (عام ٥٥٤ـ٥٩٥هـ) (١١٥٩ـ١١٩٨م) وهو أشهر ملوك الموحدين، وسماها «رباط الفتح» وهي مدينة

الأبواب العظيمة، وقد أقامها الموحدون وكانت رباطهم العسكري.

تشتهر بصومعة حسّان الشامخة البتراء[١] وتشرف هذه الصومعة على المدينة وعلى بقايا اطلال

اعداد : **أحمد المكينسي** - المغرب

المسجد، وهذه الصومعة من طراز الكتبية بمراكش والخيرالدة باشبيلية (الأندلس)[٢].

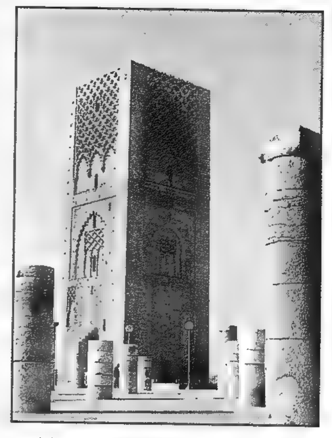
قال عنها المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب السلماني في كتابه: «معيار الاختيار في ذكر المعاهد والدّيار» (... وقابلها - أي مدينة سلا - الرباط الذي ظهر به - من المنصور - الاغتباط حيث القصبة والساباط[٣]، ووقع منه بنظرة الاعتباط، فاتسع الخرق وعظم الاشتطاط، وبعد الكمال يكون الانحطاط الى شامة مرعى الذمم ونتيجة الهم، وعنوان بر الديم، حيث الحسنات المكتتبة، والأوقاف المرتبة، والقباب كالأزهار، مجودة بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، وطلل حسان المثل في الاشتهار.

وهي - علي الجملة من غيرها - أوفق، ومغارمها - لاحترام الملوك الكرام - أرفق، ومقبرتها المنضدة عجب في الانتظام، معدودة في المدافن العظام، وتتأتى - للعبادة - الخلوة، وتوجد عندها - للهموم - السلوة، كما قال ابن الخطيب:

وصلت حثيث السير فيمن فلا الفلا
فلا خاطرى لما نأى وانجلى انجلى
ولا نسخت - كربي بقلبي - سلوة
فلما سرى فيه نسيم سلا سلا

ويضيف قائلا: «... وكفى بالشابل رزقاً طرياً، وسمكاً بالتفضيل حرياً، يبرز عدد قطر الديم، ويباع ببخس القيم، ويعم حتى المجاشر[٤] النائية والخيم، إلا أن ماءها لا يروى به بارد، لا كريم ولا بارد وأليفها شارد، والحزين بها فاسد، وبعوضها مستأسد، راضع غير مفطوم، واسم للخد والخرطوم، بذيالك الخرطوم، خالع للعذار غير مخطوم، تصغي - لرنته - الآذان، ويفتك بوكز السنان، كالقوس تصمى الرمايا وهي مرنان[٥]، وديارها - في الماء - دار عثمان وطواحنها غالية الأثمان، وكثبانها العفر تلوث بعض الثياب، طي العياب، وعابر واديها - الى مأرب أكيد - في تنكيد الى غلبة الامساك، وخوض النساك، وكثرة أرباب الخطط[٦] والأغياء في الشطط، تذود - عن جناته للأسد - جنان، فلا يلتذ - بقطف العنقود منها - بنان، وفي أهلها خفة، وميزانها لا تعتدل منه كفة[٧].

وتشتهر الرباط بأبوابها التاريخية القديمة التى تحيط بالمدينة القديمة، ومن بينها، باب الملاح، باب البويبة، باب شالة، وغيرها.. وتمتاز ببساتينها الخضراء وحدائقها الغناء وساحاتها الخضراء حيث يحدها الحزام الأخضر من الأشجار في اتجاه الدار البيضاء، وتوجد بها حديقة التجارب الفلاحية، وبها أحياء جديدة كأكدال واليوسفية والنهضة. كما توسعت حديثاً بانشاء حي الرياض والسويسي وهما عبارة عن مدينتين جديدتين أصبحتا كمتنفسين جديدين بعد التوسع الكبير الذي عرفته الرباط.. وبهذين الحيين توجد أبنية وفيلات ومنشآت راقية كمجمع الوزارات وملعب الأمير مولاي عبد الله وهو



صومعة حسان ويوجد بها ضريح الملك الراحل محمد الخامس

مركب رياضي يضم عدة ملاعب رياضية ومضامير لألعاب القوى ومسابح رياضية وفندق رياضي.

وبضواحي الرباط تتواجد الحديقة الوطنية للحيوانات بتمارة التى تضم عدة حيوانات - من مختلف أنواعها - ومن كل البلاد العالمية.. ومن معالمها: سوق الغزل وسوق السباط (الحذاء)، وشارع الحسن الثاني والنصر ومحمد الخامس الذي توجد أفخم المحلات التجارية به ووكالات الأسفار والمقاهي والعمارات.

وحيث إن الرباط عاصمة المملكة المغربية فانها مكان سفارات الدول ومقرات المؤسسات والادارات العمومية. ومن أبرز آثارها: المتاحف الآتية: متحف الصناعات التقليدية، متحف البريد ومتحف الآثار.

وبين أبوابها: باب زعير وباب الرواح - أي الرياح - وباب السفراء ويوجد القصر الملكي الذي شيد في بداية القرن الماضي بعدما كانت عاصمة البلاد بفاس.

تمتاز الرباط بآثارها الجميلة كحدائق قصبة الأوداية. ومزار شالة - وهي مدينة قديمة رومانية - وبها قبور المرينيين[٨] وغرفة السلطان أبو الحسن وزوجته - وهي مسيحية دخلت الى دين الاسلام - وذلك وسط أشجار جميلة ومروج خضراء.

وتتوفر الرباط على فنادق جميلة ومشآت سياحية من بينها: سفير ، حسان، الأوداية، شالة.. وغيرها، وذلك كله بفضل مناخها الخلاب المعتدل وشواطئها الكبيرة كشاطىء تمارة وسيدي العابد والرمال الذهبية وفال الذهب وغيرها.

وتحتضن الرباط مسالك الجولف ودار السلام التى تنظم لقاءات دولية ومحلية وجهوية، يؤمها ابطال عالميون من مستوى عال. وبها كذلك ملاعب لاقامة مسابقات دولية للفروسية كحلبة دار السلام وحلبة المشور السعيد.



قصبة الأوداية



ويعد ضريح محمد الخامس آية في جمال العمارة المغربية والاسلامية العربية، قرب صومعة حسان، وقد ضم لوحات فنية في البناء من الجبص والفسيفساء والنقش على الخشب.. ومن صناعاتها التقليدية الزربية الرباطية التي تشتهر بألوانها المختلفة وعلى الخصوص اللونان الأحمر والوردي والأزرق.. وكذلك بصناعاتها الجلدية التقليدية التي تعج بها دكاكين الصناع التقليديين وخصوصاً المحافظ التقليدية وحافظات النقود والأرائك الجلدية.

وتمتاز الرباط بموانئها الترفيهية التي تتوفر على أندية للأشرعة البحرية حيث تمارس رياضات السباحة والزوارق البحرية، وعلى مقربة منها يفصل نهر ابي رقراق الرباط عن مدينة سلا، وعلى جانبي النهر مازالت الدراسات جارية لاقامة مشاريع سياحية على ضفافه من شأنها أن تدعم السياحة الداخلية والخارجية في هذه المدينة الأطلسية.

وبالرباط توجد المراكز الثقافية الأجنبية والعلمية كالمعاهد العليا وجامعة محمد الخامس بمختلف كلياتها ذات التخصصات المتعددة.



شارع محمد الخامس بالرباط .. من أجمل شوارع العاصمة المغربية



مقر الولاية (المعتمدية)

وأخيراً هذه الرباط قد نمت وتطورت تحت شعار «بوابة المغرب الحديث».. مزهوة بذكرى تأسيسها.

الهوامش :

(١) حسب المراجع التاريخية فقد وقع زلزال عنيف أتى على جزء من الصومعة.

(٢) عدد «الفيصل» (١٩١) جمادى الأولى ١٤١٣ (نوفمبر ١٩٩٣) ص ٦٧ وما بعدها ص (٧٧) المآذن في آفاق المدن الأسلامية - د. عبد المجيد وافي.

(٣) سقيفة بين دارين تحتها طريق.

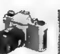
(٤) يعني القرى والضياع، ويقال لها في المغرب الآن «المداشر»

(٥) قوس مرنان: صلبة مرنة.

(٦) أرباب الوظائف.

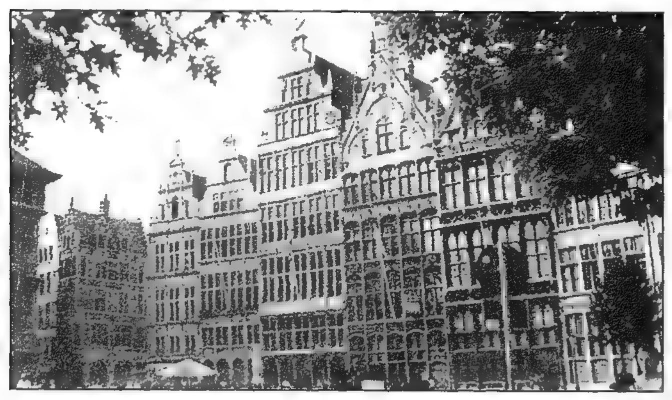
(٧) ص (٢٥٢ - ١٥٥ - ١٥٦) من كتاب معيار الاختيار المذكور سلفاً في المراجع المعتمد عليها في هذه الدراسة.

(٨) دولة حكمت المغرب وهم بنو مرين كانت عاصمتهم فاس، حكموا المغرب قبل السعديين، أشهر سلاطينهم أبو عنان وأبو الحسن المريني.. وعلى عهدهم ظهر الرحالة المشهور ابن بطوطة والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب.



تحتضن مقر الاتحاد الأوربي وحلف الناتو :

بلجيكا .. مملكة دفعت ثمن موقعها الجغرافي الهام



ميادين شهيرة تعكس غنى المعمار

من محطة جاردي نورد في باريس انطلقت باتجاه بروكسل حاضرة بلجيكا وعاصمة الاتحاد الأوربي، أرض صغيرة متنوعة تزخر بالكثير الكثير من الشواهد التي تجعل المرء يشعر لبعض الوقت في الأحياء القديمة للمدينة أنه داخل متحف كبير.

قبل الوصول الى بروكسل هناك إنتويرب.. الميناء الذي حفر لنفسه اسماً في تجارة الماس العالمية انطلاقاً من المستعمرات السابقة لبلجيكا في افريقيا.

الرحلة بالقطار من باريس الى بروكسل لا تزيد عن ثلاث ساعات، لتكتشف وأنت تخترق تلك الطبيعة الجميلة، أن الزمن متسارع الايقاع لدرجة الاعتقاد أن القطار كان يندفع بسرعة البرق.

اعداد : **د.م. شريف مفلح** – سوريا

التاريخ .. والموقع :

بلجيكا وجهة حضارية مرتقبة ـ علمية وثقافية وعمرانية واجتماعية ـ غير معروفة بالنسبة للكثير من العرب، بما فيهم عشاق الترحال والسياحة.. ربما لأنها غير بعيدة عن أشهر مقصدين سياحيين للعرب وهما باريس ولندن، ومع ذلك فإن التواجد في تلك المدينتين يحفز البعض لاغتنام الفرصة وتسجيل زيارة لهذا البلد الذي لا يعرف آخرون عنه سوى أنه منتج كبير للشيكولاتة.

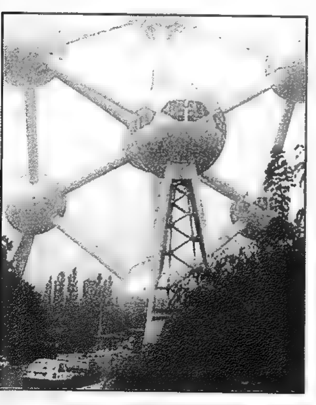
ومنذ بواكير التاريخ دفعت بلجيكا ثمن موقعها هذا وشهدت غارات القبائل الألمانية، وحتى الإنجليزية، عبر بحر الشمال .. وكذلك من قبل الفرنسيين. إلا أن البلاد عاشت عصراً ذهبياً خلال القرن الرابع عشر الميلادي أثناء حكم الدوقية الفرنسية للبورجندي، وكانت منتجاتها منافساً قوياً للمنتجات البريطانية. وخلال تلك الفترة أصبحت «إنتويرب» واحدة من أهم الموانىء الأوربية.

إلا أن ذلك العصر سرعان ما ولّى عندما غزت إسبانيا أراضي هولندا وبلجيكا ولكسمبورج. وشهدت تلك الفترة اضطهاداً دينياً واسعاً. وإثر هزيمة نابليون في معركة واترلو واستقلال هولندا ضمت إليها كلا من بلجيكا ولكسمبورج، إلا أن الأولى تمردت وتمكنت من نيل استقلالها في العام ١٨٣٠م. ورغم سياستها الحيادية، إلا أن ألمانيا غزتها في العام ١٩١٤م، كما غزتها بعد ذلك في العام ١٩٤٠م وسيطرت على البلاد بأسرها خلال ثلاثة أسابيع، ولكنها استعادت حريتها، وتنازل الملك ليوبولد عن الحكم لصالح ابنه الملك بودوان الذي توفي في العام ١٩٩٣م. ونظراً لعدم وجود وريث له فقد اعتلى عرش المملكة البلجيكية شقيقه الملك الحالي البرت الثاني.

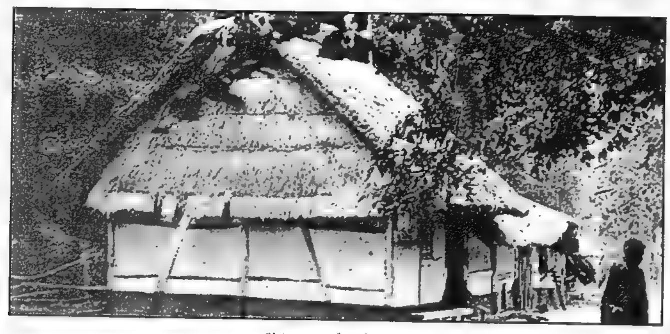
عاصمة أوربا :

تعد بروكسل عاصمة للقارة الأوربية بأسرها بامتياز لا سيما وأنها تحتضن مقر الاتحاد الأوربي وحلف الناتو وآلافاً من الدبلوماسيين والعسكريين، إلا أن ذلك لم ينل من صورتها كمدينة تنبض بالروح الأصيلة للشعب البلجيكي المعروف بثراء وتنّوع تاريخه وتراثه.

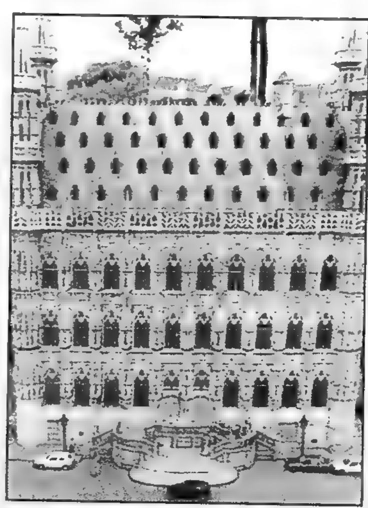
وتعد مدينة بروكسل الوجهة الأولى للقادمين الى بلجيكا، وهي خليط من المعمار القديم والحديث تعج بالمتاحف والمواقع الأثرية. ويعدّ ميدان القصر الكبير واحداً من أجمل الميادين في القارة العجوز. وحول هذا الميدان مجموعة المتاحف المتنوعة والشواهد العمرانية. والى الشمال منه هناك ملتقى الشخصية



مجسم رمز أوروبا الموحدة



الريف البلجيكي .. وعشاقه



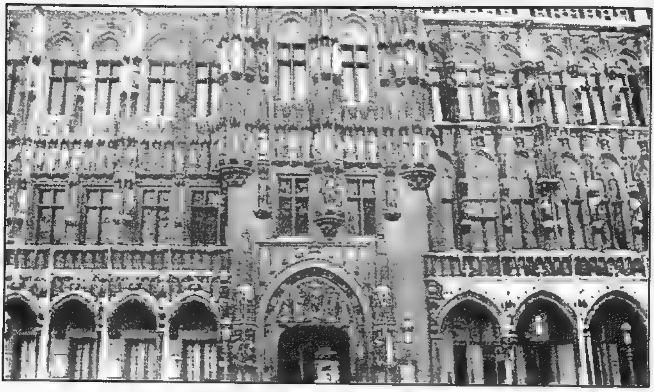
مركز تجاري في انتويرب

الكرتونية للتحري «رأن تان». وفي منطقة رودي بوتيش تتعرف على النكهة الحقيقية للمطبخ البلجيكي من خلال المطاعم التقليدية المنتشرة التي تبزّ مطاعم ساحة «دي تريفي» الشهيرة في روما.

ومن بروكسل الى انتويرب التي اشتهرت كميناء لتجارة الماس، إلا أن ذلك لا يمنع من القول بأنها لا تقل ثراء وتنوعاً عن بروكسل من حيث المعمار التاريخي للمدينة، كما أنها واحة عشاق الفن للمجموعات النادرة من الأعمال الفنية التي تتوافر في متاحفها ولا سيما المتحف الملكي للفنون الرفيعة. وبالنسبة للترويح العائلي فإن حديقة الحيوانات الكبيرة تعد مكاناً مفضلا ومتميزاً لتسلية الأطفال.

وخارج هاتين المدينتين هناك عدد من المدن مثل بورجيس وجنت تعدّ من أكبر المدن في أوربا التي لازالت تضم أنماطاً معمارية تعود للقرون الوسطى، وتعد وجهات لمن ينشد الهدوء والمناظر الخلابة والاستشفاء. ولا تكتمل زيارة بعض المدن إلا بالتوجه الى





معمار هندسي تراثي

المناطق الريفية للاطلاع عن كثب على طبيعة الحياة ونمط المعيشة في الريف، وارتياد تلك المناطق بواسطة الدراجات الهوائية متعة بحدّ ذاتها.

وقد استطاعت بلجيكا أن تجتذب ملايين السياح من خلال المهرجانات العديدة والأنشطة الرياضية التى تنظمها على مدار العام، وخاصة رياضة التزلج على الجليد وتسلق الجبال ومسابقات قيادة الدراجات النارية على الجبال، كما تجتذب هواة استكشاف الكهوف.

إن زيارة بلجيكا تجعل المرء يشعر كيف تنجح دولة صغيرة بحجم هذه البلاد في اجتذاب أكثر من ثلاثة عشر مليون سائح في العالم لكل منهم ما يعشقه من طبيعة جميلة وتاريخ غني ومعمار خلاب.

.. ولمعلوماتك بإيجاز:

* بلجيكا: مملكة تبلغ مساحتها ١٨ر٣٠٥١٨ كيلومتر مربع، تعداد السكان ٢ر١٠ مليون نسمة عاصمتها بروكسل التى يسكنها حوالي ٩٧٠ ألف نسمة.

* السكان: ٥٥ بالمئة من الفلمنك و٣٣ بالمئة من الفالون الذين يتحدثون الفرنسية والبقية خليط عرقي مختلف.

* اللغات الرسمية: الفلمنكية والفرنسية والألمانية والهولندية والانجليزية.. والأخيرة يتم التخاطب بها على نطاق واسع.

* العملة الرسمية: الفرنك البلجيكي.

* الاقامة في الفنادق تبدأ من ٣٠ـ ٤٠ دولاراً ومروراً بفنادق ٤٠ـ ٧٠ دولاراً الى فنادق الخمس نجوم الأغلى. ولأن بلجيكا دولة صغيرة فإن الفنادق الاقتصادية، رغم كثرتها وتعدد وتنوع درجاتها، إلا أنها عادة ما تكون مزدحمة خاصة في فصل الصيف. أما تكلفة المعيشة فيها فإنها تعدّ منخفضة قياساً بغالبية الدول الاوربية الأخرى، فالوجبة الغذائية في المطاعم العادية لا تتعدى ٧ ـ ١٠ دولارات، وفي المطاعم المتوسطة من ١٠ ـ ٢٥ دولاراً.

مُهْرة الشمس

على شفة النُّور أشعلت غيًا
يعيدُ مجاليك شدْوا وضيًا
يضمُّك رابيةً من أغان
ويجثو على ركبتيك مليًّا
يُفتشُ أوراق شعري لديك
لأقرأ فجراً تعرّى شهيا
يُديرُ شذاه على باب روحي
فإني أراهُ حُقولا وريًّا
وإنّي أراهُ بعُمري يلُوْبُ
يُطوقُ شعْري حُروفاً قسيًّا!

* * * *

حبيبة شعري أبيني، حرامٌ
أبيني، فما كنتُ يوماً نبيًّا!
لأعلم في أي نجم هطلت
وأيّ عُيُون المها يتفيّا
وما كان عُمْري سوى مقلتيك
وهل كنت أنت سوى مقلتيّا!
وما كنت إلا انفلات الحدائـ
ـق، رُوحاً ثريًا، ونُوراً نديًّا
وإنسانة من هُجُوع المرايا
تفتّقُ أفقاً وليداً جنيًّا
يليقُ بسَيِّدة من نُضار الـ
ـمعاني تصوغُ الذكاء حُليًّا
كمُهرة شمس تُثيرُ العشايا
وتعدُو بعُمْري نهاراً فتيّا
كفاكهة من لُعاب الخطايا
تضمُّ فتاة تضمُّ صبيًّا
رأيتُك وعداً على شفتيْها
يُنمْنمُ وجداً على شفتيّا
بياضاً من الغيْب يفْشي مداهُ
مدى اللّوْن، واللّحْن، منّي وفيًّا!

* * * *

فيا أنت، يا كُلّ قطْر الدّوالي
وكُلّ المُجلّى وكُلّ المُزيّا!
رُهابُك يجتاحُ مني زماني
يُبعثرُ في لُغتي ما تهيّا
فأرتدُّ طفلا على راحتيك
تُعيدين في مُقلتيه المُحيّا
تُعيدين تكوينهُ من جديد
كأن ليس من قبلُ قد كان شيًّا!
تريين في رئتيه انتفاض الصـ
ـباحات، صوتاً حنونا، جريًّا
يُطلّ على صفحة القلب عمداً
ويمشي على نهر موتي، بريًّا
فأعدُو، حصاناً أصيلا، وأغدُو
الى فجر أمسي، إليك، إليّا!

* * * *

فمن أنت، يا شهد عشقي وناري؟
لكمْ كنتُ فيك السّعيد الشّقيًّا!



شعر : د. عبدالله بن أحمد الفيفي - جامعة الملك سعود - الرياض

ترومين تحطيم كُل حُــدُودي
وتبــغين جــعل المُحــال يديًا
أراك .. كـــــأني أراك .. ولكنْ
لماذا تُغطين وجــهــاً جليـــا؟
كــوجــه فلسطين وجــهُك، يخــمشُ
عــيني، قــريبــاً، بعــيــداً، لديًا
و «أزلام» عــــهــــد شكول النّوايا
تهُبّ كــلامــا، وتعــدُو جــثــيــا
سُــهــيليّــة في هواها، فــمن لي
بغــيــر هواها ، ثرى أو ثُريًّا؟
أشــبــهُ بعــضي ببــعــضي، لأني
أراك ككُلي ، مــســاء شــجــيّــا!

* * * *

أتُفــاحــة الحُلم، وقــتي هبــاء
وأنت هنالك، وقــتــاً بهــيّــا!
مــتى فــيك يفنى السُّؤالُ، ليحــيا
جــوابُ الأنوثة فيَّ ســويا؟
فكُلي انتظارك، أسندتُ ظهــري
جدار الليالي العجُوز القمــيًّا
وكلي انتظاري، وينْهــدُّ ظهــري
وظهــرُ الجــدار يظلُّ عــصــيًّا
أســجّلُ من خلد الأمنيــات
على خلد الأقــعــوان المُهــيَّــا

أخُطُّك: مـــا لم تقُلْهُ القـــوافي
وأمــحــوك : ديوان شــعْــر غــبيًّا
أشــمُّك: فــاغــيــة من ســلام
وأشْــجــاك : مــوتاً رهيــفــاً شــنيا
طليطلةً في تفــاصــيل صــوتي
تُغنيك شــوقي، هوى بابليًّــا
تدورين مــني مــدار انتــمــائي
جناحــاك مــاء تهــمَّى هنيًّــا
تُطلّين يومــاً على سطح شــعْــري؟
كــمــا كنت، وعداً سخــيًّــا وفــيًّا؟

* * * *

أجل، حين تُورقُ فــيك الخُــيــولُ
حُــروفــاً عــتــاقــا وحُــرا أبيًّــا
أجلْ، حين تنسى الجــدار العــجُــوز
وتمضــي اليّ .. إليّ .. إليــا
أجل، حين تحْــيــا صــديقــاً ليومي
صــديقــاً لحُلْمي .. بأمسي حفيًّا!

* * * *

حــبــيــبــة شــعــري ، ســلامٌ عليك
.. إليك أتيْتُ .. ســلامٌ عليّــا!
فــيــا ليــتني قــبلُ قــد كنتُ ميْــتــاً
ويا ليــتني منك لم أبْق حــيًّــا!
لقــد يجــمــعُ اللهُ كُلَّ المنايا
وكُلَّ الحــيــاة لنا في مُــحــيًّــا!

تميّز لغة الضاد عن غيرها في التّذكير والتأنيث

أولا: اللغة كظاهرة نسقية:

لقد ازداد مفهوم النسق The system Concept استعمالا في العصر الحديث وكثر الرجوع اليه لا في ما يسمى بالعلوم الصحيحة (البيولوجيا .. والفيزياء) فحسب وانما شاع استعماله أيضا في ما يدعى بالعلوم السلوكية والاجتماعية مثل علمي النفس والاجتماع[١].

يُعَرَّفُ النسق عادة بأنه مجموعة من العناصر المترابطة التي تكوّن في نهاية الأمر وحدة متضامنة[٢].

وهناك اجماع شامل بين علماء اللغات (أو اللسانيين) بأن ظاهرة اللغة يمكن النظر اليها ودراستها باعتبارها وحدة نسقية. فمن جهة، تتألف اللغة من أنواع مختلفة من الكلمات مثل الأسماء والنعوت والافعال والضمائر.. التي تعتبر من أهم العناصر المكونة للعديد من اللغات الانسانية المعروفة. ومن جهة ثانية، فانه بمساعدة وجود القواعد النحوية والصرفية تصبح تلك العناصر قادرة على بلورة وتجسيم ظاهرة اللغة كنسق. ومن هذا المنطلق، يمكن اجراء مقاربة بين اللغة كنسق لغوى والمجتمع كنسق اجتماعي[٣].

فمن وجهة منظور علم الاجتماع، يتكون المجتمع (النسق الاجتماعي) من أفراد ومجموعات ومؤسسات وقوانين وقيم ومعايير ثقافية.. التي يعتبر حضورها الحيوى مسألة جدًّ أساسية بالنسبة لوجود النسق الاجتماعي والمحافظة عليه، وحماية مسيرة عمله الناجع. وهكذا فالنسق الاجتماعي (المجتمع) يتشابه كثيرا مع اللغة كنسق من حيث مكوّناته والقواعد العامة التى تربط بينها.

ثانيا: التأنيث والتذكير في الانساق اللغوية:

إن الدارس للغات بني البشر يلاحظ ان عددا كبيرا منها يستعمل قواعد متنوعة ومختلفة[٤]، فعملية التأنيث والتذكير تعتبر من أهم القواعد التي تتشابه وتختلف فيها الانساق اللغوية. وهذا ما سوف نميط اللثام عنه في نص دراستنا هذه التى تسعى لالقاء الضوء على طبيعة عملية التذكير والتأنيث ومدلولاتها في كل من اللغة العربية[٥] والانجليزية والفرنسية والالمانية.

فبالنسبة لتأنيث وتذكير أسماء الكائنات الحية

بقلم : د. محمود الذوادي

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية - الجمهورية التونسية

والاشياء الجامدة في هذه اللغات نستطيع الحديث عن ثلاثة مواقف بهذا الصدد:

(١) إن اللغة الانجليزية لا تكاد تهتم البتة بمسألة تذكير أو تأنيث الاسماء. فمعاجم لغة شكسبير لا تذكر حالة التأنيث أو التذكير امام اسماء الكائنات الحية أو الاشياء الجامدة. وبعبارة أخرى فالاسماء تبقى محايدة في اللغة الانجليزية.

(٢) وبالمقارنة بالانجليزية، فان اللغتين: العربية والفرنسية تتخذ مسألة تذكير وتأنيث الاسماء بكل جدية. أي أن اسماء الكائنات الحية واسماء الاشياء الجامدة تكون إما مؤنثة وإما مذكرة. وهكذا يبدو وكأن موقفي لغة الضاد ولغة موليار يعززان القانون الكوني العام للتأنيث والتذكير والذى تلخصه الآية الكريمة {ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون}[٦].

(٣) اما اللغة الالمانية فتذكير وتأنيث الاسماء فيها يجمع بين الموقفين (١) و(٢) المشار اليهما أعلاه. فمن ناحية، تؤنث وتذكر لغة جوينة Goethe قسما كبيرا من اسماء الكائنات الحية والاشياء الجامدة على حد سواء . ومن ناحية أخرى، فهي تلتزم بمبدأ حياد (أى أنها لا تذكر ولا تؤنث) بقية الاسماء.

وبخصوص تأنيث وتذكير النعوت في هذه الانساق اللغوية، فان الامر يتبع نفس نمط القواعد التى رأيناها في تأنيث وتذكير الاسماء. وبعبارة أخرى فاللغة الانجليزية لا تذكر ولا تؤنث نعوتها كما في المثال: A white boy (ولد أبيض) و A white qirl (بنت بيضاء) وكما أشرنا من قبل، فان العربية والفرنسية تتبنيان بكل حزم عملية التأنيث والتذكير. ففي لغة القرآن نقول فتى جميل وبنت جميلة. وللتعبير على نفس المعنى نقول باللسان الفرنسي: Un beau garcon و Une belle fille. وفي الختام، فالنعوت تذكر أو تؤنث أو تلتزم الحياد في اللغة الالمانية كما تبين الامثلة التالية: der schones Mann (الرجل الجميل) و die schone frau (المرأة الجميلة و das qute Beispiel (المثل الطيب).

وعند فحص مسألة تأنيث وتذكير الافعال، فان اللغة العربية هي الوحيدة من بين هذه اللغات التى تمتاز بذلك فنقول مثلا يأكل الرجل وتأكل المرأة. ان عملية تأنيث وتذكير الافعال في لغة الضاد لا تقتصر على حالة المفرد فقط وانما تشمل ايضا حالات المثنى والجمع كما نجد ذلك في هذه الامثلة: هما يسافران وهما تسافران وانتم تسمعون وانتنّ تسمعن. وبالمقارنة بعملية التأنيث والتذكير للافعال التى تتصف بها لغة القرآن فان اللغات الثلاث: الانجليزية والفرنسية والألمانية لا تقوم لا بتذكير ولا بتأنيث الافعال. وبعبارة أخرى، فالافعال تبقى محايدة في كل الاحوال والاوقات في هذه اللغات، كما تُفصح هذه الامثلة عن ذلك في الانجليزية والفرنسية والالمانية على التوالي:

the boy eats (يأكل الولد) the qirl eats, (تأكل البنت) the boys eat (يأكل الأولاد) the girls eat (تأكل البنات) و(2) le garcon mange (يأكل الولد) و la fille mange (تأكل البنت) les garcons mangent (يأكل الأولاد)

iBt (٣)(تاكل البنات) وLes Filles mangent die Junge frau ibt (ياكل الولد) der junge (تاكل البنت) die jungen essent (ياكل الاولاد) die Jungen Fauen essent (تاكل البنات).

وعند دراسة عملية تذكير وتأنيث الضمائر في هذه اللغات فان الأمر يتخذ ثلاثة اشكال:

(أ) ضمائر المتكلم والمتمثلة في كل من العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية على النحو التالي: أنا نحن we,I , je , nous , Ich و Wir . فجميع ضمائر المتكلم هذه تستعمل من طرف المتكلمين الذكور والاناث على حد سواء في اللغات الاربع قيد الدراسة هنا.

(ب) ضمائر الغائب المفرد في لغة الضاد واللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية هي كالتالي: هو ، هي ، he , she , il , elle , er و sie. فواضح من ازدواجية ضمائر الغائب المفردة ان كل هذه اللغات تلتزم التزاما كاملا بعملية التذكير والتأنيث على هذا المستوى.

اما الشأن بخصوص ضمائر الغائب في حالات الجمع فالامر يختلف. اذ أن اللغتين العربية والفرنسية هما الوحيدتان اللتان تستعملان ضميري جمع في حالة الغائب أحدهما للذكور: هم، ilsوالآخر للإناث هن : elles. فبهذه الخاصية تتفوق كل من لغة الضاد ولغة موليار على الانجليزية والالمانية من حيث دقة تعبيرهما على المسائل ذات العلاقة بالتعريف بالجنسين: الذكر والانثى.

(ج) وبخصوص تأنيث وتذكير ما يُسمى بضمائر المخاطب في صيغتي المفرد والجمع في هذه اللغات الاربع مثل أنتَ و you و tu و du وأنتم، you، vous ، ihr فان اللغة العربية هي الوحيدة التي تنفرد بميزة التذكير والتأنيث لهذا الصنف من الضمائر. وبعبارة أخرى قلنا في لغة القرآن ضميران للمخاطب المفرد. فضمير أنتَ يستعمل للمخاطب الذكر بينما تخاطب الانثى المفردة بضمير أنتِ.

وعلى نفس النمط فاللغة العربية تملك أيضا ضميري مخاطب في حالة الجمع والمتمثلين في ضمير الجمع للذكور (أنتم) وضمير الجمع للاناث (أنتن). ومقارنة بغياب ضميرى المخاطب في صفتي المفرد والجمع في اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية، فان تفوق لغة الضاد على تلك اللغات الثلاث من حيث الدقة التعبيرية ووفرة المعلومات يزداد وضوحا بالنسبة للامور التى يندرج فيها التعريف بالجنسين. ومأتى هذا التميز الذى تختص به اللغة العربية ترجع اساسا الى شمولية عملية التذكير والتأنيث (الاسماء، والنعوت ، والافعال...) التى تتمتع به لغة القرآن.

وبالاضافة الى الخصوصيات التى رأيناها في عملية التأنيث والتذكير في اللغة العربية، فان هذه الاخيرة هي وحدها التى تنفرد باستعمال ضميرى المثني في حالة المخاطب والغائب: أنتما وهما. ولكن ضميري المثنى يتسمان بالحياد. أى انهما يستعملان للمثنى الذكورى أو الانثوى أو المختلط. ومن ثم فتفوق

لغة الضاد في دقة التعبير هنا على الانجليزية والفرنسية والالمانية لا يأتي هنا من عملية التذكير والتأنيث وانما من دقة التعبير التي ينطوي عليها ضمير المثنى مقارنة بضمائر الجمع العامة , ils they و sie التي تلوذ الى استعمالها في هذا المقام كل من اللغة الانجليزية والفرنسية والالمانية[٧].

ورغم ان ضمير الغائب المثنى «هما» مثله مثل ضمير المخاطب المثنى «أنتما» لا يحددان لا من قريب ولا من بعيد جنس المخاطبين وجنس المتحدث عنهما (في حالة الغياب)، فان ضمير المثنى في حالة الغياب (هما) يتمتع بأكثر دقة تعبيرية من نظيره (أنتما) وذلك عند استعمال الفعل مع كل منهما. فبينما يؤنث أو يذكر الفعل مع (هما) فانه يبقى محايدا مع (أنتما) كما يشرح ذلك هذان المثالان: هما يكتبان وهما تكتبان وأنتما تكتبان (في حالي المذكر والمؤنث).

ثالثا: العربية والتعرف على الجنسين بواسطة حاسة السمع:

ان المستمع الى محادثة هاتفية باللغة العربية حيث تستعمل فيها ضمائر المخاطب المفردة يستطيع بسهولة التعرف على جنس (ذكر أو انثى) المتحدث على الطرف الآخر من الهاتف. وليس في ذلك غرابة أو مفاجأة. فاللغة العربية، كما بينا، بحوزتها ضميرا مخاطب للمفرد (أنتَ وأنتِ) وضميرا مخاطب للجمع (أنتم وأنتنَّ).

وباختصار، فان نسق التأنيث والتذكير الشامل الذي تتميز به لغة الضاد يمكّن المستمع (أو المستمعين) لمحادثة تستعمل فيها ضمائر المخاطب من التعرف عن طريق الاستماع فقط على جنس المتخاطبين. والحال انه لا الانجليزية ولا الفرنسية ولا الالمانية قادرة على السماح للمستمعين الى محادثة بتلك اللغات الثلاث على معرفة جنس المخاطبين. فالمتكلم للانجليزية والفرنسية والالمانية يعتمد اساسا على رؤية المتخاطبين لمعرفة جنسهم الذكوري أو الانثوي.

ومن هنا يتضح ان لغة الضاد تستعمل مصدرين، لا مصدرا واحدا في عملية التعرف وتحديد ذكورية أو أنوثة الكائنات الحية أو الاشياء الجامدة. وهكذا، فاللغة العربية تمد مستمعيها بقدر أوفر من المعلومات حول انوثة/ ذكورية الافراد في المحادثات المسموعة أو في حالات مشابهة لذلك من الاحتكاكات الاجتماعية البشرية[٨].

ان نمط التذكير والتأنيث يبقى اساسا كما هو في اللغات الاربع بالنسبة لضمائر الملكية pos-sessive adjectives أو الضمائر المتصلة مثل كـ ، كم ، هُ ، ها .. فالتأنيث والتذكير في الضمائر الملكية يتصف بالشمولية في لغة القرآن. فجنس المالك أو المالكة واضح المعالم في حالات المفرد والجمع على حد سواء كما تبين هذه الامثلة: كتابكَ، كتابكِ، كتابكُمْ ، كتابكُنَّ.

وفي حالة ما يمكن ان نطلق عليه بضمائر الملكية في حالة الغائب فان نسق التأنيث والتذكير يبقى أيضا شاملا في حالات المفرد والجمع: كتابهُ، كتابها، كتابهم، كتابهُنَّ. لكن ضمير الملكية في حالة المثنى (المخاطب (كُما) او الغائب (هما) لا يفصح عن جنس المالكين. فكلمتا سيارتكما وسيارتهما تفيد بأن مالكي السيارة قد يكونان ذكرين أو أنثيين أو ذكرا وأنثى معا. اما في اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية فان ضمائر الملكية للمخاطب في صيغتي المفرد والجمع ,your ton/ votre/ dein/ ihren فانها لا تعطي أي

** تأنيث وتذكير الافعال تنفرد به العربية عن بقية اللغات.

** ضمير المخاطب أو المخاطبين (تذكيرا وتأنيثا) واضح كل الوضوح في اللغة العربية فقط دون غيرها.

** التأنيث والتذكير في ضمائر الملكية يتصف بالشمولية في لغة القرآن الكريم.

اشارة بخصوص طبيعة جنس المالك أو المالكين كما هو الامر في هذه الامثلة: dein/ thren Buch ton/ votre livre/ your book.

ان الصمت عن جنس المالك لا ينحصر في ضمائر الملكية للمخاطب فقط في اللغتين الفرنسية والالمانية كما رأينا وانما يمتد هذا الصمت أيضا فيهما الى ضمائر الملكية في حالة الغائب (sein/ thren, son/ leur). أما في اللغة الانجليزية فالامر جد مختلف فضمير الملكية في حالة الغائب المفرد (his/her) يُعرِّفان بجنس المالك (ة) بطريقة لا يحيط بها أي غموض أو تذبذب. ولكن عملية التأنيث والتذكير لجنس المالك (ة) لا تمس ضمير الملكية الغائب في حالة الجمع (their) مثل ما يفيد هذا المثال their house والذى يعنى منزلهم أو منزلهن أو منزل الرجال والنساء جميعا.

وبالاضافة الى كل ذلك فان عملية التأنيث/ التذكير/ الحياد لضمائر الملكية في كل من اللغة الفرنسية والالمانية لا تهتم بتأنيث/ تذكير/ حياد جنس المالك بل تُولي اهتماما الى جنس المملوك فحسب.

فبالنسبة الى مقدرة اللغة في تحديدها لجنس المالك عبر ضمائر الملكية، فان لغة الضاد تقف وحدها كأقدر اللغات المدروسة هنا على القيام بذلك.

ومن المفاجيء هنا أن تأتي الانجليزية في المرتبة الثانية على هذا المستوى رغم انها تبقى ضعيفة جدا في تحديد جنس الكائنات الحية أو الاشياء الجامدة. اما اللغتان الفرنسية الالمانية فهما تعطيان اهمية كبرى، كما رأينا الى عملية تأنيث وتذكير الاسماء والنعوت.. ولكنهما تتخذان موقف اللامبالاة بالنسبة لتذكير/ تأنيث/ حياد ضمائر الملكية كما يفصح هذان المثالان على ذلك: son pays (بلاده أو بلادها) و Seine Idee (فكرته أو فكرتها).

رابعا: وظيفة التأنيث والتذكير في الانساق اللغوية:

في علم الاجتماع الحديث يميل المختصون في هذا العلم والمتبنون لمنظور النسق الاجتماعي كأداة للتحليل، الى اعطاء أهمية كبرى لوظيفة أو وظائف أجزاء النسق الاجتماعي بالنسبة لهذا الاخير ككل[٩].

وبالمثل، فان دراسة الانساق اللغوية تستدعي هي الاخرى من المختص في دراسة اللغات ان يولى انتباها كبيرا لوظيفة أو وظائف العناصر المكونة للانساق اللغوية.

وهكذا يمكن النظر الى عملية التأنيث والتذكير في اللغات من وجهة رؤية وظيفية. وبعبارة أخرى فما هي وظيفة (وظائف) عملية التأنيث والتذكير في اللغات أو اللهجات البشرية؟ فبناء على ما سبق ايضاحه

أعلاه، فان الاجابة على ذلك السؤال يمكن ان تتلخص في التالي:

إن استعمال التذكير والتأنيث يعطي اللغة/ اللهجة مقدرة أكبر على الدقة التعبيرية ووفرة المعلومات حول القضايا التى لها علاقة بالتعريف بالجنسين الذكر والانثى. فالنظر الى التذكير والتأنيث كمتغير وظيفي functionel variable في الانساق اللغوية يسمح بإرساء القانون التالي:

«كلما شملت عملية التأنيث والتذكير عددا أكبر من عناصر (الاسماء، النعوت، الافعال..) اللغة/ اللهجة كلما كانتا اكثر دقة ووفرة في المعلومات بالنسبة للمسائل ذات العلاقة بالتعريف بالجنسين: الذكر والانثى».

ومن هذا المنطلق يمكن القول بدون ارتكاب أي اجحاف بأن اللغة الانجليزية هي الاقل دقة والاكثر شحًّا في المعلومات من كل من اللغات العربية والفرنسية والالمانية في ميدان التعريف بجنس الذكور او الاناث. ان استعمال ضمير الجمع الغائب (they : هم) في لغة شكسبير مثال يفصح بدون تذبذب على ما نعنيه. فالضمير they يستعمل لجمع الذكور أو الاناث على حد سواء. فالشخص الذى يستمع الى جملة باللغة الانجليزية تبدأ بهذا الضمير لا يستطيع البتة معرفة اذا ما كان they يفيد: هم أو هن وفي هذه النقطة بالذات فان اللغة الالمانية تتطابق كليا مع الانجليزية. فضمير الجمع الغائب Sie فيها مثله مثل الضمير they يستعمل للاناث أو الذكور.

أما اللغتان العربية والفرنسية فهما تعبران بكل دقة ووضوح عن جنس ضمير الجمع الغائب. اذ أن كلا منهما تملك ضميري جمع للغائب. ففي لغة المتنبي يوجد الضميران هم وهن وفي لغة موليار يوجد الضميران ils وelles.

ومن أجل القاء الضوء أكثر على دور عملية التأنيث والتذكير في تحسين الدقة التعبيرية في الانساق اللغوية الأربعة المدروسة هنا، نكتفي بالمثالين التاليين. لنا قاعتا تدريس. فمن جهة، يوجد بأحدهما طلبة جامعيون ذكور. ومن جهة أخرى يوجد بالقاعة الثانية طالبات جامعيات فقط. كانت أبواب القاعتين موصودة تماما. كان الطلاب والطالبات يدرسون تخصص التمريض. ولقد أُتيَ بهم الى تلك القاعتين لكي يستمعوا الى محاضرات خاصة يلقيها امامهم مختصون في ميدان الصحة. وتهدف هذه المحاضرات الى تعليم الطلاب والطالبات وسائل ومناهج تمكنهم من رفع مستوى تحسين الوعي الصحي عند السكان. ان المستمع خارج القاعتين الى المحاضرين الذين يخاطبون بالانجليزية والفرنسية والالمانية الطلاب أو الطالبات لا يستطيع التعرف على جنس المخاطبين أو المخاطبات في كل من قاعتي التدريس. ويرجع هذا الى كون ان هذه اللغات الثلاث ليس لها الا ضمير جمع واحد صالح الاستعمال للمخاطبين والمخاطبات (you , vous , thr) وعلى عكس ذلك، فان اللغة العربية تملك كما رأينا ضميري جمع للمخاطب: أحدهما للذكور (هُمْ) والآخر للإناث (هُنَّ). ومما يزيد ويكثف في الدقة التعبيرية لتحديد جنس المخاطبين في لغة الضاد هي عملية تأنيث وتذكير الافعال التى تمتاز بها العربية، كما أشرنا سابقا.

فبامتلاكها لشبكة تأنيث وتذكير شاملة ومعقدة تتفوق العربية كنسق لغوى على اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية من حيث مقدرتها على التعبير الادق والاكثر معلومات بالنسبة للامور التى لها علاقة بالتعريف بالجنسين: الذكر والانثى. ونلخص في الجدول التالي الاختلافات والتشابهات على مستوى عملية التأنيث والتذكير في اللغات الأربع: العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية:

طبيعة التأنيث والتذكير

اللغة	تأنيث / تذكير (الاسماء)	تأنيث / تذكير (النعوت)	تأنيث / تذكير (الافعال)
العربية	أسماء الكائنات الحية والاشياء الجامدة تكون إما مذكرة أو مؤنثة	النعوت تتبع منعوتيها (اسماء الكائنات الحية والاشياء الجامدة) اي انها تكون مؤنثة أو مذكرة.	تؤنث وتذكر الافعال وفقا لجنس الفاعل، المبتدأ... الخ.
الفرنسية	تذكير وتأنيث اسماء الكائنات الحية والاشياء يتماثل تماما مع النمط المشار اليه في العربية اعلاه.	مثلما هو الامر في العربية أعلاه.	لا تذكر ولا تؤنث الافعال، بل هي تبقى محايدة.
الالمانية	اسماء الكائنات الحية والاشياء تكون إما مؤنثة وإما مذكرة واما محايدة.	النعوت تتبع منعوتيها اي انها تكون مؤنثة أو مذكرة أو محايدة.	الافعال محايدة.
الانجليزية	اسماء الكائنات الحية والاشياء تتصف بالحياد.	النعوت تتبع منعوتيها اي انها تحافظ على صفة الحياد.	الافعال محايدة.

ـــر فـــــي أربعــــة أنســـــاق لغــويــة

تأنيث / تذكير ضمائر المخاطب والغائب	تأنيث / تذكير ضمائر الملكية
١ ـ ضمير المتكلم: أنا ونحن يستعملان من طرف الجنسين الذكر والأنثى. ٢ ـ ضمائر المخاطب تؤنث وتذكر في المفرد والجمع: أنتَ أنتِ ، أنتُمْ ، أنْتُنَّ. ٣ ـ تذكر وتؤنث ضمائر الغائب في المفرد والجمع هُوَ ، هيَ ، هُمْ ، هُنَّ.	١ ـ تحدد ضمائر الملكية جنس (ذكر أو انثى) المالك باستثناء ضمائر الملكية التالية: ي (كتابي) نا (كتابنا) كُما (كتابكما) هُمَا (كتابهما). ٢ ـ فضمائر الملكية التالية تُحدد كلها جنس المالك (ة) : كَ (كتابك) ، كِ (كتابكِ) كُمْ (كتابكُمْ) كُنَّ (كتابكُنَّ) هُ (كتابهُ) هَا (كتابها) هُمْ (كتابهُمْ) هُنَّ (كتابهُنَّ).
عملية التأنيث والتذكير تشمل ضمائر الغائب في المفرد والجمع فقط: il (هو) ، elle(هي) ، ils(هم) elles (هن).	إن ضمائر الملكية لا تُعرّفُ هنا بجنس المالك (ة) وانما تُعرّفُ بجنس المملوك مثلما يوضح المثال son chat والذي يعنى قطه أو قطتها.
عملية التأنيث والتذكير تشمل ضمير الغائب المفرد فقط: er (هو) و sie (هي).	إن ضمائر الملكية لا تُعرّفُ بجنس المالك (ة) وانما تعرف بجنس المملوك.
عملية التأنيث والتذكير تشمل ضمير الغائب المفرد فقط كما هو الامر في اللغة الالمانية اعلاه: he(هو) she (هي).	إن ضميرى الملكية للغائب المفرد هما الوحيدان اللذان يعرفان بجنس المالك (ة): his..(هـ) و her (ها) : his book (كتابه) و her book (كتابها).

خامسا: التذكير / التأنيث البنيوي والخفي:

فبالرغم من أوجه التشابه والاختلاف بخصوص عملية التأنيث والتذكير في اللغات الاربع: العربية والفرنسية والانجليزية والالمانية، كما رأينا، فان هذه اللغات تتفق كلها على ضرورة تذكير وتأنيث ضمير الغائب المفرد كما يتضح ذلك في كل من النص والجدول. فضمائر الغائب المذكرة والمفردة في هذه الانساق اللغوية هي كالتالي: هو er , he , il وفي المقابل تكون ضمائر الغائب المؤنثة والمفردة في هذه اللغات: هي Sie , She , elle .

ويبدو أن هذا الاجماع الشامل حول تأنيث وتذكير تلك الضمائر يهدف أولا وقبل كل شيء الى تحسين مستوى الدقة والمعلومات حول التعريف بجنس (ذكر أو انثى) الاشخاص أو الاشياء التى هي في حالة غياب. فحتى اللغة الانجليزية التى هي أقل اهتماما بمسألة التأنيث والتذكير، كما تمّ تبيانُ ذلك في هذه الدراسة، تلتزم بعملية التذكير والتأنيث على مستوى الضمائر المفردة للغائب.

ومع ذلك فلا الانجليزية ولا الالمانية بكاملة الالتزام في هذا المضمار. فلا يوجد في هاتين اللغتين ضميران مختلفان للتذكير والتأنيث بالنسبة لضمائر الغائب في حالة الجمع. فلكل منهما ضمير جمع واحد , Sie) (they يستعمل للاناث والذكور على حد سواء.

وعلى مستوى آخر، يمكن الحديث عن صنفي تذكير وتأنيث في الانساق اللغوية:

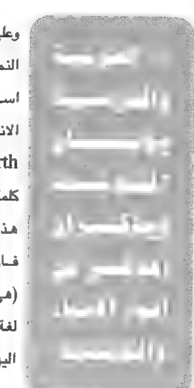
(١) النمط البنيوي.

(٢) النمط الخفي.

فالاول يعرفُ ببناه المرئية التى تظهر في الاسماء والنعوت والافعال.. مثل النعت جميل في كل من اللغات العربية والفرنسية والالمانية جميل، جميلة، Schone, Schon , Belle , Beau. وغني عن القول هذا بأن لغة الضاد تتمتع بشبكة تأنيث وتذكير بنيوية أكثر شمولية وتعقيدا من الانجليزية والفرنسية والالمانية.

اما بالنسبة لنمط التأنيث والتذكير الخفي أو الضمني، فهو لا تكاد تظهر ملامحه في بنية الكلمة،

.. استعمال التأنيث والتذكير يعطي [illegible] المعلومات.
.. اللغة الانجليزية اقل [illegible] المعلومات في ميدان التأنيث والتذكير



وعلى سبيل المثال، فان النمط الخفي ينتشر استعماله في اللغة الانجليزية. فكلمة earth (أرض) تُعتبر كلمة محايدة في معاجم هذه اللغة. ومع ذلك، فان الضمير she (هي) طالما يستعمل في لغة شكسبير للاشارة اليها (أى الارض).

ومن هذه الخلفية يمكن القول بأن الانساق اللغوية تعترف ظاهريا (بنيويا) او ضمنيا (في الخفاء) بذكورية أو أنوثة الكائنات الحية أو الاشياء الجامدة المتواجدة في هذا الكون المترامي.

وخلاصة القول، فان الملاحظات والمعطيات التى جمعناها[١٠] في هذه الدراسة تُفصح بوضوح بأن النسق اللغوى ذا الشبكة العريضة والشاملة في التأنيث والتذكير مثل اللغة العربية الفصحى مرشح لكي يجعل تعلم وحذق هذه اللغة أكثر صعوبة وتعقيدا بالنسبة للفرد العادي.

ولكن هناك في المقابل مكافأة لمتعلم لغة الضاد. وهي تتمثل في التالي: ان شبكة التعامل المفصل وبالتالي المعقد التى تملكها اللغة العربية للتعريف بجنسي الذكور والاناث يعطي دقة أكثر ومعلومات أوفر في هذا الميدان لكل من مستعمل هذه اللغة والمستمع لها في آن واحد.

المراجع :

(١) Buckly, W, Sociology and modern system theory, prentice Hall, Inc. Englewood Cliffs, N.J. 1967.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٣.

(٣) Parsons, T., the Social System, New York, free press 1951.

(٤) Pei, M., the Story of Language, New York, The New American Library, 1965.

(٥) تركز دراستنا هنا على اللغة العربية الفصحى وليس على اللهجات العربية المتنوعة.

(٦) سورة الذاريات، آية ٤٩.

(٧) تستعمل ضمائر they , ils و Sie لاثنين فاكثر.

(٨) فالعربية تمد المستمع بأكثر المعلومات دقة عن جنس المخاطبين في هذا العصر الالكتروني الجديد حيث تمارس بكثافة الاتصالات الهاتفية بين الناس عبر المسافات البعيدة التى تشمل فيما تشمل الاتصالات بين القارات المتباعدة.

(٩) Buckly, W., op. pp. 23-31.

(١٠) استنادا الى ملاحظاتنا اللغوية الخاصة وانطلاقا من اهتماماتنا السوسيولوجية في دراسة خلفيات ازدواجية الانوثة والذكورة على سلوك الجنسين في مجتمعات وثقافات مختلفة. انظر خاصة دراستي: Les racines du franco-arabe feminin au Maghreb, in Arab Journal of Linguistic Studies no-4, 1984 - pp. 145 - 162.

المفردة العربية
بين ضرورة الاستعمال وجمال الصياغة

لقد اتسمت اللغة العربية بسمات وخصائص تجلت فيها مكانتها الكبيرة بين لغات البشر وان كثيرا من هذه الصفات انفردت بها هذه اللغة الكريمة التى جعلها الله لغة كتابه الكريم [١]، واللغة كل لغة انما هي نظام ينسجم في وجود انساني ويتجمع في موروث اجتماعي وكيان أدبي عبر عصور متعاقبة، وحسبك أن تعلم أن العربية كانت طوال قرون عدة لغة العلم والحضارة في العالم المتحضر[٢].

وقد صورت العربية بوضوح بانتشارها وحيويتها تاريخ الأمة وآدابها إذ حملت لنا أريج الأسلاف الذين تركوا لنا تراث البشر، وان كثيرا من هذه الصفات انفردت بها اللغة الكريمة التى جعلها تعالى لغة كتابه الكريم [٣].

وحسبك أن تعلم ان اللغة العربية كانت نخرا لا يمكن أن نفرط به أو نقصر في نقله الى من يأتي بعدنا، والناظر في تاريخ الأمة يجد ان هذه العربية درجت في مراحلها التاريخية حتى اكتملت قوتها فوقفت عند شباب دائم لا يشيب بل يتجدد شبابها على هرم الزمن، وذلك بما استكن في طبيعة تكوينها من القوة التى تعطيها الحياة الدائمة.. بصيرورتها عمود القومية، ولسان مفاخرها، ومآثرها في الوجود، ثم نزل بها التنزيل لتكون عمود الدعوة العظمى، ولسان الشريعة والعقيدة والحضارة والفكر وانساحت مع العظماء والفاتحين العرب، في طبقات الأرض شرقا وغربا[٤]، ثم نشطت في زماننا هذا فاذا هي لغة حية غنية بل انها امتلكت كل اسباب الغنى والقوة والثراء، على نحو انبثق عنه في نفس القائمة بصورة عفوية تلقائية شعور عميق بأن هذه اللغة الفصحى ما تزال صالحة للحياة والحضارة[٥].

وكان حرص العربى على حياة لغته وقوتها وسلامتها، أمرا عاما معروفا، كما اعتز بها العلماء ومنحوها عناية فائقة، لتظل صحيحة نقية مهما زاغت الألسن عما كانت عليه من فصاحة ونقاء، أو كثر اللحن، واستشرى بعد ان اختلط العرب بغيرهم من الأمم، قال الزبيدي ت ٣٧٧هـ ولم تزل العرب تنطق

بقلم : **شهاب أحمد علي** - العراق

على سجيتها في صدر اسلامها، وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه افواجا، وأقبلوا اليه أرسالا، واجتمعت عليه الألسن المتفرقة واللغات المختلفة[٦].

ولقد ظلت أبصار العلماء مشدودة الى المستوى اللغوي الذي نزل به القرآن الكريم من العربية فهو المثال الدقيق، والصورة الأرفع لما يمكن أن تكون عليه لغة تقوم على أساس موضوعي من الحس والتبصر والذوق والرهافة و«نعرف من حيث هي أثر لغوي صورة فذة لا يدانيها أثر لغوي على الإطلاق»[٧].

وقد منح هذا الحال سمع العربية قدرة فائقة على الحكم على النصوص والتصرف في توجيه الاشتقاق «فاكتسبت تلك الأذان المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، وأصبحت مرهفة تستريح الى كلام حسن وقعه أو ايقاعه[٨]، ولقد وازنت العرب بين ألفاظها، وقابلت في ذلك بين أوزانها، ووقفت على موازن الاستثقال والاستخفاف منها، بحس لغوي بيِّن، ووعي ظاهر وفي هذا يقول ابن جني: فان قلت: من أين يعلم ان العرب قد راعت هذا الأمر واستشفته، وعنيت بأحواله وتتبعه، حتى تحامت هذه المواضيع التحامي الذي نسبته اليها، وزعمته مرادا لها؟ وما أنكرت ان يكون القوم أجفى طباعا وأيبس طينا في أن يصلوا في النظر الى هذا القدر اللطيف الدقيق الذي لا يصح أحد منا أن يتصوره إلا بعد أن توضح أنحاؤه، بل أن تشرح له اعضاؤه؟ قيل له: هيهات! ما أبعدك عن تصور أحوالهم، وبعد أغراضهم، ولطف اسرارهم، حتى كأنك لم ترهم وقد ضايقوا أنفسهم، وخففوا عن ألسنتهم[٩].

والعربية لم تعرف في تاريخ أهلها الذي سبق الإسلام أي لون من الضبط والتعقيد، وانما كانت تنطق عن الفطرة والسليقة.. والقياس الذي صار مصطلحا علميا بعد جمع نظام اللغة كان يعني عند أهلها قبل أن يخالطوا غيرهم قدرتهم الفذة في ترتيبها وتنويعها وسيطرتهم على أوزانها، وقوالبها الدقيقة الجميلة، ونزوعهم الى التغيير لايجاد نمط من التقابل والانسجام، إذ كانوا يمتلكون في هذا ملكة نقدية خاصة تعتمد سليقة لغوية أصيلة، فلما سعى أهل العلم الى تأصيل قواعدها وجمع دقائقها، وضبطوا ظواهرها بعد استقرائها كشفوا لنا أن لها نظاما فريدا، ونمطا خاصا لأنه «نظام يكشف عن حقائق اللغة وأسرارها، ويعين بتحديد قاطع أن الحالة الخاصة بكذا توجب أن يكون فعلها من هذا الباب»[١٠] وان يكون المشتق على هذه البينة وتلك الصفة، فكثرت أبنية اللغة، وتعددت مبانيها لارتباط ذلك بالمعاني أي انها من اللغات المتصرفة التى تتغير معانيها بتغير أبنيتها[١١]، فلما استكثرت من الألفاظ بالوضع جنحت الى الصيغ والمخالفة بينها ما أمكن فهي «تميل الى كثرة الاشكال والتفنن في الصيغ الكثيرة»[١٢].

**** العربية لم تعرف في تاريخها الذى سبق الاسلام اى لون من الضبط والتعقيد.**

ولقد دلتنا النتائج التى كشفنا عنها بالاستقراء والتتبع أن عماد هذه اللغة ومرتكزها الأساس، ومقومها الأصيل انما يرجع الى السماع عن أهل اللغة وان لم يهملوا القياس في حال الكثرة والغلبة، فان الذي يؤول إليه الأمر في ايجاد الحكم وضبط النظام ، وهو رأى أهل الكلام، والقياس ربما كان نافذا قويا من باب بعينه حتى قال ابن جني: «اعلم أن من قوة القياس عندهم من كلام العرب نحو قولك في قوله (كيف تبني من ضرب مثل جعفر: ضربب هذا من كلام العرب، ولو بنيت مثل ضبرب أو ضورب أو نحو ذلك لم يعتقد من كلام العرب لأنه قياس على الأقل استعمالا والأضعف قياسا[١٣].

وانت ترى أن سبب هذا النفاذ وتلك القوة عنده الكثرة والتمكن وهو محكوم برأي العرب، ولهذا قال ابن جني في خصائصه «اعلم أنك اذا أداك القياس الى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر مثل ما أجزته فانت فيه مخير تستعمل أيها شئت، فان صح عندك ان العرب لم تنطق بقياسك انت كنت على ما اجمعوا عليه»[١٤]، ويفهم من كلام ابن فارس أننا حين نقول غير ما قالوه أو نقيس قياسا لم يقيسوه، فاننا نفسد اللغة ونبطل حقائقها»[١٥].

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن القياس قانون لغوي، وأصل مُسَلَّم به من أصول هذه اللغة المحكمة، غير أن العلماء منذ نشأة علوم اللغة ربطوا هذا القياس بالسماع ووازنوا بينهما بميزان دقيق، وذهبوا الى انه أى القياس محكوم بضابط آخر يسميه الخليل (العدل) وهو صرف أهل اللغة للفظ أو الاشتقاق الى جهة يريدونها قد لا تكون هي الجهة التى يفضي إليها القياس، جاء في كتاب سيبويه عن الخليل قوله: كل شيء في ذلك عدلت العرب تركت على ما عدلت عليه، وما جاء تاما لم تحدث العرب فيه شيئا فهو على القياس[١٦]، وقال سيبويه: اعلم أن ليس كل حرف يظهر بعده الفعل يحذف فيه الفعل، ولكنك تضم بعد ما أضمرت فيه العرب من الحروف والمواضع، وتظهر ما أظهروا، وتجري هذه الأشياء على ما اجروا فقف من هذه الأشياء حيث وقفوا ثم قس بعد[١٧]، ثم أن في كلام العرب اقيسة منعوها، ومفردات لم يستعملوها، ومواد لم يأتوا بكل ما يمكن أن يشتق منها، إذ المشتقات فيها لا تجري على نسق واحد، والعربية لغة مشتقة والاشتقاق من أظهر صفات فقهها ولكنها قد لا تستعمل هذا المشتق أو ذاك وان كان القياس يوصل إليه لكن العرب لم تنطق به، ونحن عند استقراء مواد اللغة وتتبع أحوالها نقف على الشذوذ، والندرة، والقلة والكثرة، وكان لهذا أثره الواضح في وضع قواعد القياس، والحكم بصحته وربط كل ذلك بمقدار الاستعمال ومداه في ضوء ما بلغ من شواهد الاستعمال في كلام أهل اللغة، فقد يخبرنا أهل العلم مثلا أن هذا الفعل (مات) وهم يريدون به في الأكثر الفعل الماضي

الثلاثي الذي لم يؤثر استعماله عن العرب مع ورود مضارعه، أو أحد مشتقاته مستعملا في لسانهم كما يراد به أيضا ذلك الأصل الثلاثي المفقود لكلمة فصيحة مأثورة يزيد عدد حروفها في الأعم الأغلب على ثلاثة أحرف»[١٨].

ويبدو أن هذه التسمية وردت في معظم معجمات العربية نقلا عن الخليل فهو أول من افترض وجود هذا الفعل جاء في (العين) قال الليث: سئل الخليل عن نصب (مرحبا) فقال: فيه كعين الفعل أراد أنزل أو أقم، فنصب بفعل مضمر فلما عرف معناه المراد أميت الفعل»[١٩] ومن ذلك أيضا ترك استعمال (ودع) ثلاثي (يدع) و(وذر) ثلاثي (يذر) إذ يبدو أن العرب استغنوا عنها كما تركوا غيرها، وفي هذا دليل على أن المسموع هو الأصل وان العربي يجد جمال لغته، ويحس حسن ألفاظها ويتذوقها ويدرك دقائقها سليقة وطبعا، فيرتبط بذلك فاستعصت هذه اللغة الشريفة، الكريمة، اللطيفة»[٢٠] على الجمود والعسر، وقويت واستغنت.

ولعل منهج العرب في اشتقاق مصادر الفعل الثلاثى أول المظاهر اللغوية التى تلقاها غنية متنوعة في هذا المجال إذ كيف نستطيع أن نلم هذه المصادر الكثيرة على نمط واحد مع أن الفعل من باب واحد تتشعب أقيسة مَصدره عن أوزان، وأبنية متعددة، فان العرب إذ تتوسع في لغتها بالاشتقاق وتنويع صيغه إنما تتصرف بحرية تجري مع غريزتها اللغوية في إقامة دلالات الألفاظ على المعاني ورموزها عن الفروق التى تميز معنى عن معنى»[٢١]، ومن المفيد أن نذكر هنا أن أهل الصرف يقولون: «والمصدر لا يدرك إلا بالسماع»[٢٢] وهذا يعني أن متعلم اللغة يلزمه ما جاء للفعل من مصادر، ويأخذ بما وردت به الرواية في ذلك، وان يدقق في هذه صيانة للعربية، وعصمة للسانه من الخطأ، ولا ينبغي له أن يعول على القياس فيحصر أبنية هذا المصدر في قوالب عامة تقوده الى العنت والتعسف فمن ذلك ما يتردد في طائفة من كتب التصحيح اللغوي في أننا يصح لنا أن نأخذ بالقياس فنقل كلمة (نضوج) مصدر للفعل (نضج)مع أنه يرد في معجمات العربية التى وقفت عليها هذا المصدر قال في الصحاح: نضج التمر واللحم نضجا ونضجا أي أدرك فهو نضيج وناضج وأنضجته أنا»[٢٣].

وفي اللسان: نضج اللحم قديد وشواء، والعنب والتمر والثمر ينضج نضجا ونضجا أي أدرك، والنضيج الاسم يقال: جاء نضيج هذا اللحم»[٢٤].

فهذه الكتب المعتمدة وغيرها مراجعنا في الرواية، وليس لباحث أن يذهب الى أنها أغفلت هذا المصدر المعروف اليوم وهو (النضوج) فانه يصعب التصديق بأن هذا لفظ قد روي حين لم يرد ولا في أصل واحد من أصول اللغة ومعجماتها، فان اللغة رواية، ولهذه الرواية شروط منضبطة ولقد أدرك العرب قيمة ما توارثوا فكانت للغة عندهم منزلة عرفها القاصي والداني، وكان لنقلها عندهم شروط، وللاحتجاج بها شروط، ولروايتها صفات وكانوا يتحرجون ويدققون صيانة منهم لحرمة اللغة، ونأيا بألسنتهم عن الخطأ بها[٢٥].

ولهذا لا يعول على قول بعض المعاصرين بعد أن استعرض آراء طائفة من أهل اللغة ومنعهم استخدام كلمة (نضوج) فقال: يخطيء من يقول: نضج العنب نضوجا بحجة أن الكلمة (نضوج) لم تسمع عن العرب مصدرا للفعل نضج بل سمع: النضج، والنضج والنضاج ولكن لم يرد هذا المصدر (النضوج) في المعاجم فانه قياسي لأن الوزن (فعول) يطرد مصدر الفعل الماضي الثلاثي اللازم المكسور العين إذا دل على معالجة نحو: قدم قدوما، صعد صعودا، لصق لصوقا، أزف أزوفا، وعليه صح أن تقول: نضج نضوجا[٢٦]، ولا يقنع في هذا أيضا قول الآخر لأنه لم يعتمد شيئا سوى القياس حين صرح بجواز استخدام (نضوج) فقال: استعمال النضوج مصدرا للفعل نضج فهذا المصدر إن لم تنص عليه المعاجم مصدر قياس وهذا الوزن يطرد مصدرالفعل اللازم إذا كان علاجا، ووصفه على فاعل نحو: قدم قدوما، وصعد صعودا، وأزف أزوفا، ولصق لصوقا[٢٧]، وهو كلام يشابه سابقه في الاستدلال والمثال.

ولقد جاء في كتب الصرف: (وأما فعل بالفتح اللازم فقياس مصدره (فعول) بضم الفاء قعد قعودا، وجلس جلوسا ونهض نهوضا ما لم تعتل، وإلا يكون على فعل بفتح فسكون أفعال كقيام أو فعالة كنياحة، وما لم يدل على امتناع وإلا فقياس مصدره فعال بالكسر كأبى إباء أو على تقلب فقياس مصدره فعلان بفتحات كجال جولان»[٢٨].

وهكذا فان أوزان هذا المصدر تختلف اختلافا كبيرا ويرى د. فاضل السامرائي أن هذا التعدد راجع الى سببين هما، اختلاف لغات العرب واختلاف المعنى وعنده سبب مهم فقد يكون لأحد المصدرين معنى يختص به لا يستعمل له المصدر الآخر أو يكثر استعماله فيه[٢٩]، ويمكن أن نضيف الى ما ذكر سببا آخر هو أن أهل اللغة قد لا يرتضون طائفة من الألفاظ، وان قاد القياس إليها لأنها غير داخلة في اختيارهم ولعدم انسجامها مع ذوقهم العام، فإذا أقحمنا ما لم يرد في اشتقاقهم خرجنا على هذا الذوق، حملنا اللغة على غير مسارها فان لها نظاما، ومنهاجا، يدلان على عبقرية ومرونة والناطق بما يقصدون الى إهماله ناسج على غير منوالهم، وناطق بغير منهجهم، هذا ومذهب جمهور أهل اللغة فالقياس الذي تطمئن اليه النفس، ويتفق مع حال هذه اللغة قبولا لتصرف العرب، واظهار دقائق كلامها، وليس العبر في شيوع الكلمة في زماننا فإن العربية المعاصرة تعرف كلمة (رهيب) مثلا ويكثر استعمالها فهل عسانا نقبلها حملا على القياس وهي لم ترد في العربية، ولم تذكرها معجماتها[٣٠]، والذين اعتنوا بالقياس والنظر فيما يعد من صلب كلام العرب، وما لا يعد لم يثبتوا شيئا الا بعد الاستقراء التام، ولا نفوه الا بعد الاستقراء التام[٣١] وهو لا يستمد أثره أو قوته إلا من التشبيه والصنعة، إذ يقاس الشيء على الشيء إذا كان علة حكم الأصل موجودة في الفرع، وقد يشبه شيء بآخر مع عدم وجود العلة في الفرع، ولهذا ذهب د.

تمام حسان الى أن القياس أشبه باستخراج الاحكام الفقهية فيه ويمنح دراسة اللغة وللأصوليين أن يتكلموا عن الأصل والفرع والعلة والحكم لأن نشاطهم كله يقوم على المضاهاة والأقيسة المنطقية، أما اللغة ومنشؤها العرف العام فإنها تبعد عن القياس بعد العرف عنه، والأولى أن ندرس كل حالة على علاتها في ضوء استقراء شامل، وان نستخرج قاعدتها من هذا الاستقراء، أي أن الأصل ما يقوله أهل اللغة وينقل عنه وان القياس ليس وسيلة منهجية في دراسة اللغة، وصحيح أن هناك ما يسمى باطراد القوانين الصوتية وما يسمح بالصوغ القياسي ولكن هذين نتيجتان من نتائج الملاحظة والاستقراء لا وسيلتان من وسائل الدراسة والمنهج، وهو يذهب أن لا مجال لتسلط القياس على اللغة، حتى إن الوضع في اللغة بدل أن يكون مسألة تقارن اجتماعي وبدل أن تكون الكلمة معتبرة في اللغة بما وراءها من قوة العرف، أصبحنا نرى الوضع اللغوي مسألة تمرين في القياس، ووجدنا الكلمة تعتبر من اللغة بما روعي في صرفها من شروط القياس[٣٢].

ولا أريد أن أمنع القياس أو أضيق دائرته فإن هذا حال من التزمت والمغالاة، فيه تعسف وحجر على اللغة وربما كان ذلك متأتيا من اعتماد كثرة الأمثلة أو قلتها في القياس وان كان ورود اللفظ ولو في مثال واحد في كتاب من كتب اللغة أو معجماتها يكفي لجريانه في مضمار اللغة، وعده من متنها، وجمهور كلامها وفيه ضمان لارتباطها بقانون العام الذي لا يذهب بجمالها أو يفسد رونقها اللذين يتصلان بحسن تصرف أهلها، وبالحس اللغوي المرهف الذي اعتمد الذوق الرفيع.

**** المرتكز الاساسي للغة العربية يرجع الى السماع.**

قال ابن الأثير: ومن هذا النوع ألفاظ يعدل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ولا يستفتى في ذلك إلا الذوق السليم، وهذا موضع عجيب لا يعلم كنه سره[٣٣].

وقال في موضع آخر: ولربما أخطأ بعض الناس في هذا الموضع وقاس عليه ما ليس بمقيس[٣٤]، فمن الصائب الملائم لروح العربية ونحن نواجه هذا الكثير الجديد من المفردات أن نتعامل معها على وفق منهج أهلها في بنائهم الثابت، وتصرفهم الأصيل، ونميل الى عدم الأخذ بما لم يعرفوه أو تركوه فلم ينقل عنهم ولو برواية واحدة وردت في متنها الصحيح المهذب، ولا شك أن تطور اللغة يعني مواكبتها للحياة، وان ضرورة الاستعمال تقتضي الجديد من المفردات ولولا حاجة الناس الى التعاون والترافد، لما احتاجوا الى الأسماء، وعلى أن المعاني تفضل على الأسماء، والحاجات تجوز مقادير السمات. وتفوت ذرع العلاقات كما يقول الجاحظ[٣٥]، وهو التوليد اللغوي الذي يعبر عنه أحد المحدثين بقوله: ولا ينفك المنظرون - تجريديا - في نشأة اللغة وتكاثرها، يلحون على المولَّد الحقيقي

** القياس ليس وسيلة منهجية في دراسة اللغة.

للظاهرة لربط الحدث اللساني بعنصر الحاجة في الإنسان فيتعين عندئذ أن السبب الذي به كثر كلام الناس واختلفت صور ألفاظهم إنما هو كثرة حاجاتهم[٣٦].

فان باللغة حاجة دائمة الى تكثير الألفاظ ولكن الأمر في العربية خاصة يراعى فيه اعتدال اللفظ، وتلاحم أجزائه وانسجامه مع طبيعة اللغة وطواعيتها، مهما اشتدت الحاجة اليه أو استدعت الضرورة إيجاده وإدخاله صرح اللغة لضرورة يتطلبها التطور أو الحاجة دخول المعربات مثلا فان ضابط ذلك وأساسه جمال المفردة والتئام موسيقاها والأخذ بمقياس أهل اللغة في نسج ألفاظها حفاظا على العربية.

ولقد ورد في قواعد الصرف العربي أن نوعا من الأصوات الخفيفة هي (الذلقية) تدخل في تركيب مواد اللغة بشكل بارز وخصوصا الرباعي فما فوق فان وجدت كلمة من أربعة أصول مثل دحرج، زخرف، بعثر، صلدم، أو خمسة أصول مثل سفرجل، فرزدق، فانه لابد من دخول أحد هذه الأصوات أو أكثر في بنائها وإلا عُدَّتْ الكلمة دخيلة في العربية وهذه كلمة الخليل في مقدمته للعين[٣٧].

كل هذا يتم بوعي أهل اللغة ورغبتهم وعليه يجري التصرف والتوجيه على وفق ظاهرة عامة حققت لهذا اللسان العربي صفات صوتية وجمالية وجهها الذوق المرهف، والبناء المنطقي لإجراء صياغة بديعة، وتعديل مهم.

كما يبدو أن دعوى إقامة المتن اللغوي، على أساس القياس لم يقل بها علما وان المتقدمين وهم أقرب الى العربية منا زمنا، وألصق بها مكانا، وان ذلك ينطوي في الوقت عينه على مخالفة الواقع اللغوي في العربية، والتغافل عن الجانب الذوقي عند العرب الفصحاء الذي كان وراء نطقهم بالألفاظ على تلكم الصورة اللغوية لا على غيرها في صور القياس الجديد[٣٨].

فان نظرتنا الى لغتنا الفصحى ليست في الواقع نظرة الى لغة نتحدث بها فحسب بل هي نظرة مزدانة بالإجلال والاعتزاز لأنها لغة أقدس كتاب واكرم تراث ولأنها لغة الفكر والعلم والأدب في تالد العصور وطارفها والعربية لغة الأمة التى لا بديل لها عنها وهي ملك لكل الناس يتكلمونها ولكن ليس في حقهم جميعا أن يتصرفوا بها حسب أهوائهم[٣٩]، ويرجع أبو الفتح ابن جني أمر هذه اللغة التى لا يكاد يُعْلَم بُعْدها، وَلا يُحاط بقاصيها[٤٠] الى تصرف العرب، وما منحوا في هذا الميدان من دقة وصنعة عالية والى ما دلت الدلالة عليه من حكمة العرب التى تشهد بها العقول وتتناصر إليها أغراض ذوي التحصيل فما ورد على وجه يقبل القياس، وتقتاد إليه دواعي النظر والإنصاف حمل عليها، ونسب الصنعة فيه إليها وما تجاوز ذلك فخفي لم تأس النفس فيه، ووكل الى مصادفة النظر فيه وكان

الأمر به أن يتهم الإنسان نظره، ولا يخف الى ادعاء النقص فيما قد ثَبَّتَ الله أطنابه، واحصف بالحكمة أسبابه[٤١].

الهوامش :

(١) فقه اللغة العربية/ د. كاصد الزيدي - جامعة الموصل - ص ١٢١.

(٢) العربية تواجه العصر/ د. ابراهيم السامرائي - ص ٨٦.

(٣) نظرات خاصة في قواعد رسم الكتابة العربية/ د. محمد بهجت الأثري - ص ٢٢.

(٤) كلم العرب في قضايا اللغة العربية/ د. حسن ظاظا - ص ٥.

(٥) طبقات النحويين اللغويين/ د. الزبيدي - ص ١١.

(٦) العربية/ يوهان فك - ترجمة، رمضان عبد التواب - ص ١٦.

(٧) دلالة الألفاظ/ د. ابراهيم أنيس - ص ١١٥.

(٨) الخصائص/ ابن جني - ج ١/ ص ٧٣.

(٩) شرح المفصل/ ابن يعيش - ج ٧/ ص ١٥٣.

(١٠) علم اللغة/ د. علي عبد الواحد وافي - ص ١١٥.

(١١) التطور النحوي للغة العربية/ برجستر اسر - ص ١٠٣.

(١٢) الخصائص/ ابن جني - ج ١ / ص ١١٥.

(١٣) نفس المصدر: ١/١٢٦ - ١٢٧.

(١٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها/ ابن فارس - ص ٥٧.

(١٥) نفس المصدر: ١/١٢٦ - ١٢٧.

(١٦) كتاب سيبويه/ تحقيق عبد السلام محمد هارون - ج٣ - ص٣٣٥.

(١٧ نفس المصدر: ١/٢٦٥ - ٢٦٦.

(١٨) مسائل لغوية في مذكرات مجمعية/ الشيخ محمد حسن آل ياسين - ص ١٣٩.

(١٩) العين/ الفراهيدي - ج ٣ - ص ٢١٥.

(٢٠) الخصائص/ ابن جني - ج ١ - ص ١٨.

(٢١) نظرات خاصة في قواعد رسم الكتابة - ص ٢٥.

(٢٢) دقائق التصريف/ أبو القاسم المؤدب - ص ٤٤.

(٢٣) الصحاح/ الجوهري - ص ٣٤٤.

(٢٤) لسان العرب (مادة نضج) ج٣ - ص ٢٠١.

(٢٥) نحو وعي لغوي/د. مازن المبارك - ص ١٩٢.

(٢٦) معجم الخطأ والصواب في اللغة/ د. أميل يعقوب - ص ٢٥٥.

(٢٧) في قضايا اللغة والنحو/ د. احمد مختار عمر - ص ١٤٢.

(٢٨) شذى العرف في فن الصرف/ الشيخ احمد الحملاوي - ص ٧٢.

(٢٩) معاني الأبنية في العربية/د. فاضل السامرائي - ص ١٨ - ١٩.

(٣٠) لسان العرب (رهب)/ ج١: ص ٤٣٦ - ٤٣٩.

(٣١) اللغة بين المعيارية والوصفية/ د. تمام حسان - ص ٤٢.

(٣٢) نفس المصدر : ص ٤١.

(٣٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.

(٣٤) نفس المصدر : ج ١ - ص ٢٨٦.

(٣٥) الحيوان / الجاحظ.

(٣٦) التفكير اللساني في الحضارة العربية/ د. عبد السلام المسدي - ص ٨٧.

(٣٧) العين/ الفراهيدي - ج ١/ ص ٥٢.

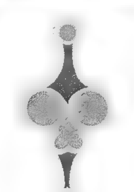
(٣٨) حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث/ د. محمد ضاري حمادي - ص ٢٢٥.

(٣٩) نحو وعي لغوي /د. مازن المبارك - ص ٥٨.

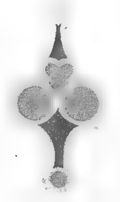
(٤٠) الخصائص / ابن جني - ج ٢ / ص ١٦٨.

(٤١) نفس المصدر : ج ٢ - ص ١٦٦ - ١٦٧.

لا يكاد الإنسان يشعر بالفرق بين الكثير من الكلمات وهو يقرأ في الكتب، بل إن الكثير من الكتب تجمع بين الكلمات وهي متفاوتة في معانيها اللغوية، متباينة في مضامينها، من ذلك الجمع بين الخشوع والخضوع، وكأنهما بمعنى واحد أو الجمع بين الكذب والمين أو غيرها. وبالرجوع الى كتب اللغة نجد البون شاسعاً بين الكلمتين، والفرق واسعاً بين أصل اللفظتين.



الفرق بين الشك والريب



وكلامنا اليوم عن الفرق بين الشك والريب:

قال ابن القيم: الفرق بين الشك والريب من وجوه:

الأول: من حيث الإطلاق، فيقال شك مريب كما قال الله تعالى {**وإنهم لفي شك منه مريب**}[١] ولا يقال ريب مشكك.

الثاني: أنه يقال رابني أمر كذا، ولا يقال شككني أمر كذا.

الثالث: أنه يقال رابه يريبه **إذا أزعجه وأقلقه**، ومنه قول النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد مر بظبي خافت في أصل شجرة {لا يريبه أحد}[٢] أي حتى لا يزعجه. ولا يحسن هنا لا يشككه أحد؛ لأن الشك لا يأتي للإزعاج.

الرابع: أنه لا يقال للشاك في طلوع الشمس أو في غروبها أو دخول الشهر أو وقت الصلاة هو مرتاب في ذلك، بل يقال هو شاك في ذلك.

الخامس: أن الشك والريب يختلفان في المعنى: **لأن الريب ضد الطمأنينة واليقين** فهو قلق واضطراب وانزعاج، ولا يكون هذا في الشاك، (والشك مطلق التردد).



بقلم : د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى – مكة المكرمة

السادس: يقال: رابني مجيئه وذهابه وفعله، ولا يقال شككني، فالشك سبب الريب، فإن الإنسان يشك أولا فيوقعه شكه في الريب، **فالشك مبتدأ الريب**، كما أن العلم مبتدأ اليقين[٣].

وهناك فرق آخر وهو أن **الارتياب شك مع تهمة**، والشاهد على ذلك أنك تقول إني مرتاب بفعل فلان، ولا تقول إني شاك في فعل فلان[٤].

وقد جاءت الآيات الكثيرة تبين ذلك وإن كانت اللغة تسمح باستعمال الكلمات بعضها مكان بعض لفائدة لغوية.

من ذلك قوله تعالى في الريب في أول الكتاب الكريم {**ذلك الكتاب لا ريب فيه**}[٥] أي لا يشك أحد في صدقه، لكن الكفار مع شكهم في أنه من الله تعالى فهم يتهمون النبي (صلى الله عليه وسلم) بالكذب والافتراء على الله تعالى، فنفى الله تعالى هذه التهمة كما نفى الشك في صدق القرآن الكريم، مصداق ذلك قوله تعالى {**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا**}[٦]، فهم مع شكهم بالقرآن فهم يرتابون بعبدنا: النبي (صلى الله عليه وسلم)، وانظر الى قوله تعالى {**أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا**}[٧] فالريب تهمة للنبي (صلى الله عليه وسلم) فهو من مرض القلوب، ومن ذلك قوله تعالى {**فيقسمان بالله إن ارتبتم**}[٨] أي إن شككتم في صدقهما واتهمتموهما بالكذب، وإلا فالشك حاصل في كل شهادة.

وانظر الى قوله تعالى عن المنافقين {**إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون**}[٩]. فهذا ريب لأن المنافقين كانوا لا يثقون بنصر الله تعالى وقد بين القرآن الكريم حالهم في سورة الأحزاب فقال الله تعالى {**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا**} الآيات[١٠].

والآيات في هذا المقام كثيرة.

وجاءت - أيضاً - آيات تبين الشك وإطلاقاته: من ذلك قوله تعالى عن الكفار واختلافهم في القرآن الكريم وتحيرهم فيه {**وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق * أأُنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب**}[١١] وقوله تعالى : {**فإن كنتَ في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءُون الكتاب من قبلك**}[١٢] فالنبي (صلى الله عليه وسلم) - لا يشك ابدا في أن القرآن الكريم من الله تعالى، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) لا أشك وأسأل[١٣].

وانظر الى قوله تعالى في النصارى الذين اختلفوا في عيسى عليه السلام فقد قال الله تعالى {**وقولهم إنَّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه**}[١٤]

فهذا الشك واضح أن ليس فيه تهمة لأحد وحتى تعرف الفرق بين الريب الذي فيه تهمة، والشك الذي قد يكون فيه وقد لا يكون فيه تهمة، فقد جمعهما القرآن الكريم في آية واحدة في مواضع من كتابه، قال الله تعالى عن الكفار {**وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب**}[١٥] أي ليس فقط شك وتردد بل هو شك موقع في تهمتك بالكذب ومثله قوله تعالى {**وإنهم لفي شك منه مريب**}[١٦] {**إنهم كانوا في شك منه مريب**}[١٧].

وانظر الى قول الرسل للكفار {**قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض**}[١٨] فالكفار لا يشكون بوجود الله تعالى، ولا يشكون في أنه الخالق، قال الله تعالى {**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله**}[١٩] {**ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله**}[٢٠] ولكنهم يشكون في صدق هذا الذي يدعي النبوة ويتهمونه بالكذب. فالأنبياء يقولون لهم إنكم لا تشكون في قدرة الله تعالى على كل شيء فلم تشكون في الرسالة. وهكذا اتضح الفرق بين الكلمتين والله تعالى أعلم.

الهوامش :

(١) سورة هود الآية/١١٠.

(٢) صحيح ابن حبان ج:١١ ص: ٥١١ عن البهزي: أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ـ خرج يريد مكة، حتى إذا كان بالروحاء إذا حمار وحشي عقير، فذكر لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال «دعوه فإنه يوشك أن يأتي صاحبه» فجاء البهزي ـ وهو صاحبه الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار، فأمر به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبا بكر فقسمه بين الرفاق ثم مضى حتى إذا كان بالأثاية بين الرويثة والعرج إذا ظبي خافت (ضعيف) وفي رواية واقف، وفي أخرى حاقف، في ظل، وفيه سهم، فزعم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمر رجلا يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوزه.

وانظر سنن البيهقي الكبرى ١٧١/٦. موطأ الإمام مالك ٣٥١/١، التمهيد لابن عبد البر ٣٤١/٢٣.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم ١٠٦/٤ نقلا عن كتاب الفروق لابن قيم الجوزية جمع وترتيب الأستاذ يوسف الصالح ص ١٢٩ بتصرف.

(٤) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٨٠.

(٥) البقرة/ ٢.

(٦) البقرة/ ٢٣.

(٧) النور/ ٥٠.

(٨) المائدة/ ١٠٦.

(٩) التوبة/ ٤٥.

(١٠) الأحزاب/ ١٢، ١٣.

(١١) ص / ٦ ـ ٨.

(١٢) يونس/ ٩٤.

(١٣) تفسير الطبري ج: ١١ ص ١٦٨، عن قتادة قوله {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك} ذكر لنا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال (لا أشك ولا أسأل)، وانظر تفسير ابن كثير ٤٣٣/٢، تفسير الجلالين ٢٨١/١، عون المعبود ١١/١٤.

(١٤) النساء/ ١٥٧.

(١٥) هود/ ٦٢.

(١٦) هود/ ١١٠.

(١٧) سبأ/ ٥٤.

(١٨) ابراهيم/ ١٠.

(١٩) العنكبوت/ ٦١.

في ذمة الله

عبد الله بلخير أول وزير للإعلام السعودي

انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الجمعة الموافق ٢ شوال ١٤٢٣هـ/٦ سبتمبر ٢٠٠٢م الشاعر والأديب عبد الله بلخير.

- ولد الشاعر عبد الله بلخير بحضرموت عام ١٣٣٣هـ ثم رحل مع والده الى مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ حيث التحق بمدرسة الشيخ أمين ماحي الابتدائية، وعند تخرجه انضم الى مدارس الفلاح بمكة المكرمة حيث نال الشهادة الثانوية عام ١٣٥٣هـ ومنها ابتعث الى بيروت ليدرس بالجامعة الأمريكية.



- عاد - رحمه الله - الى المملكة ليبدأ حياته العملية سكرتيرا بوزارة المالية، ومنها التحق بالشعبة السياسية بديوان جلالة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - كما عمل مترجما مرافقا للملك عبد العزيز في كثير من لقاءاته بزعماء العالم.

وفي بداية السبعينيات الهجرية العام ١٣٧٤هـ عهد اليه تأسيس المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر التي كانت نواة لوزارة الاعلام فيما بعد وأصبح مسؤولا ومشرفا على هذه المديرية، وفي عهده صدرت أكثر الصحف السعودية ونهضت وسائل الاعلام في وثبات قوية شاملة.

- وفي العام ١٣٨١هـ عين وزير دولة لشؤون الاذاعة والصحافة والنشر، فهيأ وسائل الاعلام وقتها لتنبثق منها وزارة الاعلام، فكان بذلك أول وزير يتولى شؤون الاعلام في المملكة. ثم شغل منصب سفير المملكة لدى مملكة أسبانيا.

وبعد خدمته للدولة نحو ثلاثين عاما. تفرغ للكتابة الأدبية والسياحة، وذلك منذ عام ١٣٨٢هـ ونشط في القيام برحلات متتابعة حول العالم. وتمخضت عنها تجارب شعورية كبيرة صاغها في ملاحم رائعة. كما كتب عن رحلاته الكثير مما يعتبر تجسيدا حيا لأدب الرحلات.

ولقد تفتقت الموهبة الشعرية عند بلخير منذ يفاعته عندما كان تلميذا بمدرسة الفلاح، وقد نظم العديد من القصائد والملاحم ولقب في مطلع شبابه بشاعر الشباب وعُرف شعره بأصالته وسمو معانيه مع تمسكه بالمحافظة على طريقة القدماء في بنائه للصورة الشعرية المتميزة.

ومن مؤلفاته كتابه الذي أصدره مع صديقه محمد سعيد خوجه والموسوم بـ (وحي الصحراء) عام ١٣٥٥هـ كما أن للشاعر بلخير خمس ملاحم استقاها من أبطال ورموز التاريخ الاسلامي ومعاركه.

- رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، وغفر الله لنا وله.

«إنا لله وإنا إليه راجعون»..

المرأة واللغة: « وليس الذكر كالأنثى »

ورد لفظ «الذكر» بفتح الذال المشددة وفتح الكاف ـ في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة..

وورد لفظ الأنثى في القرآن ثماني عشرة مرة!

وورد لفظ «الذكرين» بالتثنية ـ في القرآن الكريم مرتين.

بينما ورد لفظ «الأنثيين» ست مرات!

وورد لفظ «الذكور» مرتين. ولفظ «الذكران» مرتين.

ولفظ «الإناث» ست مرات.

فهل يعني هذا العناية بشأن «الأنثى» أكثر من العناية بشأن «الذكر»؟!

لعل في هذا رداً على من زعموا أن الرجل هو موضع العناية بينما الأنثى لا تحظى إلا بالإهمال والنسيان!

وليس الأمر أمر إحصاء عددي بقدر ما هو تسجيل لقصة خلق هذا الجنس البشري بذكوره وإناثه.

وقد بدأت هذه القصة بخلق «الذكر» وهو آدم عليه السلام ثم خلق الله حواء لتكون سكناً لآدم كما قال سبحانه: {**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**}.

ولا منافاة بين كون «حواء» قد خُلقت لتكون سكناً لآدم ومعينة له على أمر حياته وامتداد نسله.

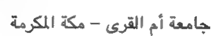
وبين كون البشر جميعاً قد خلقوا لعبادة الله سبحانه.

وهذا ردٌ على كلام الدكتور **عبد الله الغذامي** في كتابه «المرأة واللغة» إذ قال:

«ومن تحوُّل السيدة الى جارية صارت حكايات «ألف ليلة وليلة» تدور على مفهوم مركزي وهو أن النساء إنما خلقن من أجل الرجال على عكس ما تدل عليه الآية القرآنية الكريمة في قوله تعالى: {**وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون**} (الذاريات/٥٦) وهو علة الخلق وسبب الوجود»[١]

إن هذا اصطناع للتناقض لا مبرر له.. فالجن والإنس قد خلقوا ليعبدوا الله سبحانه.. ولكن حكمة هذا الخلق لا تناقض هذه الغاية.

بقلم : **د. مصطفى عبد الواحد**



فالله سبحانه قد خلق آدم ابتداء وعلمه الأسماء كلها وأسجد له ملائكته.. فما الحكمة في خلق حواء بعد خلق آدم.. وهي تحمل الخصائص النفسية لآدم لكنها زودت بعناصر ومواهب تناسب الغاية من خلقها كما قال سبحانه: **{ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة}**[٢] فاللام في قوله سبحانه: **{لتسكنوا إليها}** هي لام التعليل التي يكون ما بعدها علة لما قبلها..

لكن المتأثرين بحركة «التمركز حول الأنثى» يرفضون أن يكون خلق المرأة لتكون سكناً للرجل وحاملة لنسله.. ويرددون أن المرأة خلقت مستقلة عن الرجل وأن قيمتها في ذاتها.. لا في كونها أمّاً ولا زوجة!.

ولا مانع عندهم من الاستشهاد على ذلك بالقرآن.. متناسين الآيات التي جلّت الحكمة من خلق الأنثى والوظيفة التي أعدت لها وهي الأمومة ورعاية الأجيال.

إن هذه «النفس الواحدة» التي تناسل منها البشر هي نفس آدم عليه السلام.. ولفظة «النفس» تطلق على المذكر والمؤنث.. فتقول: هذه نفس رجل صالح وهذه نفس امرأة صالحة.. وقد وصفها الحق سبحانه بقوله: (واحدة) لأن لفظ (النفس) مؤنث في ذاته وإن استعمل للذكور والإناث.

ويدل على ذلك قوله تعالى: **{يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي}**[٣]. وقد تكون هذه النفس المطمئنة نفس رجل صالح أو امرأة صالحة.

فإذا كان آدم عليه السلام ـ وهو الذكر الأول في الجنس البشري قد استعمل في التعبير عنه لفظ مؤنث.. أفلا يدل ذلك على وحدة الأصل وتكامل الذكور مع الإناث لا تناقضهما وصراعهما؟!.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: عن قتادة قوله: **{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة}** يعني آدم صلى الله عليه وسلم. وعن مجاهد مثله. وقال: ونظير قوله: «من نفس واحدة» والمعنى به رجل قول الشاعر:

أبوك خليفة ولدته أخرى

وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى وهو يريد الرجل، فأنَّث لفظ الخليفة. وقال تعالى ذكره {**من نفس واحدة**} لتأنيث النفس والمعنى من رجل واحد»[٤].

وإذا كانت الآية الكريمة من سورة النساء قد استعملت لفظاً مؤنثاً في الدلالة على الرجل الأول في تاريخ البشرية، فإنها قد استخدمت لفظاً مذكراً في الدلالة على الأنثى الأولى في التاريخ وهي حواء.

فقال سبحانه: {**وخلق منها زوجها**} وقد اتفق المفسرون على أن المراد بلفظ «الزوج» هنا المرأة وهي حواء التى خلقها الله من ضلع آدم كما قال الطبري عن قتادة: «وخلق منها زوجها» يعني حواء خلقت من آدم من ضلع من أضلاعه»[٥].

فهذا التبادل بين الذكورة والأنوثة في استعمال لفظ مؤنث للرجل ولفظ مذكر للمرأة يدل على وحدة الأصل وتماثل الخلق والمزاوجة في التعبير بلا حرج لأن في كل منهما خصائص من الآخر.

وكلمة «زوج» تستخدم للدلالة على كل من الزوجين تقول: عليٌّ زوج فاطمة وفاطمة زوج علي.

أما لفظة «زوجة» في الدلالة على المرأة فليست خطأً ولكنها قليلة الاستعمال. قال في القاموس: الزوج البعل والزوجة. وفي أساس البلاغة للزمخشري: هو زوجها وهي زوجه وزوجته.

وهما زوجان وله عدة أزواج وزوجات.. لكن صاحب كتاب المرأة واللغة قد جعل من استعمال كلمة «زوج» في الدلالة على المرأة استلاباً لحقها الأنثوي!

استمع إليه وهو يقول:

«التذكير إذن هو الأصل وهو الأكثر، ولن يكون التذكير أصلا إلا اذا صار التأنيث فرعاً. ومن هنا فإن الفصاحة ترتبط بالتذكير، فتقول عن المرأة إنها زوج فلان وليست زوجة فلان إن كنت تتحرى الفصاحة والأصالة[٦].

وقد تبين لك أن استخدام لفظ زوجة، في الدلالة على المرأة صحيح وفصيح وإن كان قليل الاستعمال.

وقد عكس الكاتب القضية.. ولو نظر الى استعمال كلمة «نفس واحدة» في الدلالة على الرجل وكلمة «زوج» في الدلالة على المرأة لتبين له المقصد اللغوي الدقيق من هذا التبادل في الاستعمال، بما يزيل أي شبهة عن وحدة الأصل الذي ينتمي إليه الرجال والنساء.

فإذا ساوت اللغة العربية بين الرجل والمرأة في لفظ «زوج» فليس معنى ذلك محاباة التذكير وطمس

التأنيث أو إجبار المرأة على التنازل عن تاء التأنيث في لفظ «زوجة» حتى تكون في دائرة الفصاحة كما توهم هذا المؤلف.. بل معنى ذلك المساواة بين الزوجين في كونهما طرفين متكافئين كل منهما زوج للآخر.. فإذا كانت كلمة «زوج» تشريفاً للرجل وتكريماً فقد ساوته امرأته في ذلك فأصبحت هي الأخرى زوجا له.

وكان على هذا الباحث في قضية علاقة المرأة باللغة أن يقف أمام استعمال كلمة «نفس واحدة» في الدلالة على الرجل الأول من هذا الجنس البشري.. فهل هذا تأنيث للرجل ومحاباة للمرأة؟ أو أنه دلالة على وحدة الأصل وإزالة الحساسية اللغوية في الحديث عن الذكور والإناث بحيث يستخدم في الحديث عن أحدهما ما يستخدم في الحديث عن الآخر.. وهذا يقتضي منا الدخول الى المجال الصعب ومواجهة القضية في إطارها العلمي بعيداً عن الحماس والانفعال والتأثر بالأفكار الشائعة.

إن هذا التداخل بين الذكورة والأنوثة في أصل الخلق يدل على الأصل الواحد وعلى أنهما يجتمعان في الخصائص الإنسانية ويفترقان فيما تقضى به الفطرة.

ولعل هذا التداخل في استخدام لفظ المؤنث: «نفس واحدة» لآدم واستخدام لفظ المذكر «زوج» لحواء يخفي على بعض من لا علم لهم بمعاني اللغة، كما حدث قبل اكثر من عشرين عاماً حين كتب بعض من يدّعون الاجتهاد في تفسير القرآن - من غير العلماء - مقالا في مجلة أسبوعية تصدر بمصر كان عنوانه: «هل كانت حواء أمّا لآدم؟!» عرض فيه فكرة توهمها أحدهم من أن النفس الواحدة هي حواء لأنها مؤنثة، وأن الزوج هو آدم عليه السلام لأنه مذكر.. وتصور هذا المجترىء على التفسير أن حواء خلقت أولا.. ثم خلق منها آدم .. وأن آدم . قد تزوج أمه.. وجاء النسل البشري من هذين «الزوجين»[٧].

وظن هذا المسكين أنه اكتشف حقيقة غائبة عن كل المفسرين.

الهوامش :

(١) المرأة واللغة للغذامي، الطبعة الثانية، ص ٧١.
(٢) سورة الروم: الآية/ ٢١.
(٣) سورة الفجر: الآية/ ٢٧ - ٣٠.
(٤)تفسير الطبري ٢٢٤/٤ (ط دار الفكر).
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق.

ومضات



تعريفه: هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في حصول المطلوب ودفع المكروه مع الثقة به وعمل الأسباب المأذون فيها.

علاقته بالتوحيد: إذا أفرد العبد ربه سبحانه بالتوكل اعتمد عليه وحده في حصول مطلوبه وزوال مكروهه فلا يعتمد على غيره.

أركان التوكل: قال شيخ الإسلام في التحفة العراقية ما ملخصه: «التوكل المأمور به هو ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع.

- فالالتفات الى الأسباب شرك في التوحيد.
- ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل.
- والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع»[١].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لابد في التوكل من أمرين:

الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتمادا صادقا حقيقيا.

الثاني: فعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكله على الله فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه. ومن الغى الاسباب ولم يأخذ بها فقد طعن في حكمة الله لأن الله جعل لكل شيء سببا ولأن الله حكيم يربط الأسباب بمسبباتها»[٢].

التوكل المنافي للتوحيد :

الأول: التوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله كالتوكل على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر أو غيره؛ وهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة كمن يعتمد على شخص - في رزقه ومعاشه ونحو ذلك، وهذا شرك أصغر، وهذا مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه ولهذا تجد الإنسان

يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر؛ فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب بل جعله فوق السبب[٣].

أدلة كون التوكل من الإيمان والتوحيد :

١ ـ قوله تعالى: {**وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**}، فدلت الآية على أن التوكل من شروط الإيمان.

٢ ـ قوله تعالى: {**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون**} فدلت الآية على أن التوكل الكامل من صفات أهل الإيمان الكامل.

٣ ـ قوله تعالى: {**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**} ومعنى حسبك: كافيك، والمعنى: أن الله كافيك وكاف من معك لأنكم توكلتم عليه، بدلالة الآية الآتية.

٤ ـ قوله تعالى: {**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**} قال بعض السلف: «جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه وجعل جزاء التوكل عليه في كفايته، فلم يقل: فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافياً عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله سبحانه حق توكله لجعل الله له مخرجا وكفاه رزقه، ونصره[٤].

ومتى ما التفت العبد الى سواه وكله الله الى من التفت إليه كما في حديث: «من تعلق شيئا وكِّل إليه». قال شيخ الإسلام: «وما رجا أحد مخلوقا ولا توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مشرك» ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فَتَخْطَفُهُ الطير أو تهوي به الريح فى مكان سحيق»[٥].

وفي الآية تنبيه على وجوب الأخذ بالأسباب لأنه قال: {**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه**}، كما قال: {**واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون**} فالأسباب من التقوى وقرنت بالتوكل.

٥ ـ ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها ابراهيم {صلى الله عليه وسلم} حين ألقى فى النار وقالها محمد {صلى الله عليه وسلم} حين قالوا له: «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل». وقد كان هذا بعد غزوة أحد حيث قتل من المسلمين من قتل وجرح من جرح، فأرسل أبو سفيان من يبلغ المسلمين بأن المشركين سيعودون ليستأصلوا المسلمين، فقالوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل» وأمرهم النبى {صلى الله عليه وسلم} أن يسيروا بجراحاتهم الى حمراء الأسد فانهزم المشركون وكفى الله المؤمنين القتال.

إذن هذه الكلمة تقال بعد فعل الأسباب ويدل على هذا ما رواه أبو داود أن رجلين اختصما الى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقضى على احدهما فقال المقضي عليه: «حسبي الله ونعم الوكيل» فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل: «حسبي الله ونعم الوكيل». قال شيخ الإسلام: «فأمر النبي {صلى الله عليه وسلم} المؤمن أن يحرص على ما ينفعه ويستعن بالله، وهو مطابق لقوله تعالى: {**إياك نعبد وإياك نستعين**} وقوله: {**فاعبده وتوكل عليه**}.

وهذه الكلمة تقال في جلب المنفعة تارة كما في قوله سبحانه: {**ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله**}، وتقال في دفع المضرة تارة أخرى كما في قوله تعالى: {**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**}، وكما في قوله عز وجل: {**وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره**}[٦].

وليعلم أن الحسب لا يكون إلا لله تعالى، قال ابن القيم رحمه الله: «الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة، قال تعالى: {**وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين**} ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره وبعباده.

وأثنى الله على أهلِ التوحيد من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال تعالى: {**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**} ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله، ونظيره قوله تعالى: {**وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون**} فجعل الحسب له وحده وجعل الإيتاء لله ورسوله.. فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب لله وحده كما أن العبادة والتقوى والسجود والنذر والحلف لا يكون إلا له سبحانه وتعالى.

التوكل الحق لا يكون لأهل البدع:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولا يكون للمعطلة أن يتوكلوا على الله ولا للمعتزلة القدرية» قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لأن المعطلة يعتقدون انتفاء الصفات عن الله تعالى والإنسان لا يعتمد إلا على من كان كامل الصفات المستحقة لأن يعتمد عليه، وكذلك القدرية لأنهم يقولون: إن العبد مستقل بعمله والله ليس له تصرف في أعمال العباد. ومن ثم تعرف أن طريق السلف هو خير الطرق وبه تكمل العبادات وتتم به أحوال العابدين».

التوكل لا يكون في مصالح الدنيا فقط:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «التوكل أعم من التوكل في مصالح الدنيا، فإن المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وإرادته وهذا أهم الأمور إليه، ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله: إياك نعبد وإياك نستعين، كما في قوله تعالى: {**فاعبده وتوكل عليه**} وقوله: {**عليه توكلت وإليه أنيب**} وقوله: {**قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب**}[٧].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل لأن الإنسان إذا وكل الى نفسه وكل الى ضعف وعجز ولم يتمكن من القيام بالعبادة، فهو حين يعبد الله يشعر أنه متوكل على الله فينال بذلك أجر العبادة وأجر التوكل»[٨]. ولذا جاء في الدعاء المأثور: اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى أحد من خلقك طرفة عين.

التوكل لا التواكل

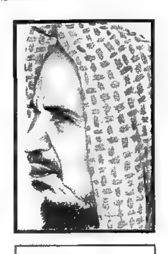
مع أن النبي (صلى الله عليه وسلم) هو أعم المتوكلين إلا أننا نجده يأخذ بالأسباب الظاهرة، فكان يتزود لسفره ويلبس ما يقيه في الحروب من درع ومغفر ونحوهما، وتعجب من بعض المسلمين حين يترك الأسباب ويقول: توكلنا على الله، وهذا سوء فهم للتوكل، وقد حج أقوام بلا زاد فنزلت: «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى» ولما حج بعض أهل اليمن بغير زاد وقالوا: نحن متوكلون، بلغ ذلك عمر فقال: كذبتم إنما المتوكل رجل ألقى حبه في التراب وتوكل على رب الأرباب[٩].

الهوامش:

(١) مجموع الفتاوي ٣٥/١٠.
(٢) القول المفيد ٨٧/٢ - ٨٨.
(٣) القول المفيد ٨٩/٣.
(٤) فتح المجيد / ٣١١.
(٥) فتح المجيد/ ٣٠٩.
(٦) مجموع الفتاوى ٣٦/١٠.
(٧) مجموع الفتاوي ١٨/١٠.
(٨) شرح التوحيد ٨٨/٢.
(٩) نسبه صاحب كنز العمال ١٢٩/٤ الى الحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا في التوكل والعسكري في الأمثال والدينوري في المجالسة وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣٨/٨ الى الحكيم الترمذي. ونسبه محقق البحث الى الدميري في حياة الحيوان ٦٦٦/١ وبنحوه عند البيهقي في الشعب.

عبد العزيز بن سعد الدغيثر

- الرياض -



رثاء فقيد الإسلام الشيخ/ عبد العزيز بن باز

توارى البـدر عنا واختـفى بضـيـائه
فـالامـر لله في احكامـه وقـضـائه
هـزت قـلـوب الـعـالمـين زلازل
لفـقـد من قـد كـان من رحـمـائه
الدين اصـبح ناعـيـاً مـتـأسـيـا
لفـقـد من قـد كـان من زعـمـائه
مـاذا اقـول واللسـان يَكلّ عن
أحق مـا احـصـيـه من احـسـانه
فـالكون مـبـتـهج بسـيـرة فـعله
بالصـالحـات فـيـا لله من رحـمـائه
مـا حـاد عن طرف المهـيـمن لحظة
مـا غـره الشـيـطان ذا بلهـائه
قـول المهـيـمن دأبه بتـلاوة
والسنة الغـراء لفظه وكـلامـه
والعطف للضـعـفـاء سـيـرة نهـجـه
وحنينه لمن يوئيه حـسـن لقـائه
وظهـوره كـالشـمس لا تخـفـاك لنورها
والفـضل لا يخـفى على عـرفـائه
فـتـجـمـعت فـيـه الخـصـال وحسنها
كـالبـحـر في التـمـثـيل عن نظرائه

تقي الدين الشيخ ابراهيم احمد
ـ السودان ـ

إيجاد الضمير عند

الضمير هو ما استتر في داخل الإنسان. وهو الوازع الباطني الذي يرشد الى الصواب ويدل على الخير. وضمير الإنسان يتكون من عقيدته التى تحدد نظرة الإنسان للحياة ومفاهيمه عنها.

فإذا تقررت هذه النظرة بأن يعرف الحلال والحرام. وما ينبغي أن يعرفه الإنسان وما لا ينبغي وما يجوز أن يفعله في الشرع وما لا يجوز كان معنى الضمير قد تحقق. والأديان كلها تشترك في عقيدة التوحيد. وفي تحديد الأخلاق الحسنة والسيئة. ولهذا يشترك معظم الناس في أن الصدق وفعل الخير والأمانة والإخلاص وغيرها أخلاق كريمة ويشكرون عليها.

وأنهم يشتركون في أن الكذب والخيانة والاعتداء على الحرمات أخلاق سيئة يجب ردع صاحبها. وعندما بدأت النظرة الى الحياة تتغير بتغير المفاهيم عن الحياة وبوجود المبادئ الحديثة التى أتت بنظرة تتناقض مع الأديان كالشيوعية والرأسمالية والوجودية. وغيرها بدأت تختلف أخلاق الناس وضمائرهم أفراداً وجماعات.

ولهذا ندرك حرص الإسلام على أن يجعل قيماً ثابتة في الحياة. ومفاهيم أخلاقية تنبثق عن العقيدة.. لا تتغير بتغير الأزمان والأماكن فمفهوم العقيدة واحد ثابت. ومفهوم الأخلاق واحد ثابت حتى يظل الضمير عند الفرد والجماعة ثابتا وبهذا يضمن التكافل والترابط الإجتماعي دائما.

وعمل الإسلام على تنمية الضمير في نفوس

الجدب

تجفُّ الفيافي لفقد المطر
ويكسو الجفافُ غُصون الشجرْ
وتُلقي الرِّياحُ بأحمالها
من الرّمل فوق وجوه البشرْ

* * *

فتلك الوجوه وجوه العربْ
وتلك الحياة حياة العرب
فنحفنة قمح إذا نالها
من القوم شيخ.. كمثل الذهبْ

* * *

شفاه تجفُّ كصحرائنا
وأعينُ ترنو لأيامنا
سنين تدورُ بأهوالها
فماذا تبقّى فما نالنا؟

* * *

رجالُ القبيلة يحمونها
نساء القبيلة من دونها
وما كان يخطُرُ إهمالُها
بنفّن محب لقيمانها

* * *

فطارقُ ليل يُضيفونهُ
وفاقدُ أهل يُواسونهُ
فعاشتْ سنين على حالها
وما جدَّ فيها يذمُّونهُ

* * *

أكُفُّ الرِّجال تزُفُّ الندى
وعاش الحياء بطول المدى
وتلك الليالي على طولها
نهبن مع الجدب فينا سُدى

ـد الفـرد والجمـاعـة

أبنائه وذلك بربطهم بربهم أفراداً وجماعات.. قال تعالى: {فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا}.

وكلما كان الضمير رقيباً على الإنسان بخشيته لله، واتباع أوامره، كلما حاسب نفسه. فإذا حاسب الفرد نفسه على الخطأ ابتعد عنه. وإذا حاسبت الجماعة نفسها لا تضل ولا تزيغ.

وضمير الجماعة ينبغي أن يكون في يقظة تامة حتى يكون رقيباً. وحتى تتمكن الجماعة من مراقبة أخطائها وتقييم واقعها وتتلافى أخطاءها وهذا يؤدى الى تماسك المجتمع حتما، ولا يكون ضمير الجماعة في يقظة تامة إلا إذا وجدت فيها خشية الله ويدوم ذلك في الحرص على العبادات والطاعات. واتباع الأوامر الربانية وربط المجتمع بها. ومراقبة الله في السر والعلن والتطلع إلى ثوابه في الأخرى.

يقول تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم}، ويقول تعالى: {إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين}.

وفي هذه الآية دلالة على أن عمارة الكون ووراثة الأرض للأمة الصالحة وصلاح الأمة بتقواها. وتقواها بيقظة ضميرها، وضميرها وازعها الديني الذي يمسك عليها دائما ينبهها لواقعها وحالتها.

سعيد ناصر المشيب

- ابها -

فيا أمة طأطأت للزمنْ
ويا أمة حاصرتها المحنْ
رأتْ من بعيد .. وقد هالها
بريقُ السَّراب، فكانتْ فتنْ

* * *

فتاه الطريقُ، ومات الجمل
وخطو العروبة يشكو الكلل
فجُرَّتْ على الدَّرب أذيالها
فأين الغيامُ، وأين الجبل؟

* * *

وأين الكرامُ؟ وقد أعقبوا
خيالات قوم .. فما أنجبوا
وألقتْ عن الجُبن سربالها
فمنْ يحتويها؟ ومن يندبُ؟

* * *

فعمَّ التصحُّرُ أخلاقهم
وساد التصحُّرُ أحوالهم
فتلك الجحافلُ قد طالها
جفافُ الحياء بأجيالهم

* * *

وتلك القصورُ بأنوارها
وتلك الدُّروبُ بأقوارها
توابيتُ موتى بأقفالها
فصار الكرامُ كأحجارها

* * *

فلفَّ التَّصحُّرُ أنحاءنا
وهدَّ التصحرُ أحناءنا
فما للحياة، إذاً، مالها؟
وكيف نواجهُ أعباءنا؟

الشريف عبد الله بن صالح آل جازان

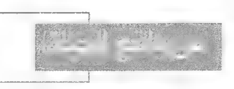
- مكة المكرمة -



تشقى النهايات إن أمعنت في طلبي
وتقصُر الأرض عن إذعان مضطرب!
وليس في مهجة الآتين.. متسعٌ
حتى أهيل على أشجانهم.. نصبي
لقد بُعثت على الخيبات تمضغني
من نزوة الطين حتى فتنة الشهب
قبستُ من غبطة الميلاد ذاكرتي
ورحت أبحث في المعراج عن نسبي
أنا المهابة.. ذاتٌ غير مشرعة
إلا على الشمس.. لكني سأحرقُ بي!!
يا أول الحلم.. كم خبأت في لغتي
عشقاً؟! ووجه الهوى من آخر القرب
ماذا تمنيت؟! أن أستلّ من قلقي
أنشودة التيه.. أو معزوفة الهدب
هذا حصادي أغني فوق نشوته
فوضى اشتعالي.. وإدراكي سدى صخبي
سافرت أنشد أنواء أضنّ بها
على الليالي، وكم أوقدتُ من تعبي
فما استرقت من الأصداء نافلة
لكنه الحزن نسكٌ فاض بالريّب
ما بين عمر تقصّى وَقْدَ أسئلة
تُضْني.. وبين وجودي حكمة الحطب
لستُ ارتعاشاً ولكن هزٌّ أوردتي
ترنيمة البدء حتى تُهتُ في طربي
كم ذا أحنُّ إلى حضن أمرّ به
الى ابتسامات أمي.. واخضرار أبي
أرخي الأماني.. وأدري ما تعتقهُ
والحلم أجدى من التلويح بالحجب
يا مسحة النور في سيماء قافلة
تشكو الأمرين: ترحالي ومنقلبي
لا تسأليني عن الملح الذي سكنتْ
عنه الحنايا.. وخوضي الآن في العنب
كيف انصهرتُ أنا في كل زاوية
حمّى حنين.. وكيف ابتل بي لهبي؟!
واستلهمي من رماد الهمس تحت دمي
بعض امتثال.. وفضّي الليل وانسكبي
ما أهون العمر إن حطّت على وجعي
أسرابك البيضُ.. واستغرقت في عصبي
ليس ارتهاناً إذا ما جفّ موسمنا
كل المسافات تهوي ساعة العتب

• محمد ابراهيم يعقوب

ـ جازان ـ



خواطر مسـافر

عاد من غربته لقضاء اجازته السنوية في مسقط رأسه ووطنه الأم بعد كد وتعب لسنوات امتدت لنحو عشرين سنة تخللتها اجازات قصيرة سنوية وشبه سنوية.. وها هي بلدته التي تبعد عن العاصمة القطرية قرابة المئة كيلومتر يطرأ عليها شبه تغيير.. الوجوه كما هي وإن كساها الوجوم والحيرة والقلق ليس بسبب سوء الأحوال الاقتصادية فحسب؛ وانما لانتشار البطالة وقلة الدخل المادي وغلو الأسعار.

الأبنية والطرقات اعتراها بعض التجديدات الطفيفة التي لا تذكر الا أن هناك بعض الميادين العامة أزيلت وحل مكانها جلسات للترفيه عن العاطلين ولإراحتهم بعض الوقت من الفراغ القاتل الذي هم فيه طوال الوقت!!

طاف أرجاء مدينته المترامية الأطراف يقلب ناظريه لا يبحث عن شيء إلا اجترار الذكريات واستطلاع المستجدات، وقعت عيناه على أبراج سكنية بُنيت على أنقاض منازل قديمة متهالكة كانت موجودة يوما ما في هذا المكان.

سأل واستقصى عن سعر الوحدة السكنية فيها، أجابوه ان السعر هنا يحدد بالمتر المربع وأن سعر المتر يتجاوز (الألف) من عملة بلده وهو رقم خيالي بالنسبة لمحدودي الدخل من الموظفين والمدرسين والعمال، فقال: إذا كان المتر الواحد بألف فبكم يكون ثمن الشقة كاملة بمرافقها؟!.

دعنا من ذلك؛ ولا تسل عن أشياء إن تبدُ لك تسؤك.

إنها الطفرة التي هبت على البلاد فتولدت منها الطبقات وعاد عصر الاقطاع ولكن في ثوب قشيب جديد، طبقة ثرية أتخمتها الدولارات وأخرى كادحة فقيرة لا تملك حتى ثمن مقبرة لها بعد الوفاة!!

أخذته قدماه الى حيث يريد، هناك وفي حي شعبي قديم يقال انه من أقدم الأحياء التي بنيت في بلدته، مساكنه معظمها تطل على نهر جار لوَّثته يد الانسان من قاذورات وفضلات طعام وحيوانات نافقة ولكنه مازال هو المأوى الأوحد والمتنفس الباقي لأهل المدينة يتنزهون على جانبيه ليلا ويقيمون أفراحهم في النوادي المتناثرة على جنباته وبطوله الذي يقسم المدينة الى شقين.

ها هو قد وصل الى صحبته القديمة الجديدة التي طالما يقضي اجازته السنوية

برفقتها على مقهى متواضع، رحبوا به أفضل ترحيب، وأمطروه بوابل من القفشات والنكات وقد تربع في وسطهم يسألهم بشغف عن أحوالهم ويحدثهم تارة عن غربته التى طالت وعن رغبته في الاستقرار والعودة الى حضن بلده الأم يكد مع الكادين يعيش في وسطهم ويتألم لآلامهم ويشاركهم أفراحهم، فيخرج عليه صوت خافت من أطراف الجلسة يحثه على عدم العودة أبدا الى هذا العذاب الأليم المقيم وأن جحيم الغربة أفضل ألف مرة من جنة بلاده.. ويقطع عليه آخر حديثه قائلا (الغربة في دواخلنا حتى ولو كنا في أحضان أمهاتنا).. وهذا ثالث يلتقط أطراف الحديث ويعرب عن أسفه لما آلت اليه أوضاع الشباب من فراغ قاتل وجلوس في المنازل يعولهم الآباء المرهقون ماديا وفي المساء يقضون أوقاتهم على المقاهى التى لا تسمن ولا تغني من جوع.

وهكذا احتدمت حلقة النقاش وتحولت جلسة الاستقبال الى حوار ثقافي متنوع الأغراض والأهواء؛ والنادل في حركة دائمة لا يكل ولا يمل يغدو ويروح بأكواب الشاي وفناجين القهوة والأرجيلة التى يعلوها جمر متقد يلهب القلوب والصدور أكثر مما (يضبط الأمزجة) على حد قولهم.

انتصف المساء ولا يزال الحوار مستمرا، منهم من تحدث عن الغلاء ومنهم من تحدث عن البطالة ومنهم من أفرغ شحنة (عالية الفولت) صعقته بها زوجته قبيل نزوله من منزله الى مرتع راحته (القهوة) إلا أن هناك وعلى الطرف الآخر المواجه لمدخل القهوة تجلس ما يعرف بـ (شلة الأنس والفرفشة) تلك التى باعت القضية ولم يعد يشغل بالهم شيء سوى لعب الدومنا والطاولة وعلامات الانتصار تبدو على بعضهم في حين أن البعض منهم يكتم غيظه بداخله ولا يبديه حتى لا يشمت به المنتصرون إذ أن اللعب به الهزيمة والمكسب.

وهذه الفئة تركت (الجَمَل بما حَمَل) على عاتق الزوجة والأولاد حتى إن البعض منهم لا يعرف في أي السنوات الدراسية ابناؤه ولا ماذا تبقى من راتبه الذى أعطاه - بعد أن اقتطع مصروفه منه - لزوجه لتدبر حالها بما تبقى معها، لا يُسأل عن شيء ولا يسأل عن شيء.. - مُسالم - يخرج في الصباح الى عمله متثاقلا ويعود بعد منتصف النهار الى منزله ليأكل - ما هو موجود - ثم ينام حتى دخول المساء ليبدأ السهر مع رفاق دربه في لعب وضحك وشد وجذب حتى بعد منتصف الليل ليعود مرة أخرى ليخلد الى النوم حتى اشراقة يوم مثل سابقه لم يختلف عنه قيد أنمله.

ها هي حياتهم وقد دأبوا عليها وقالوا هذا ما ألفينا عليه أباءنا.

بدأت حدة النقاش تهدأ مع هدوء الليل وخلود معظم البيوتات الى النوم، وها هم الأصدقاء ينفرطون الواحد تلو الآخر آيبين الى مضاجعهم عدا هو وصاحبه الأوحد الملازم له منذ الطفولة قال له بصوت يملؤه الود (حمدا لله على السلامة ـ بلدتنا كلها فرحت بقدومك ـ الحال هنا تغير ولابد أن ترسم لنفسك ملامح الطريق وأن تدخر ما يساعدك لاتمام الرحلة بأمان وسلام)، وهنا افترقا على موعد في غد مماثل للزمان والمكان.

أخذ يلملم أغراضه من جهاز خلوي وحافظة نقود مثقلة بعد أن دفع جميع تكاليف هذه الجلسة علاوة على (بقشيش) سخي للنادل بمناسبة عودته من غربته الى أرض الوطن ورجلاه مثقلتان من طول الجلوس تحملان جسده المثخن بتلك الأحاديث التى ضيعت عليه فرحته بأول يوم عاد فيه الى وطنه.

ظل يسير وهدوء الليل يصاحبه والأفكار تشتت فكره ماذا عساه أن يفعل وهو لا حول له ولا قوة.

عيناه تلتهم كل شبر من أرض بلده وأنفه يشتم عبق أبائه وأجداده إنها رائحة من نوع خاص تجدد فيه حنينا طال انتظاره. استوقفه (مبرد للمياه) ارتوى منه حتى الثمالة شاكرا وحامدا الله عز وجل أن مازالت المياه الحلوة العذبة توجد في مبردات منتشرات بكثرة في أرجاء بلده وبالمجان يرتوي منها الداني والقاصي وخاصة في فترات النهار الحار ذي الشمس الحارقة الملتهبة فما أثقل أن تجتمع حرارة الجوف وحرارة الجو وحرارة الفكر وشظف العيش.

وقف أسفل برج عالي الطوابق وحمد الله أن له به مكانا له ولأهله يأويه وقال: هذه ثمرة الغربة ولكن.. أن يكون الإنسان غريبا في وطنه فما أثقل ذلك.

استقبلته زوجته بكل بشاشة إلا أنها كانت عاتبة على تأخره عليها لهذا الوقت المتأخر من الليل، انشغل فكرها، وأخذت الهواجس تحيط بها وقالت: غربتك طوال العام لها ما يبررها أما وأنت الآن في وسطنا ومعنا هذا ما يؤرقنا.. لم يأبه لحديثها ولم ينتبه له إذ هو مشغول بما هو أهم.. أيظل في غربته حتى يُقْبَر هنالك.. أم يعيش وسط أهله وهو يحس بغربة أشد وأنكى.. أم ماذا؟.. ولم يفق إلا وهو يردد قول أبى القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي ... ولابد للقيد أن ينكسر

ومن لم يعانقه شوق الحياة ... تبخر في جوها واندثر

مسافر بن راحل المهاجر

....

منتهى القريش

ولدت منتهى احمد القريش بمدينة صفوى بالقطيف عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦٠م وبها تلقت تعليمها الإبتدائي والثانوي وبعد إتمامها للمرحلة الثانوية التحقت بالعمل في شركة أرامكو السعودية.. وقد بدأت في ممارسة الكتابة في وقت مبكر حيث نشرت بعض اعمالها في عدد من الصحف المحلية.. ويتنوع إنتاجها بين الشعر - أو قصيدة النثر - بالفصحى والعامية مما اهلها للفوز بجائزة الشعر من الرئاسة العامة لرعاية الشباب عام ١٤١٤هـ نشرت، لها مجموعة من القصائد العامية عام ١٤٠٨هـ بعنوان «سوالف شوق»،

ومنتهى قريش .. رغم عدم التزامها بنظام التفعيلة فإن القارىء يحس بانثيال الجمل والكلمات في تلك المقطوعات التي أبدعتها ريشتها لتقدمها الى القراء ذات مضمون ظاهر، يتخطى رموزه كما في مقطوعة (للضوء انكسار)..

ماذا هناك ..؟
الصوت يأتي من جديد
وشموعها تمتد في وجل شديد
هل يطفأ المصباح في تلك الزوايا
حيث للضوء انكسار؟
يتضاحك النور الذي قد شيعوه
هم ضيعوه
يمتد يعبر كالسحاب
ما أمطرت أحلامهم إلا بقايا قطرتين
غمازتين
والبسمة الوجلى تداعبها الظنون
عصفورة تقتات في كل الجهات
تتداح في ذات الشمال
ترتاح في ذات اليمين

بقلم : **عبدالله بن أحمد الشباط**

الخُبَر – المملكة العربية السعودية

تبكي فتخذلها العيون

وتتماوج الاحاسيس في المقطوعة الواحدة فتنداح العبارات منتقلة من لغة السؤال الى لغة التقرير

تلك الشفاه.. الانف .. حملقة العيون..

أنى تكون ...؟

ولمن سواها ذلك الوجه الحزين؟

صاحت تؤجج في الحشى ما قد مضى

أعرفتني ...؟

لكن ذلك التداعي الذي تتكون منه اللغة يتوقف عند منعطف الحقيقة.. حيثما يكسوه الحزن، وألم الفراق، بعد أن تغطيه يد الإيمان بالنهاية المحتومة التي لا تقبل المكابرة أو التوهم أو الامل في تخطي الأجل.. فعندما يفقد الحبيب حبيبا مهما كانت قرابته لا يملك الحي إلا الحسرة والندم.. والإيمان.. لأن ذلك المفقود ليس الأول ولن يكون الأخير.. إن كل موقف يتقبل المكابرة والمراوغة.. إلا هذا الموقف..

جسد يزف الى المقابر

جسد يزف الى الثرى

من ثم يتبعه جسد

أترى عشقتم ذا الرحيل

أترى الفراق أبدا يطول؟

أم أن بي شوقا إليك يهزني

فيجود ذا الدمع الغزير على المحاجر

لو أن الزمان بنا يعود

لو أن في الموت فداء لافتديتك

لكنه الله الذي يختار منا من يموت

يشاء من يبقى ومن منا يسافر

ثم تأخذ في مناجاة ذلك الذي رحل ولن يعود في لهفة مع ايمان بحتمية المصير:

يا طيف الحبيب

لو أنني اجد المجيب

لصرخت باسمك لو تعود

أرسلت صوتي عاليا لك في المقابر

أنا لن أكابر..

الموت من سنن الحياة.. وخطى المهاجر للمهاجر

ألذا اعتراض؟ تالله لا

لكنها الحسرات تملأ خاطري

فلقد رحلت بلا وداع

إن الصدمة تولد الذهول الذي يدخل الشك في نفس الإنسان فيظل فترة بين مصدق ومكذب لحقيقة ما حدث..

مازلت أصرخ يا حكيم

هل مت؟ ام هل ترى يوما تعود؟

أم من يزف الى الثرى

يبقى هنا أبدا بعيد؟

لكنه رغم هذا الرحيل الأبدي يبقى في خواطر محبيه مهيجا للأشواق ومثيرا للحسرة.. لكنها حتمية المصير الذي ليس فيه لأحد خيار.

طيفا نراه تضمه حسراتنا

ودموعنا تمضي إليه.. تبثه أشواقنا

وتنظر الى ما يمارسه البعض ضد المرأة من القمع والإرهاب والقهر فتصور تلك المراحل المريرة من العذابات المتلاحقة برغم أن المرأة أصبحت تشارك الرجل في كل خطوة من خطوات البناء الثقافي والاجتماعي:

هم فتشوا في الذاكرة

فتحوا القلاع

وجدوا النهار بلا يدين والليل مسود الجبين

رفعوا سلاح القهر في وجهي وقالوا: لا تكوني..

وصرخت أبحث في الوجوه عن الضياء

فلا أرى إلا الظلام

وتساقطت كل الوجوه

لما سألت عن الضمير

صاحت بقايا المتعبين الموهنين

عمن بربك تسألين..؟

ماتت ضمائرهم وصارت في الركام وفي التراب

أواه هل أنا جئت في زمن الجهالات العتيق؟

أم إن تلك قضية لم ينظروا أوراقها؟

فلقد تناسوا أمرها..

لكنها تعود لتذكر هؤلاء الذين لم ينتبهوا للواقع الجديد الذي أحاط بهم، تنبههم الى أن عصرهم انتهى ولن يعود.. وأن الزمن الآتي هو زمن الإيمان بالحقيقة ونبذ الخرافة وإسقاط دعاوى الجاهلية التى لم تستطع السير في ركب الحياة المتطور:

يا سادتي ..

هل ركبكم شلت خطاه

أم إنكم تخشون إيقاظ الضمير

هل يرجع الموتى وقد فقدوا الحياة

هل يستحي زمن المشيب

أو هل يعود الى صباه؟

أسئلة كثيرة دائما إجاباتها غير واضحة وهي تتمحور حول المرأة التي بدأت تعي كنهها وتأخذ مكانتها في المجتمع.. إن منتهى قريش أديبة ذات قضية وقضيتها هي نفسها.



مروان علي المزيني - المدينة المنورة

لمـــن العــــزاء

لمن العـــزاء وكلنا مـــحـــمـــولُ
يومـــا الى قـــبـــر إليـــه نزولُ؟!

فيمن نُعزّي؟! هل تُرى فيمن مضى؟!
وحـــيـــاتنا لا مـــا أظنّ تطولُ

فـالقـــبـــرُ دارٌ ســوف يسكنه الذي
يـفـنـى ويـبـلـى في الـدُّنـا ويـزولُ

يُطوى به كـــصـــحـــيـــفـــة مملوءة
كُـــتـــبت بأعـــمـــال عليـــه تحـولُ

يمضي به الأهلون فـــوق رقـــابهم
فـــإذا توارى فـــالجـــمـــيع قـــفـولُ

يأتيـــه صـــوتُ نعـــالهم من بعـــد مـــا
قـــد ودّعـــوه وفي الوجـــوه ذبولُ

قـــد كـــان يســأل والجـمـيع يجـيـبـه
واليـــوم في قـــبـــر هو المســـؤولُ

من يا ترى قـــد جـــهـــز القـــول الذي
يُنجـيـــه من ســـؤل لهـــا مـدلولُ؟!

وأعـــدّ مـــشـــعـــله الذي بضـــيـــائه
تنزاح ظلمـــة قـــبـــره وتحـــولُ؟!

واخـتـــار مـــؤنسـه الذي في قــبـره
يأتيـــه منه مـــحـــبـــة وقـــبـــولُ؟!

كم من أناس ســـارت الدنيـــا بهم
لم يحظ فـــيـــهـــا بالخلود رســـولُ

كـــتـــبَ الإله على البــــرية كلهـــا
أن الممـــــات عليـــــهم مـــــسلولُ

وســيـــبـعث الله القــبـور ومن بهـــا
لمّا يشـــاء وأمـــره مـــفـــعـــولُ

وســيُنشـــرون وتنشـــر الصـــحفُ التى
الكلُّ فـــيـــمـــا قـــد حـــوتْ مـــشـــغـــولُ

ويؤول كلُّ الناس بعـــد حـــســـابهم
للخلـد في دار عليـــــــه تطـولُ

إمّـــا لجنات ســـعـــى في نيلهـــا
أو للعـــذاب إذا اعـــتـــراه غلولُ

فـــيـــمن نُعـــزي؟! في المطيع لربّه؟!
أمْ من تُرى في الملهـــيـــات شـغـولُ؟!

فـــيـمن نُعزي؟! في الذين تجـاهلوا
ولديهمُ فـــيـــمـــا نظنُّ عـــقـــولُ؟!



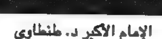




غلاف الكتاب



الإمام الاكبر د. طنطاوي



الاجتهاد في أحكام الشريعة

للإمام الأكبر الدكتور محمد السيد الطنطاوي

في المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الذى انعقد في شوال سنة ١٣٨٣هـ الموافق مارس سنة ١٩٦٤م القى فيه الأستاذان الجليلان محمد نور الحسن ومحمد الفاضل بن عاشور بحثين دقيقين عن الاجتهاد ماضيه وحاضره، وكان أسلوب الباحثين الجليلين من الدقة بحيث خفيت بعض المعانى عن السامعين من المثقفين لا المتخصصين وأذكر أن زميلا كريما كان يجاورنى بين حضور المؤتمر قال لي: ماذا على الرجلين لو تبسطا في السرد تبسطا يناسب العامة لا الخاصة، قلت إن الموضوع من صميم بحوث علم الأصول، وعلم الأصول هو ما هو؟ قال: والأستاذ الماهر يشرح علم الأصول لطلابه، وكأنه يشرح علم التفسير أو الحديث إذا أوتى المقدرة على الإفهام! فلم لا يحذو الباحثان الكبيران حذو الأستاذ المتمرس في قاعة المحاضرات.



بقلم : أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

ذكرت هذه المحادثة حين وقع في يدي كتاب (الاجتهاد في الأحكام الشرعية) لفضيلة الدكتور الإمام محمد السيد الطنطاوي، وأنا أعلم سهولة تناوله ويسر حديثه، فسارعت بقراءته، فوجدت ما افتقدته في حديث الأستاذين محمد نور الحسن ومحمد الفاضل بن عاشور رحمهما الله، وأجزل ثوابهما في جواره، حيث بسط الموضوعات بسطا سلساً يجعلها دانية القطوف، وقد طالعت الكتاب في جلسة واحدة، وما ظنك بمن يطالع كتابا في صميم علم الأصول في مجلس واحد، إلا أن يكون مؤلف الكتاب قد رزق سعادة البسط والتيسير.

وللكتاب غاية محددة سطعت في ذهن المؤلف قبل أن يخط سطرا واحدا من كتابه، وهذه الغاية لم ينته إليها إلا بعد فحص شامل مستوعب لما قيل في موضوعها من المؤيدين والمعارضين، هذه الغاية تتجلى في قوله في المقدمة[١] «**إن باب الاجتهاد فيما يجوز فيه الاجتهاد. ولمن هم أهل له مفتوح ولن يقفل، فعلينا أن ندخله بقلوب عامرة الإيمان، وبعقول متفتحة لكلمة الحق، وبنفوس زاخرة بالشجاعة، وبقلوب خالية من الأحقاد والمطامع الذاتية التى تغلب الخاص على العام، وبمقاصد شريفة لحمتها وسداها النطق بكلمة الحق، وبغايات نبيلة هدفها إعلاء كلمة الله، وبيان ما امتازت به شريعة الاسلام من يسر وسماحة. ومن إحقاق للحق، وإبطال الباطل**».

وقد جمع المؤلف في هذه السطور الوجيزة ما يلزم الباحث المجتهد من قلب عامر، وعقل متفتح ونفس ذات شجاعة، وقلب سليم يبرأ من النزوات، ومقصد شريف لجلاء الحقيقة، وجعلها فوق كل اعتبار. وإني لأعجب كل العجب لمن يشك لحظة في ضرورة الاجتهاد، ويعتقد أن زمانه قد ذهب مع الذاهبين، وهو يقرأ القرآن، ويدرس الحديث، ويعلم حثهما على النظر في ملكوت السموات والأرض، والتدبر في الآيات اللائحه والشواهد الماثلة، كما يعلم التنديد بمن يوصد عقله دون تدبر، والتهكم بمن لهم قلوب لا يعقلون بها، وآذان لا يسمعون بها، وأعين لا يبصرون بها، أعجب كل العجب لذلك، ولكنى أحمد الله أن هذه القلة القليلة من أنصار الجمود قد خمدت ريحها، وأصبحت ذكرى ماضية ولن يتحقق لمسعاها نجاح.

بدأ المؤلف كتابه بحديث عن معنى الاجتهاد وشروطه وحكمه وتجزُّئه، وهي أمور مسلمة مشتهرة،

ولكن ما يتخللها من التفسير والتعليل يضيف لها معنى الجدّة، وقد حرص المؤلف على أن يذكر الآراء المختلفة بأمانة وافية ثم يعرض رأيه منحازا الى ما اتضح له صوابه، ومن ذلك ترجيحه لمن يقول بتجزؤ الاجتهاد معللا ذلك بأنه الأقرب لزماننا الذى تفرعت فيه التخصصات، وتنوعت ودقت!.

ومن طرائف ما ذكره الباحث ما أعقب هذا الباب من حديث عن اجتهاد الأنبياء، حيث جاء المؤلف بأمثلة مما اجتهد فيه نوح وابراهيم وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان، وكلنا نعرف ما كان من أمر هؤلاء الكرام في أدوار حياتهم، أما أن يكون اجتهادهم موضع نظر جاد في كتاب يبحث عن الاجتهاد الفقهى فهذا هو الطريف حقا.

وكأنى بالمؤلف وقد مهد بذكر هؤلاء الكرام ليفسح المجال للحديث الشائق الممتاز عن اجتهاد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، مؤكدا أنه عليه السلام كان يجتهد في أمور الدين والدنيا معا، وضارباً الأمثلة معتمدا على الأحاديث الصحيحة التى تخلو من كل نقد، وقد أثبت أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان يرجع في اجتهاده متى ظهرت المصلحة في الرجوع! وكأن الله عز وجل قد هداه لذلك، ليكون مثلا لمن يأتون بعده من الفقهاء، إذ يلتزمون بالمراجعة والتصويب، ولا يعيبهم أن يقولوا في الغد غير ما قالوا بالأمس، لأن الحقيقة بنت البحث.

ويلى ما تحدث به عن اجتهاد الرسول {صلى الله عليه وسلم} ما تحدث به عن اجتهاد الصحابة، حيث ضرب عدة أمثلة واضحة لاجتهاد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم، وقد ختم حديثه بقوله[٢]:

«هذه نماذج من اجتهادات بعض الصحابة في مسائل معينة وافقهم الرسول {صلى الله عليه وسلم} على أكثرها وصحح لهم ما كان خطأ منها، وهي اجتهادات نُجلّها ونحترمها لأن القصد منها خدمة الدين، والوصول الى ما هو حق وخير» وأراد أن ينتهز المناسبة لتوجيه نقدي يحبُّ الجهر به فقال عقب ذلك «أما الاجتهادات التى ننكرها ونرد عليها، وندعو لأصحابها بالهداية، فهي التى تصدر عن جهل بقواعد اللغة العربية، وبأصول الدين وبالمجالات التى يجوز فيها الاجتهاد، ويكون مقصد أصحابها منها، تشويه كل تراث سابق، وتأويل أحكامه تأويلا سقيما».

وهذا كلام لم يأت من فراغ، حيث ابتُلي القارىء العربى بنفر من الأدعياء لم يتخصصوا في الفقه والتشريع، ولم يعلموا أصول البحث الاجتهادي، ولكنهم وجدوا صحفا تفسح المجال لترهاتهم ، فاندفعوا يخوضون في أمور الشريعة من عبادات ومعاملات وسياسة وحدود خوض من لا يستطيع قراءة النص فضلا عن فهمه، والاستنباط منه، ولهم مع ذلك تطاول على الأصلاء ورميهم بالجمود، وفيهم من يطعن في حدود الله ، ليشتهر

في دوائر تكيد للإسلام ، وسرعان ما تدعوه جامعات التبشير في الغرب لإلقاء المحاضرات، وعقد الندوات، ثم يعود ليتحدث عن أمجاد موهومة يحسبها مما يعلى قدره.

ثم تلا ذلك حديث عن اجتهاد التابعين سار فيه المؤلف على نهجه في ذكر الأمثلة والتعقيب عليها بما تدل، ليكون مقدمة لفصول قيمة تذكر عن الأئمة الكبار أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، ولعمرى لقد جمع المؤلف في حديثه بين تاريخ التشريع وقضايا التشريع، وهو ما يجعل الكتاب لطيف الموقع لدى القارىء غير المتخصص. كما يلبى رغبة أكيدة في النفس في الإحاطة بحياة صاحب المذهب، وطرائف من سلوكه الإنساني، ليتجسد بملامحه شاخصا أمام القارىء! أذكر أنى حين قرأت كتاب «أصول الفقه» منذ زمن بعيد للشيخ محمد الخضرى رحمه الله، وهو من أوائل من كتبوا في هذا المجال لطلاب مدرسة القضاء الشرعى قبل أن تنشأ كليات الحقوق والشريعة ويعم التأليف في هذا الباب على أيدى أساتذتها الأعلام، أقول، أذكر أنى حين قرأت كتاب الأستاذ الخضرى ورأيت آراء الفقهاء تتصاول وتتصادم تمنيت أن أعرف تاريخ هؤلاء مقرونا بما ذكره المؤلف لهم من الآراء. وظلت الأمنية عالقة بنفسي حتى وقع في يدى كتاب الدكتور الطنطاوى فرأيته يبدأ بترجمة الإمام قبل أن يتحدث عن مناحي اجتهاده، وإذا كانت بعض هذه التراجم مشتهره ذائعة فإن إثباتها مع آراء أصحابها مما يجلو هذه الآراء لمن يبحث عن نفسية المجتهد وتفكيره الاجتماعي، وسلوكه السياسي. فكل ذلك منافذ من النور تُلقي الأشعة الكاشفة على ما خفى من الاتجاهات! **وكنت أود أن يكتب الأستاذ فصولا عن ابن حزم وابن تيمية وجعفر الصادق جوار ما كتبه عن أئمة المذاهب الأربعة**، فلهؤلاء من الغوص والنفاذ والجدة والشجاعة ما لزملائهم الكبار، وقد يضيق الكتاب بحجمه المحدود عن ذلك، ولكن شغف القارىء يحتاج الى ارتواء يبدد الظمأ.

فالمؤلف موهوب في حسن الاختيار فهو يسجل من حياة هؤلاء ما يكشف عن المنحى دون أن يسترسل في أمور عامة قد لا يكون لها من الدلالة ما يكافىء تسطيرها على أنى طربت كثيرا لما سجله المؤلف عن الامام مالك. وكونه من أهل الرأى المدقق، إذ كانت كتب التشريع تجعله من أهل الأثر، وتعده مخالفا لأبى حنيفة في اتجاهه، فإذا الإمامان متفقان في الكثير.

أما أنفس موضوعات الكتاب، فهي تلك التى جمعت الآراء المختلفة واختارت منها ما هو راجح سديد، مع توفيق في الاختيار وفهم أصيل لروح التشريع؛ هذه الأبواب الرائعة حقا، هى التى تقع تحت هذه العناوين:

(١) أهم أسباب اختلاف الفقهاء.

(٢) هل أغلق باب الاجتهاد.

(٣) التقليد المحمود والتقليد المذموم.

(٤) هل عصرنا في حاجة الى مجتهدين.

ففي **الباب الأول** نص على أن أسباب الاختلاف متعددة، ومن بينها اختلاف الفقهاء في المعنى المقصود من بعض الالفاظ أو الآيات القرآنية، والاختلاف في فهم المقصود من الحديث النبوى، وتفاوت الفقهاء فيما يحفظونه من السنة الشريفة، اذ ربما عرضت مسألة على من لم يحفظ ما قيل فيها من الحديث فقضى فيها باجتهاده، كما قد يختلفون في تقدير رواة الحديث فمنهم من يثق في راو، ومنهم من يراه مظنة التوهين أو يكون الاختلاف بسبب الوقوف عند النص الحرفي دون الرجوع الى المعنى المجازى المتبادر لبعض الأفهام ولكل سبب من هذه الأسباب أمثلته المبسوطة في جلاء.

وفي **الباب الثاني** وعنوانه (هل أغلق باب الاجتهاد) جال الأستاذ جولات موفقة حول حقيقة هذا السؤال، وهل أغلق الباب حقا؟ أو أن قولا عاما لا أساس له اتخذ سببا لهذا اللجاج؟ وقد نقل عن الأستاذ عبد الوهاب خلاف كلاماً جيدا عن الوقت الذى ذاع فيه القول بمنع الاجتهاد، وتعليل ذلك من ناحية الوضع السياسى والمناخ الفكرى مع التأكيد بأن هذا القول الجائر لا مستند له من كتاب أو سنة، وإنما استند أصحابه الى ما يسمى بسد الذرائع، تلك التى فهمت على غير وجهها في أحيان كثيرة، منها هذا الموضوع بالذات وكان الأستاذ رحيما بمن ذهبوا هذا المذهب على خطته الصريحة فقال وكأنه يعتذر عنهم[٣] «**ولعلهم يقصدون من وراء قولهم هذا سده في وجوه الذين ليسوا أهلا له، والذين يتخذونه وسيلة لخدمة الأهواء ولبث روح التفرقة بين أبناء الأمة الاسلامية، والذين يؤلون النصوص الشرعية تأويلا سقيما لا أساس له من عقل، والذين إن رأوا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا، وهؤلاء جميعا يجب أن يسد الباب في وجوههم**».

والباب الثالث خاص بالفرق بين التقليد المحمود والتقليد المذموم، وهو ضرورى لمعرفة الاعتدال والانحراف معا، وضرب الأمثلة الصحيحة لكليهما، وقد بشر الأستاذ قراءه بأن التقليد الأعمى في عصرنا هذا قد بدأ يضمحل رويدا رويدا بسبب تفتح العقول وسعة العلوم، وتقارب وجهات النظر بين العقلاء.

ثم جاء حديثه في **الباب الرابع** عن حاجة العصر الى مجتهدين حديثا مقنعا مسهبا؟ والجواب واضح، ولكن الوضوح يحتاج الى أدلة تقنع من يحاول اللّجاج والاجتهاد بعدُ يسيرٌ ذلولٌ في هذا الزمن لوجود هذا التراث الهائل في المكتبة الفقهية وذيوعه بين الدارسين على نحو لم يتح للسابقين بعد انتشار وسائل الذيوع.

وكنت أحب أن يتبع الأستاذ هذه المباحث الدسمة حقا بموضوع خامس عن التوفيق بين المذاهب، ومتى يكون مقبولا ومتى يكون مرفوضا، وهو موضوع دقيق كتب عنه الشيخ يوسف الدجوي في مجلة الأزهر حين كانت تسمى بمجلة (نور الإسلام) كما كتب عنه الأستاذ عبد الوهاب خلاف في مجلة لواء الإسلام كتابه مستنيرة، وإذا طبع الكتاب طبعة ثالثة فأرجو أن يضاف إليه هذا الباب

لشدة اتصاله بما قبله، ولأنه يمثل واقعا مشهودا بين الدارسين من الفقهاء ممن يتخيرون الرأى الراجح عن هدى واستبصار.

ومما يذكر للمؤلف بالثناء ما كتبه عن أعلام الاجتهاد من أفذاذ المعاصرين، إذ ذكر تراجم دقيقه للأساتذة الكبار محمد عبده وأحمد ابراهيم، ومحمد مصطفى المراغى ومحمود شلتوت وعلى الخفيف، موضحا بعض القضايا الهامة التى كانت مجال الاجتهاد لكل علم من هؤلاء الأعلام، وقد ارتحت كثيرا لما كتبه عن العلامة الشيخ أحمد ابراهيم لأنى تعبت كثيرا حتى كتبت له ترجمة ستظهر بالجزء السادس من موسوعة (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) ولو وقع هذا الكتاب في يدى عند كتابة حديثي عن الشيخ أحمد ابراهيم لانتفعت كثيرا، ولكن العلم يكمل بعضه بعضا، كما أذكر من باب الاستطراد أنى تعبت كثيرا حتى وفقت الى ترجمة ضافية للشيخ محمد الحسن الحوجي المغربى صاحب كتاب (الفكر السَّامى) وهو كتاب جليل القدر حقا لولا ما يشوبه من الاستطراد المديد، وقد قال عن الأستاذ على الخفيف رحمه الله أنه فقيه القرن العشرين! وهي خصوصية منحها الأستاذ للرجل الكبير إعجابا به، وهو يستحق الإعجاب دون نزاع، ولكن من تلاميذه من حاذاه بل ربما سبقه في بعض الاتجاهات، وهو الأستاذ محمد أبو زهرة صاحب المؤلفات التى تعجز القارىء تتبعا وإلماما، والذى حدا بالدكتور الطنطاوى الى عدم الترجمة لأبى زهرة أن جانب التمسك بالرأى المحافظ كان من ديدنه، حتى وقف معارضا لبعض هؤلاء الأعلام مثل الشيخ محمود شلتوت وعلى الخفيف، وكان يعارضهما بقوة وسطوة، ولكنه مع الأستاذ الإمام محمد عبده كان يعارض في هدوء التلميذ المحتفل بتبعيُّته بإمام الجيل.

ولى كلمة أرددها كثيرا في مجال الحديث عن التجديد الفقهي، هى أن نصيب الفقيه المحافظ من العقل كنصيب الفقيه المجدد، فإذا كان الفقيه المجدد قد فتح أبوابا كثيرة سهلت للناس طريقهم في الحياة، فإن الفقيه المحافظ قد وقف حائلا دون الشطط فهو بموقفه يحافظ على اعتدال كفَّتَى الميزان، ونحن لا ننكر جهود محمد بخيت المطيعى وعبد المجيد سليم وحسنين مخلوف وأمثالهم من المحافظين، فما منهم إلا له مقامه المعلوم، وفي التاريخ الفقهى نجد ابن تيمية المجدد العظيم يقارن بالفقيه المحافظ تقي الدين السبكى وهى مقارنة لا تضائل من قدر ابن تيمية بل ترفعه حيث رفعه الله.

إن كتاب (الاجتهاد) ثمرة ناضجة، وهو بأسلوبه السهل المتيسر يقدم مباحث من علم الأصول تقديما رائق التناول، قريب المأتى، ليجذب الى هذه المسالك الوعرة أقداما تحذر السير في وعورها المتراكبة وهذا وحده كاف لتحديد فضله فوق ما أضاف من الجديد في مسائل ذات فنون وشجون.

الهوامش :

(١) المقدمة ص ٤ من كتاب (الاجتهاد) .
(٢) الاجتهاد ص ٤٧ .
(٣) الاجتهاد في احكام الشريعة .











البنوك

زعم الخُبز أُرْزيّ[١] أنه سمع الأصمعي[٢] يحاور غلاما حدث السن من أولاد العرب ويقول له:

ـ أيسرّك أن يكون لك مائة ألف دينار وأنك أحمق؟ فقال: لا والله يا عم.

قال: ولمَ؟ قال الغلام: أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تُذهب مالي، ويبقى عليّ حمقي!

قال الخبز أُرزي: فتحيرت ـ والله ـ لو أن الغلام أخذ المائة ألف دينار كيف سيحفظها، وفي أيّ مكان سيضعها، وفي يد من سيودعها؟!

فانطلقت هائما على وجهي في أزقة بغداد، فإذا القاضي عبد الوهاب[٣] يمسك بكتفي، فقصصت عليه خبري، فضحك وعجب، ثم قال: وأين هي المائة ألف دينار يا مسكين، يا أسير الأحلام والخبز والأرز أهي في بغداد؟.

بغداد دار لأهل المال طيبة
وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظللتُ حيران أمشي في أزقتها
كأنني مصحف في بيت زنديق[٤]!

قلت: لا أدعك حتى تدلني على حلّ مقنع؛ فإني أخشى على المبلغ الضخم أن يُسرق من يد الغلام، أو تنزل به جائحة، ولات ساعة مندم!

قال: عليك إذن ببهاء الدين السبكي[٥]؛ فإنه أعرف الناس بخزن السبائك وحفظ الدرر والجواهر، والتصرف في اللآليء والمعادن.

قال الخُبز أُرْزي: فأتيت البلاغيّ الذكي بهاء الدين السبكي، وقد





بقلم : د. أحمد عطية السعودي – الأردن

تناثرت لطائفه تناثر الجُمان على صدور الحسان، فقلت: يا أبا حامد، إنك قد وردت حياض المتقدِّمين، فكرعت البلاغة من منابعهم، وشربت الفصاحة بكؤوسهم، فهلا أخبرتني عن فلوسهم : كيف يحفظونها حَذَرَ الضياع؟

قال : سامحك الله يا أخا العرب، ما أقلَّ أن يجتمع الأدب والذهب في أيدي البلغاء والأدباء، ولو جمعوا المال والنشب لما أثروا بعلمهم لغة العرب، ولما صاح أحدهم يشكو ما أصابهم من ضُرٍّ وفقر:

أيُّها المسلمون ضاق بنا العيش
ولم تحسنوا عليه القياما
عزَّت السلعة الذليلة حتى
بات مسح الحذاء خطباً جُساماً
وغدا القوت في يد الناس
كالياقوت حتى نوى الفقيرُ الصِّياما
يقطع اليومَ طاوياً ولديه
دون ريح القُتار ريحُ الخزامى
ويخالُ الرغيف في البعد بدراً
ويظن اللحوم صيداً حراما
إن أصاب الرغيف من بعد كد
صاح: مَنْ لي بأن أصيب الإداما[٦]؟!

قلت : دعنا من البلغاء المفاليس، ومن المُنَظِّرين في المواصفات والمقاييس، ودلني على ما يحفظ المال، ويريح البال، أيها السباك المفضال!

قال : ثكلتك أمك، تسألني كيف تحفظ مالك، والبنوك عن يمينك وشمالك. ألست تقرأ؟!

قلت : إنني أميٌّ لا اعرف إلا العجن والخبز، ما البنوك التي تعنيها يا أبا حامد؟ أهي حفائر معدة لدفن المال، أم صناديق يحرسها الرجال؟

قال : بل هي مصارف للودائع والإقراض، والاتجار والاقتراض يعمل فيها موظفون مدربون على أعمال الصرافة والسياسة النقدية.

قلت : أفرحتَ قلبي بهذه المصارف، فلن تضيع المائة ألف دينار سدى بعد اليوم كَمَالِ «جحا» الذي دفنه، وجعل السحابة علامة عليه!

قال : لا تتعجل يا هذا، فإن كنت لابد واضعاً نقودك، فلا تضعها إلا في مصرف لا يتعامل بالربا والغش والأذى، ولا يحتكر، ولا يتقاضى الربح الفاحش، فإن الله تعالى يقول: **{وأحل الله البيع وحرَّم الربا}**[٧].

قلت : يا ويلي، أثمة مصارف تتعامل بالربا، ولم يسمع بها القاضي عبد الوهاب؟

قال : إنها كثيرة كأسراب الغربان، قد جعلت الأموال دُوْلة بين الأغنيـاء، وأثقلت بالدَّين كـواهل الفقراء، وتسابقت في اجتذاب العملات الصعبة، ولا هَمَّ لها إلا الربح والثراء!

قلت: ومن الذى صعب هذه العملات، ورفع نسبة العمولات؟!

قال : أرباب الرأسمال الذين يتعاملون بالدولار والين والفرنك والجنيه الاسترليني والمارك، والجلدر واليورو[٨]، والذين يرصدون الملايين!

قلت : ما هذه الملايين يا أبا حامد؟ إن العرب لا تعرف إلا ألف ألف؟!

قال : هي لغة حسابية لا تفهمها إلا الحيتان والأسماك القرشية.

قلت : أما يطبق عليهم المبدأ العادل: من أين لك هذا؟

قال : اسكت حتى لا يسمعك العسس[٩]، فللحيطان آذان!

قلتُ : أنا لا أخاف العسس، لأنني أتكلم عن الحيتان وأسماك القرش في جزر كناري والبهاما[١٠] في أقاصي المعمورة! ولقد دعيتُ الى مائدة «حوت» وكانت خالية من القوت، فقلتُ فيها:

وجفان مثل الجوابي ولكن
ليس فيهن ما يرى بالعيان
فإذا ما أدرت فيها بناني
لم أجد ما أمسه ببنان
إنني ماضغ على غير شيء
غير صكّ الأسنان بالأسنان
ترجعُ الكفّ وهي أفرغُ منها
عند قدّي لها فدأبي وشأني[١١]!

قال : ما قتَّر عليكم إلا لأنه يتبع تعليمات بنك النقد الدولى في الخصخصة؟

قلت : لم استوعب شيئا مما قلت، كأنك قد نثرت «طلاسم» إيليا أبي ماضي[١٢]، وقذفت بها صدري حتى صرتُ أردد معه: لست أدري، لست أدري!

قال : أنت يا خبز أرزي طيب القلب، لم تُكدر ذهنك بعدُ مصطلحات الاقتصاد، ولا سندات الاكتتاب، ولا الصكوك والشيكات، ولا البورصة وأسعار العملات، ومازلت تظن أن خمسة في خمسة تساوي خمسة وعشرين.

قلت : وكم تساوي الآن في عصر الصكوك والبنوك، والتضخم الممقوت؟

قال : صارت تساوي خمسين بالربا والحرام، وقد سموا الربا فوائد ربحية، كما سموا الخمر مشروبات روحية! مما أدى الى الفساد، والترهل والكساد، وامتصاص دماء العباد، وشلل الاقتصاد، فكأن الناس في معمعان حرب ضروس، قد أنذرهم الله شدتها وبأسها: **{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله}**[١٣].



قلت : لو علم بهؤلاء القاضي عبد الوهاب لدس أنوفهم في التراب، فما ينبغي للأغنياء أن يسيموا الناس الخسف، وهم ينعمون بالسبائك والأرائك!

قال : ولم يقفوا عند هذا الحد، بل ابتدعوا «حساب التوفير» و«اليانصيب» الخطير، وادعوا أن ذلك يقوي شريان الاقتصاد، ويقضي على الفقر والبطالة!

قلت : إنني أفهم الفقر حق الفهم كما تفهم أنت «تلخيص المفتاح» ولكنني عاجز عن فهم البطالة والشراكة، والعمالة والخصخصة والعولمة!

قال : لو كنت من رجال الأعمال كالذهبي[١٤] والحوّات[١٥] والسكاكي[١٦] لحدثتك عنها حديثا لا تنساه إلا حين تلقى صديقك القاضي عبد الوهاب!

قلت : ولِمَ أنساه حين ألقاه في أزقة بغداد حيران لا يلوي على شيء؟!

قال : لأنه وضع سفرا رائعاً في آداب المصارف وتعاملها وتقويم عملها.

فإذا لقيته فاطلب منه هذا السفر الموسوم بـ : «تصويب السُلوك في عمل البنوك»!!

الهوامش :

(١) الخُبز أُرزي: هو نصر بن أحمد، شاعر عباسي، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، وكان يخبز الأرز في دكانه بالبصرة يتكسب به، وينشد الأشعار. ت ٣٣٠هـ.

(٢) الأصمعي: أبو سعيد، عبد الملك بن قريب، راوية العرب، ت ٢١٦هـ.

(٣) القاضي عبد الوهاب: أبو محمد، قاض من فقهاء المالكية، له معرفة بالأدب، ولد ببغداد، ورحل الى الشام، فمر بمعرة النعمان، واجتمع بأبي العلاء، ت ٤٢٢هـ ـ ١٠٣١م.

(٤) البيتان للقاضي عبد الوهاب نفسه.

(٥) بهاء الدين السبكي: أبو حامد، أديب، بلاغي، أصولي، مُحدِّث، اسمه أحمد بن علي السبكي، له كتاب «عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، (مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦هـ) وتلخيص المفتاح للقزويني ت ٧٣٩هـ) من أساتذته أبو حيان الأندلسي، وابن جماعة، ت ٧٧٣هـ.

(٦) الأبيات للشاعر المصري حافظ إبراهيم، واسمه محمد حافظ بن ابراهيم فهمي المهندس، اشتغل في المحاماة ثم في الجيش ثم محرراً في الأهرام، لقب بشاعر النيل، كان قوي الحافظة، حاضر النكتة، جهوري الصوت، بديع الإلقاء. ت ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

(٧) البقرة أية ٢٧٥.

(٨) الدولار: عملة أمريكية. الين: ياباني. الفرنك: فرنسي. الجنيه الاسترليني: بريطاني. المارك: ألماني. جلدر: هولندي. اليورو: عملة أوروبية موحدة.

(٩) العسس : الشرطة، مفردها عاس.

(١٠) جزر كناري والبهاما تقع في المحيط الأطلسي.

(١١) الأبيات للخبز أرزي نفسه. الجوابي: أحواض الماء.

(١٢) إيليا أبو ماضي: شاعر لبناني مهجري له الجداول والخمائل ت ١٩٤٧م، وله قصيدة «الطلاسم» التي تصور حيرة الشاعر في فهم الوجود، وإذا ما تساءل عن سر أي شيء رد عليه باللازمة المعروفة: لست أدري. والقصيدة تتنافى مع العقيدة الصحيحة!

(١٣) البقرة الأيتان/ ٢٧٨ ، ٢٧٩.

(١٤) الذهبي من شعراء الدولة الناصرية بدمشق ت ٦٨٠هـ.

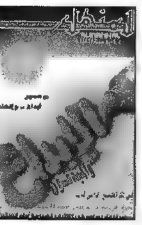
(١٥) الحوّات: أديب مغربي له البدور الضاوية ت ١٢٣١هـ ـ ١٨١٦م.

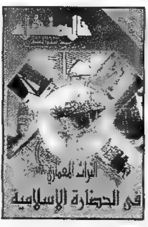
(١٦) السكاكي: عالم بالعربية والأدب له الكتاب المشهور في البلاغة مفتاح العلوم ت ٦٢٦هـ.

المنهل

مجلة العرب الأدبية والثقافية







اسم العدد	تاريخ صدوره
الفن	شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ
الأمن والأمان	شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ
الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة	ربيع الأول والثاني ١٤٠٦هـ
الثقافة العربية	شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ
الدعوة والدعاة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٧هـ
الأثر والآثار	رمضان وشوال ١٤٠٧هـ
المبادىء البناءة والدعاوى الهدامة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٨هـ
العادات والتقاليد	رمضان وشوال ١٤٠٨هـ
مناهل الاشعاع الاسلامي	ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٤٠٩هـ
الاستشراق والمستشرقون	رمضان وشوال ١٤٠٩هـ
مكة المكرمة .. المقام والارتحال	ربيع الأول والثاني ١٤١٠هـ
الابداع والمبدعون	شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ
الحديث النبوي والقدسي .. رواية ودراية	ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤١١هـ
القرآن الكريم .. الهدي والاعجاز	ربيع الأول والثاني ١٤١٢هـ
الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري	شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ
المدينة المنورة .. دار الهجرة ومَأْزِر الايمان	ربيع الأول والثاني ١٤١٣هـ
اللغة العربية .. آفاق مستقبلية	شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ
القدس .. عروس المدائن	ربيع الاول والثاني ١٤١٤هـ
العمارة والمدينة الاسلامية .. عطاء ومدلول	جماد أول وجماد ثان ١٤١٥هـ
النقد ـ والنقاد	شوال والقعده ١٤١٦هـ
الجغرافية والجغرافيون	شوال والقعده ١٤١٧هـ
المملكة العربية السعودية في مرآة المنهل	شوال والقعدة ١٤١٩هـ
الاسرة والمجتمع	شوال والقعدة ١٤٢٠هـ
التراث المعماري في الحضارة الإسلامية	شوال والقعدة ١٤٢١هـ
الاعلام .. الواقع والمستقبل	شوال والقعدة ١٤٢٢هـ
البيئة .. توازن ام اختلال	شوال والقعدة ١٤٢٣هـ

الاصدارات السنوية الخاصة

« متوفرة لمن يرغب في اقتنائها » - الاتصال : ٦٤٣٢١٢٤ العلاقات العامة (جُدة)

الأعياد في الديانات السماوية

الفلسفة في الجامعات العربية

«الجبّار» مركز رصد معقد قائم بذاته و«الكالامار» صاروخ بألوان قوس قزح



الأعياد في الديانات السماوية

تختلف الأماكن .. ويختلف الزمان .. وتختلف أحلام وآمال وطموحات البشر وكذلك تختلف عاداتهم وتقاليدهم من مجتمع الى آخر وتظل الاحتفالات بالأعياد ذات طابع خاص ومميز تترك بداخل كل منا ذكرى أيام لا تنسى، حيث يتحول الجميع الى أطفال يتسابقون في اللعب واللهو كما تتحول الشوارع الى كرنفالات ومهرجانات للغناء والرقص بين الاطفال الذين يرفلون في ثيابهم الجديدة زاهية الألوان والاحتفال بالعيد لا يقتصر على أيامه فقط بل هناك أيام طويلة تسبق قدومه يتم فيها الاستعداد على قدم وساق لاستقبال هذا الضيف العزيز، فالناس تنتظر حلول الأعياد ليغيروا من ايقاع حياتهم الذى يسير على وتيرة واحدة وهو في هذا السياق يحمل معنى البهجة والسرور، وفي أغلب ليالى الأعياد يسهر الناس حتى الساعات الأولى من الصباح فالصغار يستعدون قبل الكبار للذهاب الى المسجد لأداء صلاة العيد ويخرج الجميع قبل شروق الشمس لتبادل التحيات والتهانى وفي المسجد تنطلق النداءات العميقة عالية تصعد الى السماء في ابتهال الى الله «الله اكبر الله اكبر - لا إله إلا الله» فيشعر المرء وكأن صوته قادم من الأعماق ويخرق عنان السماء وأن بداخله طاقه لا حد لها من النورانية والقرب الى الله.

لقاء اسلامي موحد :

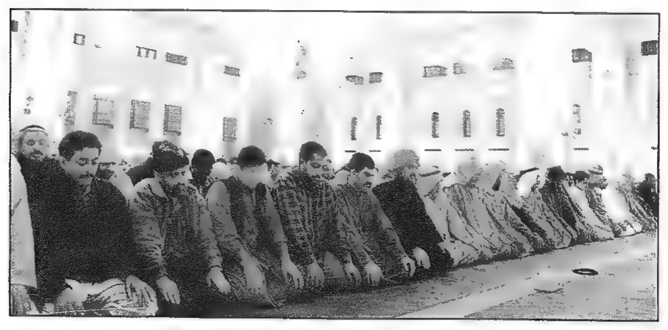
والأعياد ظاهرة دينية واجتماعية وشعبية تحفل بها كل الديانات السماوية وتجسد المواقف التاريخية وتربط كل أمة بتاريخها، فالعيد في الدين الاسلامى تجسيد لقيم التراحم والمودة فهو ليس مجرد احتفال وفرحة بل له وظيفة هامة في حياة الإنسان المسلم، فعيد الفطر الى جانب احياء المناسبة الدينية وهي الانتهاء من صيام شهر رمضان، يعنى أيضاً الفرحة والألفة والعطف على الفقراء والمحتاجين بزكاة الفطر التى يجب أن تخرج قبل صلاة العيد، كما أن عيد الأضحى وهو احياء ذكرى الفداء يأتى توقيته مع أداء مناسك الحج بكل ما فيها من تقديس وإجلال

اعداد : **عزيزة يوسف محمد**

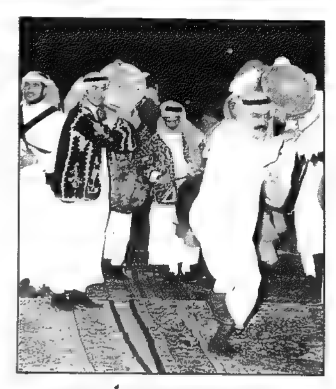
- مصـــر -

وهي اكبر وأهم المناسك الجماعية في التاريخ، فالمسلمون يأتون من كل فج عميق للتلاقى تجمعهم كلمة لا إله إلا الله - محمد رسول الله ونتيجة لتلك المشاعر المهيبه التى شعر بها المؤمن في أداء تلك المناسك يحس أن ما عداها لا يساوى شيئاً وفي هذه المناسبة تبتهل القلوب الى الله سبحانه وتعالى راجية رحمته.

وتلك الشعائر الدينية عرفها المسلمون منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام حيث اتسمت في البداية بالبساطة ولكن مع مرور الوقت دخلت عليها مظاهر متعددة وتنوعت أشكالها حيث يقول أحد الباحثين إن الأعياد الدينية شهدت أيام الخلافة العباسية الكثير من المظاهر الاجتماعية حيث يسهر بلاط الخليفة حتى مطلع الفجر ثم يتوجه الى الجامع يتقدمهم الخليفة على فرس أبيض في موكب عظيم يحيط به الجند والحراس من كل جانب، كما تزدان المدينة بالأنوار الباهرة المتلألئة ويتغنى الناس في الشوارع بالأناشيد المعبرة عن الفرحة، وعند دخول الخليفة المسجد يكبر الناس ويحمدون الله، وفي هذا اليوم يرتدى الخليفة بردة خاصة ويؤم المصلين ويلقى خطبة العيد ثم يعود الموكب الى القصر حيث تقدم المآدب وينشد الشعراء قصائد الشعر.



صلاة العيد



كرنفالات الرقص والغناء احتفالاً بقدوم العيد

الأعياد ظاهرة اجتماعية ودينية تحفل بها كل الديانات السماوية.

وفي العيد يجتلي المسلمون مظاهر السرور ويطيب لكثير منهم الخروج عن حدتهم حيث يمرحون ويلهون اللهو البرىء، وفي هذا المقام تحكي كتب التاريخ أن بطل الحروب الصليبية نور الدين محمود زنكي كان وقوراً جليلا وكان لا يأذن لأحد من كبار قواده وأعيانه بالضحك أو اللغط في مجلسه حتى قال عنه بن الأثير:

فـأمـا هيـبـتـه ووقـاره

فـإليـه النهـاية فـيـهـمـا

وبالرغم من ذلك فإنه إذا جاء العيد كان يتغير مزاجه حيث يلعب ويبتهج، ويروي المؤرخ أبو شامه في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أنه في الثانى من شوال عام ٥٦٩هـ بكرً السلطان نور الدين وسار الموكب وكأن القمر في هالته حيث دخل ميدان دمشق والعظماء يحيطون به ويتحدثون إليه حيث وقف في الميدان الأخضر لدمشق ولعب القبق وهي لعبة من أنواع التدريب على الرماية وتعد من ألعاب الفروسية.

تاريخ محسوس :

أما الأعياد عند النصارى - حسب تصورهم ومعتقدهم - فهي تاريخ محسوس، فلكل عيد طقس خاص يشترك فيه الجسد مع الروح ومن أهم الأعياد المسيحية عيد دخول المسيح أرض مصر وموعده أول يونيو حيث يحرص أقباط العالم أن يتواجدوا في مصر في هذا اليوم للمشاركة في هذه الاحتفالات ويتوافدون على الأماكن التى مر عليها السيد المسيح وتحولت الى أماكن للعبادة حيث تنتشر الأديرة والكنائس، ومن الأعياد المتصلة أيضاً بالسيد المسيح عيد البشارة المجيد وهو يوم تبشير السيدة مريم بحمل وولادة المسيح وكذلك عيد الميلاد المجيد وهو تذكار ميلاد السيد المسيح ويوافق توقيته يوم ٧ يناير من كل عام وكذلك عيد الشعانين وهو يوم دخول المسيح مدينة القدس واستقبال الناس له وهم

يحملون أغصان الزيتون في اشارة الى رسالة السلام التى جاء بها.

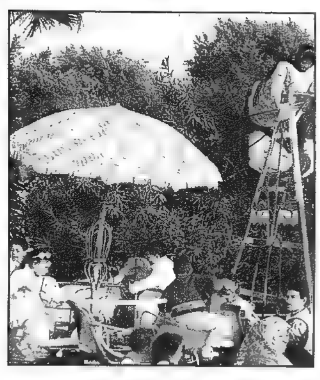
عقوبة الاهمال :

أما الأعياد عند اليهود ـ حسب تصورهم ومعتقدهم ـ فهي أمر مقدس للغاية، ويلاحظ كثرة الأعياد عندهم ذلك لأنها تتصل بالأحداث التاريخية أو مواسم الزراعة والحصاد ومنها أيضاً ما يتصل بالهلال أو التوبة والتكفير عن الذنوب.

ويعد عيد الفصح الذى يستغرق الأسبوع الثالث من شهر أبريل من مساء يوم الرابع عشر الى مساء يوم الحادى والعشرين من أهم الأعياد عندهم وهو يوم ذكرى خروج بنى اسرائيل من مصر وتحررهم من نير العبودية التى كانوا يخضعون لها، حيث يبدأ اليوم الأول بحفل مقدس ويختتم بحفل مقدس تتلى فيه الأدعية والترانيم وتقام الصلاة وتقدم القرابين.

وللمظلات عيد:

كما ينال الاحتفال بالهلال الجديد عناية كبيرة في الفكر اليهودى وكان يسمى عيد النفير حيث كانت تنفخ الأبواق إعلاناً عن ظهور الهلال وكان الناس يتبارون في مراقبة الهلال وكان أول من يراه يسارع الى بيت المقدس ليخبر بذلك الكهنة والرؤساء حيث تبدأ الاحتفالات بإشعال النيران على جبال الزيتون.



الأراجيح والألوان الزاهية ومعنى العيد عند الاطفال

ـ في الدين الاسلامى العيد تجسيد لقيم التراحم والمودة.

أما في شهر اكتوبر من كل عام يحتفل يهود العالم بعيد المظلات أو كما يطلقون عليه عيد الخيام حيث يذهبون الى المعبد وفي طريقهم الى هناك يقيمون الخيام أو الأكواخ من القش ليقيموا فيها عدة أيام رمزاً للتاريخ الطويل الذى مر بهم وهم في العراء مشتتين ليس لهم بيوت ثابتة وفي هذا العيد يذهبون الى المعبد يشكرون الرب الذى أنهى شتاتهم ومنحهم الاستقرار حيث يمتد العيد لمدة عشرة أيام حافلة بالبهجة والسرور.. وتستمر رحلة الأعياد باحتفالاتها وذكرياتها التى لا تنسى.

الفلسفة في الجامعات العربية

هل الفلسفة هي الحكمة؟ أجدني راغبة في أن يكون الجواب بنعم، لأنني سأبني عليه آمالا وطموحات كبيرة، وليس هناك كبير مانع من تلك الإجابة، فقد سقت إليه الفلسفة الرشدية، وصار معروفا في التراث الفلسفي الإسلامي، ويعززه أن مفهوم الفلسفة غير محدد حتى لدى الفلاسفة القدماء والمحدثين، يقول الدكتور طه عبد الرحمن: «إن السؤال (ما هي الفلسفة؟) سؤال لا ينقطع بجواب، ألا ترى أن المبتدىء الذى يلج المعرفة يلقي هذا السؤال على غيره، فلا يتلقى جوابا، كما يلقيه الذى تبحر في العلم تبحرا، فلا يحير جوابا[١] .

كما يعزز هذه النتيجة أن كثيرا من موضوعات الفلسفة قد تخلت عنها لتصبح علوما مستقلة، لا أقول الطب والكيمياء التى تخلت عنها منذ زمن بعيد، ولكن ما بقي منها حتى وقت قريب متصل بالفلسفة مثل «علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الأخلاق، وعلم الجمال»[٢] .

وهي الآن من العلوم التى لا ينظر إليها على أنها علوم فلسفية إلا من ناحية التراث[٣] وحتى ما بقي للفلسفة من موضوعات - إن بقيت - هي محل نقد شديد الآن من تيارات قوية في الفكر المعاصر ترى أن مشكلات الفلسفة مشكلات زائفة وتحاول أن تضع محل التحليل النفسي لتطور المعرفة والممارسة المعاصرين تحليل (لغة العلم).. ومن ثم تذهب هذه النظريات الى أن الفلسفة كعلم قد قضي عليها بالفعل[٤]. وماذا بقي من الفلسفة إذن؟ إن الباقي من الفلسفة هو أنها نشاط التفكير الإنساني، بغض النظر عن الموضوع الذي يفكر فيه، أي أنها أدوات منطقية للتفكير والبحث والجدل والمناظرة، تجمع البشر على قوانين عقلية عامة مبنية على بدائية العقول، للتوصل الى الحقيقة من أقرب الطرق.

والحكمة في أجلى معانيها المتعددة أيضا هي: طلب معرفة أفضل الأشياء بأفضل الطرق، ومن معانيها العلم، والتفقه، والعلة أي بيان السبب[٥]. وبذلك تكون الفلسفة قد اقتربت من مفهوم الحكمة في العصر ا لحديث، ولم تعد هي تلك الشطحات الماورائية التى تقوم على دعوى الفيض من العقل الفعال[٦].

إن ذلك المعنى الفضفاض للفلسفة وصلتها بالتنجيم، ودعواها بالصدور عن العقل الفعال هو الذي جعلها موضع نقد وجفاء من كثير من علماء

بقلم : **د. حبيبة مطيوط**

- المغـــرب -

الإسلام، ثم بسبب انحرافاتها العقائدية في العصور الوسطى، وفي بعض فلسفات العصر الحديث كالوجودية مثلا.

وما كانت الفلسفة بمعناها التدبري، أعني التأمل والنظر وحب الحكمة، إلا مطلبا متكررا في آيات القرآن الكريم الذي يقول: {قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق} ويقول: {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا} ويقول: {إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} ويقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «الحكمة ضالة المسلم ينشدها أنَّى وجدها». وهي بذلك تعني النظر البصري في الخلق، والنظر البصائري في الغيب، وذلك هو موضوع الفلسفة الواسع عند القدماء، حتى قيل إنها أم العلوم لما تشتمل عليه من النظر في علوم الطبيعة وما وراء الطبيعة.

وخطأ الفلاسفة يكمن في دعوى من ادعى منهم المعرفة الشمولية. بما في الطبيعة وما وراء الطبيعة، ووضع نظريات انتصر لها وقارع خصومها وكأنها أمور محسومة، وجعل من تخميناته فيما وراء الطبيعة علما يثق به، ويعلمه لتلاميذه، ومن هنا تجاوز حدود الإمكانات البشرية للعقل، وادعى إمكانية هذا التجاوز، وربما كان لتحليلات الفلاسفة الظاهرية من المعقولية ما ليس لأهل الخرافات والأساطير، لكنها تفقد قيمتها الغيبية تماما بوجود رسالة من خالق العقول تتحدث عن المسائل الغيبية التي تتناولها.

حقا إن التسليم بوجود هذه الرسالة قد لا يكون محل اجماع ـ بخاصة عند الذين لا يؤمنون بالدين ـ لكن أجوبتها تقطع كل التخمينات البشرية فيما لا سبيل الى تحصيله بأدوات التفكير الإنساني، ويبدو من العبث ـ حينئذ الاستمرار في تحصيل المستحيل عبر هذه الرسائل المحدودة، ومن ثم وجب صرف هذا العلم الفلسفي المهم الى المدركات التي يمكن أن يفسرها العقل وتقع تحت طائلته بالمنطق، والتجريب، والاستقراء، والتحقيق، ومن منظورات كافية لاستغراق الطاقة البشرية في النظر والتأمل، وهذا ما صارت إليه الفلسفة الحديثة بعد أفول نجم النظريات الأرسطية والأفلاطونية الجديدة وأتباعها من الفلاسفة المسلمين. ولو اتخذ الفلاسفة المسلمون النظر في الطبيعة، والإنسان وقضاياه مسلكا، لكان إسهامهم في تاريخ الفكر الإنساني أكبر من مجرد الشرح لفكر أرسطو والاقتداء بالأفلاطونية الجديدة، ولما كفرهم بعض الفقهاء، بقولهم بقدم العالم، وبعدم علم الله بالجزئيات، وبعدم حشر الأجساد، وقد عبر بعضهم بقوله:

بثلاثة كفر الفلاسفة العدا
إذ أنكروها وهي حق مثبته
علم بجزئي حدوث عوالم
حشر لأجساد وكانت ميتة[٧]

فما براهين الفلاسفة المنطقيين على ما ذهبوا إليه في هذه القضايا الثلاث؟ وما الأهمية الفكرية لمثل هذه القضايا العقيمة حتى تحول دون الحضور الفعال للفلسفة في الحضارة الإسلامية؟ لا شيء سوى التقليد الذي سبب خلافات فكرية في قبول هذا العلم بين علوم الإسلام، ومع ذلك فإن الفلسفة وجدت لدى المسلمين من رحابة الصدر في العصور أكثر بكثير مما وجدته لدى الأوربيين الذين بلغ بهم الحد الى تحريم هذه العلوم وقتل أربابها، ويحسب للفلسفة الإسلامية ـ أنها قطعت في التوفيق بين الدين والفلسفة أشواطا لا يستهان بها.

فإذا بحثت اليوم عن الفلسفة بمفهومها المشروع ـ وهي علم قوانين نشاط الفكر الإنساني في التفكير ـ في الجامعات العربية أو في الحياة العربية بعامة، لوجدت ظل الماضي يهيمن عليها، بعض دارسي الفلسفة يتوهمون أن اختيارهم الفلسفي ضد الدين، فهم لذلك على ضفة أخرى من الفكر، وآخرون توفيقيون يكررون عمل ابن سينا وابن رشد، وغيرهم يكفرون كل من اشتغل بالفلسفة وربما بالمنطق أيضا، متأثرين بآراء مازالت تعتبر النظر الفلسفي كفرا وإلحادا، مثلهم في ذلك كمثل من قال:

ودع الفلاسفة النميم جميعهم

ومقالهم تأت الأحق الواجبا

فانظر بعقلك هل ترى متفلسفا

فيمن ترى إلا دعياً كاذبا

وفي الوسط المعقول الذي يرى الفلسفة فكرا وحكمة، ومطلبا إسلاميا ملحا، نجد مجموعة طيبة من أعلام الفكر والثقافة المختصين منهم وغير المختصين، وهو وسط نأمل أن يجد الرعاية والعناية، ليبث هذا الفكر المعتدل في الجامعات، ويحول دون التردي في مهاوي فلسفة الإلحاد من جهة والتحجر الفكري من جهة أخرى.

إن حال هذا العلم في جامعاتنا العربية في وضع لا يرضي بسبب المتشبثين بالمفاهيم الموضوعية القديمة للفلسفة، وبسبب الظلال المفهومية السابقة التي ما تزال ضد مصطلح الفلسفة في بعض العقول[٨]، فجامعات تحرمها بما فيها من خير وشر، وجامعات تترك الحبل على الغارب، فتدرس الفكر المعتدل والإلحادي دون منهج نقدي، أو استبعاد لما يتعارض مع ثوابت الأمة، بحجة الحياد، ولكنه الحياد العاجز أو المشبوه.

ومن الدول العربية من لا يسمح بدراسة الفلسفة إلا في جامعة العاصمة، وفيها أعلام الفكر الفلسفي في العالم العربي، ومن العرب من يسميها بالفلسفة وهو مصطلح يوناني، ومنهم من يسميها التفسير وهو مصطلح جزئي، ومنهم من يسميها بالفكر وهو مصطلح عام، فلماذا لا نسميها بالحكمة التي رأينا أنها تحمل أهم صفات الفلسفة بعد أن تخلصت من عوالقها المنكرة، وقد تقدم أن تعريف الحكمة هو: معرفة أفضل الأشياء بأفضل الطرق، ومن معانيها العلم والتفقه، وفي القرآن الكريم يقول تعالى: {ولقد آتينا لقمان الحكمة} ومن معانيها العلة، أي بيان السبب، ولعل هذا الذي دعا جامعتنا الى تسميتها بالتفسير، ومع وجاهة هذه التسمية فإن التفسير مطلب فقط من مطالب الفلسفة أو الحكمة،

ومفهوم واحد من مفاهيمها المتعددة، يقول الدكتور طه عبد الرحمن: «لا أحد ينكر ما تضمنه تعريف الفلسفة بأنها دوام السؤال من فتح لآفاقها وإثراء لإمكاناتها، وذلك لانطواء مفهوم السؤال المأخوذ في حدها على معنيين أساسيين، هما: الطلب والتداعي»[٩] ولذلك قالوا إن الجواب هو الجزء الفاني في الفلسفة والسؤال هو الباقي[١٠].

ولما كانت الحكمة تعني النشاط الفكري الإيجابي، وهو مطلب أساس في الإسلام وفي الحضارة الإنسانية على السواء، فإن الواجب على الجامعات العربية تعميمها، ودراسة الفكر الفلسفي وتدريسه دراسة نقد وإثراء، من قبل أساتذة يملكون القدرة على النظر والدفاع عن قيم الأمة والحقائق المجردة، وليس في ذلك من خطر على حرية الفكر ولا على الدين، لأن معظم المسائل الشائكة بين الفلسفة والدين لا يملك الفلاسفة عليها حجة مقنعة أصلا، كما رأينا ذلك في دعوى قدم العالم، وعدم علم الله بالجزئيات، والقول بحشر الأرواح لا الأجساد، فضلا عن أن كثيرا من مشكلات الفلسفة القديمة التي كانت موضع اعتراض قد صارت متجاوزة في العصر الحديث، وموضوعا من تاريخ الفلسفة، دون أن ننسى دور علماء الإسلام في تسليط النقد عليها حتى تجاوزها العقل الإنساني بفضل عرضهم النقدي.

إننا لا ندعو الى استحداث أقسام للحكمة في الجامعات العربية تهدم ثوابتنا ومسلماتنا، ولكن الى أن تبنى على الثوابت الإسلامية في الفكر والعقيدة ما تقدمه للإنسانية من عطائها الجديد، وأن تتعرض للفكر العالمي بعقل ناقد ومؤسس، وتسخر أدوات الفلسفة للبحث الإيجابي في قضايا الأمة، وتنمية رصيدها الفكري والثقافي والعلمي.

وليس هذا بعزيز على أمة أسهمت بجدارة في الحضارة الإنسانية في سنوات تخلفها من الشخصيات الجادة، والبحوث العلمية الرصينة ما يدفعها الى الأمام، والأهم من ذلك أن لديها الرسالة الإسلامية التي تمدها برصيد متين من الفكر والتأمل، والتكميل الغيبي الصحيح للجانب المفقود في الحكمة الإنسانية البحتة[١١].

الهوامش :

(١) فقه الفلسفة: د. طه عبد الرحمن (الفلسفة والترجمة) ص١١.
(٢) الموسوعة الفلسفية، روزنتال ص ٣١٠.
(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المعجم الوسيط مادة حكم.
(٦) عن خرافة العقل الفعال انظر (نقض المنطق) طبعة المكتبة العلمية ص ٣٢.
(٧) عن تكفير الفلاسفة في هذه المسائل انظر تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي، وعن محاولة رفع هذه التهم عن الفلسفة انظر تهافت التهافت لأبي الوليد بن رشد، وانظر نقد ابن تيمية للفلاسفة وآرائهم في كتابه نقد المنطق.
(٨) للمزيد عن وضع الفلسفة في العالم العربي انظر: « الفلسفة في الوطن العربي» أعمال ندوة في الأردن من تنظيم معهد الإنماء العربي.
(٩) فقه الفلسفة (الفلسفة والترجمة) طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ص ١١.
(١٠) المصدر نفسه ص ١١.
(١١) اشكر للأخ الدكتور عارف.

«الحبّار» مركز رصد معقد قائم بذاته
و«الكالامار» صاروخ بألوان قوس قزح

يعـرض بائعـو الأسـمـاك في دول حـوض البـحـر المتـوسـط، الى جـانـب أنواع الأسـماك الشهـيـة كـ«السلطان ابـراهيـم» و«اللقـز» و«الفـريدي»، كـتـلا منفـرة رخـوة لا شـكـل لهـا ولا لون ولا مـلامح مميزة.. ويسـتـهلك سكان عدد من تلك الدول، وبخاصة في إسـبـانيـا واليـونان وقبـرص، هذه الكتل كـوجبة شهـيـة رائحة.. إنهـا الحـبّـار المشـوي المغـمـس بالزيت والحـامض، أو «الكالامـار» المقلي بالزيت الذي يعرفه جيدا السياح في تلك المناطق.

وتبرز المقارنة بين هذه الكتل المرتخية الأطراف والمتشابكة ببعضها على لوحة البيع، وبين أشكالها الحية في المياه قبل اصطيادها اختلافا يكاد يكون تاما.. فالغطاسون ومكتشفو أعماق البحار يتمتعون بمشاهدة «الكالامار» في المياه، حيث يبدو أشبه بصاروخ ملوّن بألوان قوس قزح ينطلق برشاقة الى مسافات بعيدة، فيما يبدو الحبّار في المياه كمركز رصد معقد قائم بذاته، ومجهز بأفضل وسائل التمويه.

كائنات قديمة تكيفت مع التطور :

عرفت أنواع «الكالامار» والحبّار منذ القديم، وارتبطت بها معتقدات متنوعة، إذ كان يعتقد مثلا أن «حبر» الحبّار أو «السيبيا» يشفي أمراض المثانة والتـهـابات العين وحـالات الربو وسـواها من الأمراض..أو كان يظن أن لوجبة «الكالامار» آثارا كبيرة على الرغبات الجنسية.

ينتـمي «الكالامـار» والحـبّـار الى رأسـيـات الأرجل، وهي من الرخويات التي تعتبر من الفقريات والفصليات من الأنواع البدائية الأكثر نجاحا في

اعداد : **رجاء ابراهيم**

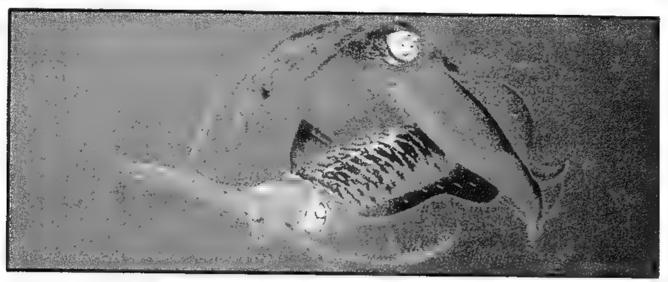
– دمشق –



الكالامار

التكيف مع التطور، ومن الأصناف الأكثر تنوعا من حيث الشكل والحجم والمظهر. ومن المعروف أن الرخويات، كالأخطبوط والمحار والحلزون والبزاق، هي من الأنواع القديمة جدا العائدة الى العصر «الكمبري» الأسفل.. أي إلي ما قبل ٦٠٠ مليون سنة. وقد تمكنت هذه الحيوانات اللينة الجسم والمحددة القوة من البقاء، ومقاومة عوامل الانقراض، بفضل أجهزة الحسّ المتطورة جدا بحيث يمكن اعتبار رأسيات الأرجل من الحيوانات المتميزة بالتطور الكبير لأجهزة حواسها وبنمو ادمغتها. وحتى الآن نعرف من رأسيات الأرجل فصيلتين: إحداهما البحاريات (كالحبّار المضيء)، وهي من رباعيات الخياشيم، وتحمل قوقعة خارجية، أما الثانية فهي ثنائيات الخياشيم، وتحمل قوقعة داخلية. وهناك ٣٥٠ نوعا منها أهمها «الكالامار» والحبّار والأخطبوط. ويعتبر هذا العدد جزءا صغيرا من الأنواع الواسعة الانتشار التى تكاثرت في العصر «الأردوقيشي» (ما قبل ٥١٠ ملايين سنة) وقارب عددها في تلك الحقبة نحو ١٠٥٠٠ نوع مختلف. وتشهد بعض «الصور الطبيعية» كالأحافير العائدة الى تلك الحقبة، على تكوين الأنواع المعروفة من «الكالامار» والحبّار.

ولم تكن الأحافير وحدها هي التى تحدثت عن «الكالامار» والحبار اللذين ورد ذكرهما في الروايات القديمة العائدة الى ما قبل ٤٠ قرنا، فقد قدم أرسطو، في مرحلة لاحقة، وصفا دقيقا لها، إذ أشار الى أنها «حيوانات تحمل مادة السيبيا (الحبر) التى تتكون من غشاء غلافها الخارجي وتستخدمها للدفاع عن نفسها وتأمين حمايتها». تراوح أطوال أفراد الحبّار بين سنتيمترات معدودة وبين أربعين الى خمسين سنتمترا، أما أفراد «الكالامار»، فإن أطوالها أكثر تفاوتا، وتراوح بين الأنواع الصغيرة التى لا يتعدى طولها سنتمترات عدة، والنوع الضخم الذي يصل طول أفراده الى أمتار عدة. لكن أطوال معظم أفراد هذين النوعين يراوح بين ٢٠ و٤٠ سنتمترا.



الحبّار

الاستيطان حسب معدل الملوحة:

تستوطن رأسيات الأرجل في جميع أنحاء العالم تقريبا. لكنها تفضل أنظمة البيئة البحرية المتميزة بمعدل ملوحة، يراوح بين ٢ر٣ في المئة و٧٥ر٣ في المئة ويعيش أكبر عدد من أنواعها في المياه الدافئة، وبخاصة في مياه البحر الصوند (جنوب شرق آسيا) وأرخبيل اليابان في الشرق الأقصى وفي مياه البحر الأبيض المتوسط. وتوجد مجموعات صغيرة في بعض المياه الباردة، غير أن أيا منها لا يعيش في البحر الأسود أو بحر البلطيق، وقد يكون عائدا الى معدل الملوحة المتدني في هذين البحرين.

يعيش الحبّار عموما على عمق لا يتعدى الـ ٣٠٠ متر في المناطق الساحلية الرملية أو الموحلة، ويعيش أفراد هذا النوع الواسع الانتشار في مجموعات صغيرة أو كأفراد معزولة وتقوم الرخويات، التي تقضي معظم أوقاتها في حالة كسل تامة، بهجرات موسمية، وتقترب من السواحل في فترات الإخصاب. أما «الكالامار» فيفضل العيش في المياه العميقة. وتغادر أنواع «الكالامار» أماكن تواجدها على أعماق تراوح بين ٣ و ٤ آلاف متر باتجاه سطح المياه في مواسم الإخصاب ووضع البويضات. فتتجمع أفراد الكالامار بالآلاف على أعماق محدودة أو متوسطة في فترات الإخصاب، كما تقوم بهجرات طويلة محددة الوجهة، بحثا عن الغذاء وتمارس السباحة في الأعماق خلال النهار، وتقترب من السطح خلال الليل بحثا عن الغذاء.

يتغذى الحبار بالقشريات «كالقريدس» والسراطين والأسماك والرخويات الأخرى ويمارس هذا النوع الشرس عمليات اصطياد ضحاياها بصبر وتأن شديدين. فيقبع منتظرا ومتخفيا، مستفيدا من قدرته على اتخاذ أشكال وألوان أماكن تواجده، فيلتقط بملامسة (أطرافه) الطويلة ضحاياه، التي تكاد لا تشعر بوجوده قبل إمساكه بها. أما



«الكالامار» فيفضل الهجوم المفاجيء والصاعق على أسماك الطراخون أو الرنكة. أما الأنواع الكبيرة من «الكالامار» التى تعيش قرب السواحل الأمريكية، التى قد تصل أوزان أفرادها الى نحو ١٠٠ كلغ، فتهاجم سمك الطون الكبير الحجم، وتلتهم رأسه بكامله. وعلى غرار هذا النوع الكبير فإن جميع أنواع «الكالامار» تشن على ضحاياها من الأسماك هجوما سريعا وقويا وصاعقا.

الأعداء :

لكن الحبّار و«الكالامار» يواجهان خلال حياتهما القصيرة (بالمقارنة مع غيرهما من الأنواع البحرية الأخرى) العديد من الأعداء أهمها أسماك المارو، وأبو مرئية وثعبان البحر، التى تهاجم الحبّار، وأسماك القرش والدلافين والطون والفقمة، حتى طيور النورس التى تهاجم «الكالامار» ويواجه «الكالامار» الخطر بوسائل متعددة، يعتمد فيها على سرعته وقوته فيما يستخدم الحبّار المحدود القوة والسرعة والحبر (السيبيا)، ليتمكن من الهرب وتضليل عدوه المهاجم، ويعتمد أيضا على التمويه وسط البيئة التى يتخذ أشكالها وألوانها، وأحيانا يمارس التخويف فيرفع أطرافه، ويبدو على شكل تنين صيني مخيف، بحيث يتردد العدو في مهاجمته!!.

ويبقى الصيادون أهم أعداء الحبار والكالامار. ويخضع نحو ١٠٠ نوع من هذه الرخويات اليوم لعمليات استغلال منتظمة، وتقدر الكميات التى يتم اصطيادها في جميع أنحاء العالم بنحو مليوني طن سنويا. وتعتبر هذه الكميات كبيرة جدا، بالنسبة الى نوع لا يستفاد منه في القطاع الصناعي. ويستخدم الصيادون، وبخاصة في البحر المتوسط، طرق صيد قديمة مثل الصنانير المربوطة بخيط طويل، التى يسحبونها بواسطة آلة رفع يدوية. وعلى الرغم من الأضرار البالغة، التى يلحقها هؤلاء الأعداء بالحبّار والكالامار، فإن أعداد أفراد هذين النوعين لا تزال ثابتة، نتيجة ظاهرة توالد الأفراد بمعدل ٦ إناث لكل ذكر، مما يؤدي الى نسبة تكاثر عالية تعوض الخسائر. وأنواع الكالامار والحبّار متمايزة الجنس ولا تعرف الخنثوية أو تغير جنسها خلال حياتها كسمك المارو. ويتميز الذكور عن الإناث بأشكال الملمس، فيلاحظ مثلا أن الملمس الأول للجهة اليسرى من البطن لدى الذكر يكون مبتورا، ويلعب دورا كبيرا في عملية التلقيح. من ناحية أخرى، تضع أنثى الحبار بويضاتها الحمراء اللون بعناية شديدة في أماكن آمنة خلال الليل. ويبلغ طول صغار الحبار لدى حصول عملية التفقيس بين ٧ و ٨ ملم، وتكون منذ ذلك الحين مماثلة للأفراد البالغين. أما أنثى الكالامار، فتضع بويضاتها في تعرجات أعماق البحار وثقوب الصخور.

الشكل :

يختلف «الكالامار» عن الحبار في الشكل

الخارجي، فالأول يتميز بشكله الرشيق والطويل، فيما يبدو الثاني أشبه بكتلة متراصة. لكنهما يحملان في المقابل المواصفات نفسها من حيث التكوين، فرأس هذين النوعين يحمل ثمانية ملامس (أطراف على شكل إكليل) مزودة بأفواه (أبواغ). ويضاف الى هذه الملامس الثمانية ملمسان آخران أطول منها، يحملان أفواها على امتدادها وحتى أطرافها المنتفخة على شكل مطرقة. ويستخدم الكالامار والحبّار هذا الزوج من الملامس لالتقاط طرائدهما، ونقلها الى فمهما. ويحمل الفم هذين النوعين من رأسيات الأرجل منقارا، أشبه بمنقار الببغاء، مزودا بعضلات قوية جدا، قادرة على سحق قشرة القشريات، أو رؤوس الأسماك التي تتمسك بها الملامس بقوة. وتقوم الأفواه بعملية التقاط الطرائد بطريقة فعالة وبسيطة، فكل منها يملك نوعا من الوسيدات (الوسائد) المتحركة، تولد بفعل تقلص العضلات تجويفا في داخل الفم، يجعلها تلتصق بالطريدة أو بالصخور بقوة هائلة، يستحيل معها على الطرائد الكبيرة جدا أن تتفلت منها. ويحمل الرأس أيضا عينين مغلفتين بغشاء شفاف أو قرنية. وتبرز هاتان العينان الكبيرتان المتطورتان جدا وسط الرأس، لتعطياه طابعا خاصا وثاقبا. ويشار أخيرا الى أن الرأس الملتصق كليا، وبطريقة مباشرة، بباقي الجسم، والمزود بالملامس، كان وراء تصنيف هذين النوعين بين «رأسيات الأرجل». ويتألف الجسم من عضلات قوية، مغطاة بغشاء تظهر على جوانبه زعانف مختلفة الأطوال حسب الأنواع. ويغطي هذا الغشاء كليا البطن والخياشيم وجيب «السيبيا».

وتلتف حول الغشاء كتلتان بارزتان وملتصقتان بالجوانب الخارجية للبطن، وتحمل كل كتلة تجويفا تنفسيا على شكل قمع. ويوفر هذا القمع، الذي يعمل بطريقة شبيهة بطريقة عمل الطائرة النفاثة، للحيوان إمكانية القيام بحركة «طوارئ»، للتفلت من حيوان مفترس، ينقض عليه. فعندما تتقلص عضلات الغشاء بقوة، بفعل الخوف، تندفع المياه الموجودة في التجويف التنفسي الى الخارج، عبر القمع، مما يولد حركة، كتلك الناجمة عن خرطوم محقون، تدفع بالحيوان الى الوراء بقوة. ويحمل كل من الحبار والكالامار جيبا، يحتوي على «السيبيا» (الحبر). وهي مادة مكونة من الميلانين، ممزوجة بالمياه وبعض النفايات. وتستخدم هذه الأنواع من رأسيات الأرجل (السيبيا) لتغطية هروبها من أمام حيوان مهاجم. فتغزو (السيبيا) على شكل غيمة سوداء قاتمة، بحيث يشعر المهاجم بالخوف، وتشير بعض الدراسات الحديثة الى أن هذه المادة، تشل حواس الحيوانات لفترة محدودة. من ناحية أخرى، تستخدم هذه المادة حتى الآن لإنتاج «الحبر الصيني» المشهور. ويستخدم الكالامار سرعته الكبيرة لتفادي المخاطر، فيما تشكل (السيبيا) الوسيلة الرئيسية التي يملكها الحبار للدفاع عن نفسه.

ويتميز الحبار والكالامار بظاهرة غريبة، فهما يحملان، كغيرهما من أنواع الرخويات، قوقعة واقية.

غير أن هذه القوقعة ليست خارجية، كما في الحال بالنسبة الى البزاق. ويبدو أن هذه القوقعة، التي كانت في الماضي قوقعة خارجية، أصبحت مغطاة لدى الكالامار والحبار بالكتل الشحمية. وتوفر هذه القوقعة الداخلية دعامة للجسم الشديد الرخاوة.

ويشار الى أن قوقعة الكالامار أكثر شفافية وأصغر حجما من قوقعة الحبار. من ناحية أخرى، تتلون أفراد الكالامار والحبار بألوان مختلفة، حسب مواقع الاستيطان والعمر والجنس والانفعالات لدى مواجهة الأخطار.. فالحبار يتلون عموما بألوان البيئة المحيطة به، فيتحول لونه الى الأخضر في المناطق الممتلئة بالأعشاب البحرية، والى الأصفر في المناطق الرملية، والى الداكن في المناطق الصخرية. أما الكالامار فيتخذ اللون الأسمر المائل الى الاحمرار. ويرتبط هذا اللون الذاتي بالقشرة الخارجية التى تغطي جسمي الحبّار والكالامار، وتحتوي على خلايا صبغية، تتأثر بانطباعات العينين الحسية، والتى تثير تقلصا أو تمددا في العضلات، ينعكس على القشرة وخلاياها الصبغية. وقد أظهرت بعض التجارب الدور الحاسم للعين في هذا المجال، إذ أدى اقتلاع إحدى العينين الى إلغاء هذه الظاهرة تلقائيا، في الناحية المقابلة من الجسم!.

وتعتبر عينا الكالامار والحبّار من أهم أعضاء جسميهما. وتعتبر حاسة الرؤية لديهما بالغة التطور، وتقارب الى حد كبير حاسة الرؤية لدى الفقاريات العليا، إن لجهة تشكيل العدسة البلورية أو البؤبؤ.

ويشار الى أن النوع الأكثر انتشارا من الكالامار، يحمل نسبة من الخلايا البصرية، تعادل مثيلتها لدى الإنسان، وتقارب الـ ١٦٠ ألف خلية بصرية في المليمتر المربع الواحد، وفي المقابل لا ترتبط عينا الكالامار بدماغه، كما هي الحال بالنسبة الى الفقاريات، ولا تحدث عملية تصوير في القسم الخلفي من العين، بل يتم التقاط الألوان والأضواء لدى تحركها، وبالتالي لدى انتقالها الى العين، كمؤشرات حية. فيميز الكالامار والحبّار بين الظلمة والضوء بسبب اختلاف المؤثرات الحسية الناجمة عن كل منهما.

وينطلق البعض من الحجم الكبير لعيني الحبار والكالامار، لتأكيد التطور الكبير لقدرتهما الحسية. ويؤكد أن التطور الكبير لحواس هذين النوعين، وفر لهما القدرة على البقاء ملايين السنوات. وقد أشار عدد من العلماء الى إمكانية إخضاع الكالامار الى تدريب، يكسبه بعض العادات، مما يسمح بالاعتقاد أنه يتمتع بذاكرة وبقدرة على التعلم. وأكدوا في هذا الصدد أن التجارب أظهرت أن الكالامار اكتسب قدرة على تمييز لون الرز، الذي يؤدي الضغط عليه بأحد ملامسه الى حصوله على الطعام. ومن الواضح أن عددا محدودا من الحيوانات البحرية قادر على القيام بمثل هذه العملية، التي تضع الكالامار والحبّار في مصاف الفقاريات المتطورة والثدييات.

آلية تأثير التيار الكهربائي في جسم الإنسان

تمثل الطاقة الكهربائية أنبل أنواع الطاقة، إذ أنها الشكل الوحيد للطاقة الذي يجمع بين سهولة التوليد وسهولة النقل وسهولة الاستخدام وسهولة التحكم، كما أن الآفاق المستقبلية تشير الى أنها ستبقى محتلة مركز الصدارة بين كافة أشكال الطاقة الى أمد غير قريب.

لذلك فقد انتشر توليد الطاقة الكهربائية وعم استخدامها بسرعة هائلة في كافة أنحاء العالم. ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٤٦ - ١٩٦٠ تضاعف توليد القدرة الكهربائية المولدة في العالم ٣ر٩ مرة، لتبلغ في عام ١٩٦٠ (٢٢٩٤ مليار كيلو واط ساعي)، وبلغت في عام ١٩٦٨: (٤١٦٠ مليار واط ساعي) وهكذا تتضاعف هذه الأرقام في كل سنة نتيجة التقدم التكنولوجي وكذلك من أجل تصديرها كمورد حيوي لاقتصاد البلدان المنتجة.

ومن البديهي أن يرافق استعمال الطاقة الكهربائية في الصناعة والنقل والأرياف والمنازل إصابات بالتيار الكهربائي. وقد تشكلت لجان دولية لتحديد المواصفات الفنية والقياسية لإنتاج واستثمار وتصنيع الأجهزة

بقلم : المهندس كور كين داود ملى

- ســـــوريـا -

والمعدات، والإشراف على التقيد بهذه المواصفات بغية حماية الإنسان والبيئة والحفاظ على هذه الثروة من مخاطرها.

إن آلية تأثير التيار الكهربائي في جسم الإنسان معقدة للغاية، فمن ناحية سجلت حوادث مميتة مع جهود أقل من ٥٠ فولت، بينما سجلت من ناحية أخرى حوادث غير مميتة في منشآت ذات جهود عالية.

تهدف هذه المقالة الى تحديد آلية تأثير التيار الكهربائي في جسم الإنسان مع توضيح العوامل التي تميز شكل الإصابة بالتيار.

الإصابات الكهربائية بالأرقام :

إن الكهرباء على الرغم من محاسنها الكثيرة سلاح ذو حدين إذ أن استعمالها في الصناعة والبيوت وغيرها مصحوب بحوادث مؤسفة تصيب الأرواح والممتلكات. فخلال الثمانين السنة الأولى لاستخدام الكهرباء منذ ١٨٩٥م (بداية استعمال الكهرباء) وحتى ١٩٦٥م تم رسمياً تسجيل وفاة ٢٠٠ ألف شخص (وان كان العدد الفعلي أكبر من ذلك بكثير) في دول أوربا الغربية نتيجة الإصابات بالكهرباء.

ومع تقدم العلم والتكنولوجيا تطورت وسائل الحماية وتحسنت مواصفات العوازل الكهربائية فعلى الرغم من ازدياد استهلاك الطاقة الكهربائية إلا أن عدد الوفيات السنوية منسوباً لكل مليون من عدد السكان - قد استقر على رقم ثابت يتراوح بين ٢ و ٧ حوادث، أو حتى على رقم أصغر من ذلك من الدول التي تهتم بشكل ملحوظ باستعمال تجهيزات القطع والحماية (كالسويد مثلا).

تنشأ حوادث الإصابة بالتيار الكهربائي نتيجة أسباب عدة أهمها:

- عدم التقيد بضوابط إنشاء المعدات الكهربائية.
- الاستثمار غير الصحيح.
- استعمال تجهيزات سيئة الأمان.
- استعمال نواقل وعوازل غير مناسبة للوسط الذي يحيط بها.
- إهمال متطلبات الأمان الكهربائي.
- جهل الناس بأمور الأمان الكهربائي.
- أسباب عشوائية أو القضاء والقدر.

فيما يلي سنقدم بعض المعطيات الكمية عن أسباب الإصابات بالتيار الكهربائي في النمسا حيث تقوم مؤسسات خاصة بحصر المعلومات الإحصائية في هذا المجال وتنظيمها فخلال ٣ سنوات (١٩٦٤ - ١٩٦٦) حدثت ١٣٠٠ إصابة بالتيار الكهربائي أدت ١٦٢ منها الى الوفاة.

من هذه الحوادث وقع ١٦٧ منها (٢٥ مميتة) في أعمال البناء و١٠٥ (٢٨ مميتة) في البيوت السكنية. ولدى تصنيف هذه الإصابات حسب نوعية المصابين تبين أن ٥٢٥ (٢٩ مميتة) إصابة وقعت مع العاملين أو الدارسين في المعاهد الهندسية الكهربائية و٧٧٥ (١٣٣ مع أشخاص آخرين).

يبين الجدول رقم (١) توزع الإصابات حسب الجهود المستخدمة:

الجهد الكهربائي المستخدم منسوبا للأرض	العدد الكلي للإصابات	عدد الإصابات المميتة
أكبر من ١٠٠ كيلو فولت	١٣	٧
١ كيلو فولت ÷ ١٠٠ كيلو فولت	١٦٤	٣٦
٢٥٠ فولت ÷ ١ كيلو فولت	٧٤	١
٤٢ ÷ ٢٥٠ فولت	١٠٢٧	١٢١
أصغر من ٤٢ فولت	٢٢	٠

الجدول رقم (١)

من الـ ١٣٠٠ حادثة المذكورة كانت ٦١ (٣ مميتة) فقط بالتيار المستمر.
وقد وقع قسم كبير من هذه الإصابات عند استخدام المعدات الكهربائية المتنقلة (**الجدول ٢**)

نوع الجهاز المتنقل	العدد الكلي للإصابات	عدد الإصابات المميتة
أجهزة القياس والمصابيح	٢١٠	٣٨
أدوات اختبار الجهد	٧٨	٩
نواقل معزولة منقولة	٥٣	٥
أدوات التسخين	١٨	٣
الراديو والتلفون	٦	٠
أجهزة لحام	١٢	١

الجدول رقم (٢)

كذلك يمكن رد حوادث الإصابة بالتيار الكهربائي الى أسباب متنوعة كما هو مبين في **الجدول رقم (٣)**:

م	الســــــبب	العدد الكلي للإصابات	عدد الإصابات المميتة
١	التصرفات الخاطئة للعمال الكهربائيين وعدم اتخاذ الاحتياطات الضرورية	٢٢٥	٣١
٢	التصرفات غير المدروسة والسرعة	١١١	٢٤
٣	تماس مع الهيكل	٢٠٢	٦١
٤	العازلية المنخفضة	٦٤	٣
٥	جهد الخطوة	٤	١
٦	أثناء محاولات النجاة (الهرب)	٦	٢
٧	عند إطفاء الحرائق	٤	–
٨	صيد السمك بواسطة الكهرباء	٣	٢
٩	انقطاع النواقل	٤٥	١٣
١٠	أفعال متعمدة	٨	٤
١١	إصابة بالصواعق	١١٦	٣٠

الجدول رقم (٣)

مخاطر الإصابة بالتيار الكهربائي :

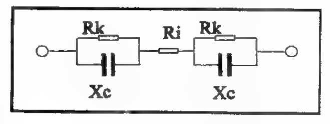
يؤدي مرور التيار الكهربائي خلال جسم الإنسان الى إصابات ذات طبيعة مختلفة: الصدمة الكهربائية - حروق - علامات كهربائية أو ندبات. يقصد بالصدمة الكهربائية الإصابة بالتيار الكهربائي التي تؤدي الى حدوث هزة عنيفة، أي حدوث رد فعل عنيف متميز نتيجة تأثير مهيج قوي هو التيار الكهربائي. ويختلف أثر الهزة من حالة الى أخرى. ففي الحالات الصعبة يرافق الهزة اختلال في دوران الدم والتنفس وقد يحدث رجفان القلب أي عوضاً عن أن تضرب عضلات القلب في أن واحد وبشكل رتيب (بمعدل ضربة في الثانية مثلا) تنشأ حركات عشوائية للألياف المختلفة، وهذا يوقف العمل المنتظم للقلب ويتوقف جريان الدم وقد تحصل الوفاة. تنشأ الصدمة الكهربائية في معظم الحالات عند جهود تقل عن ١٠٠٠ فولت. تنشأ الحروق نتيجة تأثير تيارات أكبر (حوالي ١ أمبير أو أكبر) أو عن انفراغ القوس الكهربائي. فعند الاقتراب من الأجزاء الحاملة للتيار ذات الجهد الأكبر من ١٠٠٠ فولت بحيث تصبح المسافة بين جسم الإنسان والأجزاء الحاملة للتيار صغيرة، تنشأ شرارة تفريغ يليها قوس كهربائي يؤدي بالتالي الى حروق شديدة عند حدوث تماس عرضي مع أجزاء حاملة للتيار ذي الجهد الأقل من ١٠٠٠ فولت فإن التيار المار في جسم الإنسان يسخن النسيج البشري الى (٦٠ - ٧٠) درجة مئوية. وهذا يسبب تخثر الزلال (البروتينات) ويجدر التنبيه الى أنه من الصعب شفاء الحروق الناتجة عن التيار الكهربائي لأنها تغطي مساحة كبيرة من الجسم

وتتغلغل داخل الجسم أي أن تأثيرها لا يشمل الجلد فقط. أما الندبات الكهربائية فهي عبارة عن جلد ميت أصفر اللون يظهر في نقطتين داخل التيار وخروجه. وإذا مر التيار في مسار عميق ضمن الجسم فإن النسيج البشري المصاب يموت تدريجياً.

الدارة الكهربائية المكافئة لجسم الإنسان:

لا يمكن اعتبار جسم الإنسان الذي يقع فجأة ضمن الدارة الكهربائية كناقل فيزيائي بسيط لأن النسيج البشري الحي وجسم الإنسان ككل يشكل ممانعة تخضع بتأثير التيار الكهربائي إلى قوانين أعقد بكثير من النواقل المعدنية أو المحاليل الكهرليتية (المتشردة) أو أنصاف النواقل. وعلى الرغم من ذلك يمكن بشكل تقريبي تمثيل جسم الإنسان بمجموعة من المقاومات والسعات (الشكل ١) إلا أن القيم العددية لهذه العناصر تتأثر بشروط كثيرة وبشكل خاص بحالة الجلد في مكان التماس مع التيار (رطب - جاف - وجود جروح) علماً أن ممانعة الطبقة العليا من الجلد تحدد المركبة السعوية لممانعة جسم الإنسان.

تعتمد ممانعة الجسم على أبعاد سطح التماس وعلى طبيعته (تماس متين أو تماس قصير الزمن عشوائي) وعلى قيمة الجهد المطبق وعلى عوامل أخرى متفرقة. لذلك فإن مقاومة جسم الإنسان في دارة الإصابة ليست مقداراً ثابتاً وإنما تختلف من إنسان الى آخر حسب الظروف المختلفة وهي تتغير ضمن مجال واسع يتراوح بشكل عام بين ٦٠٠ - ١٠٠٠ أوم وقد تصل الى عدة آلاف أوم.



الشكل رقم (١)
الدارة الكهربائية المكافئة لجسم الإنسان

Rk : مقاومة الجلد.
Xc : المفاعلة السعوية.
RI : المقاومة الداخلية لجسم الإنسان.

تقدر مقاومة الجلد الجاف السليم بـ ١٠٠,٠٠٠ أوم وتقدر مقاومة الجلد الرطب بـ ١٠٠٠ أوم أما مقاومة الأنسجة الداخلية (بعد رفع الطبقة الخارجية) فتقدر بحوالي ٥٠٠ - ١٠٠٠ أوم. وأقل مقاومة للنسيج البشري هي عند الوجه وتحت الإبطين.

إن مقاومة جسم الإنسان مقدار غير خطي فهي تتناقص بشكل حاد وغير طردي عند زيادة الجهد المطبق على جسم الإنسان وكذلك عند زيادة زمن تأثير التيار وكذلك عندما تكون الحالة الفيزيولوجية والنفسية للمصاب غير مرضية وعندما يكون التماس كبيراً وجيداً مع الأجزاء الحاملة للتيار... الخ. من الشكل رقم[٢] نجد أنه عند زيادة الجهد المطبق على الجسم من الصفر حتى ١٤٠ فولت فإن مقاومة الجسم تهبط بشكل غير خطي من عشرات الألوف من الأومات الى ٨٠٠ أوم (المنحني١) و(المنحني٢). وبشكل تقريبي تتحدد ممانعة جسم الإنسان (بالأوم) بواسطة العلاقة التالية:

$$Zp = Ua / Ip$$

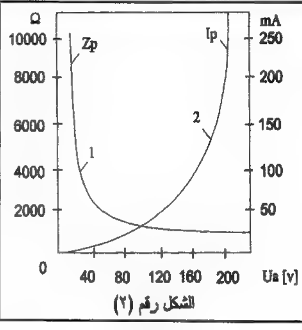
حيث :

Ua : هبوط الجهد على ممانعة جسم الإنسان بالفولت.

Zp, Ip : ممانعة جسم الإنسان والتيار المار فيه على التوالي.

في حسابات الأمان الكهربائي تؤخذ مقاومة الإنسان على أنها مساوية بشكل تقريبي:

$$Zp = 1000\ \Omega$$



الشكل رقم (٢)

العوامل الرئيسية المؤثرة على الإصابة بالتيار الكهربائي:

يعتمد تأثير التيار الكهربائي في جسم الإنسان على شدة التيار المار في الجسم وعلى الفترة الزمنية التي يستمرها مرور التيار، وعلى المسار الذي يسلكه التيار خلال جسم الإنسان، وعلى طبيعة التيار وتردده وعلى الخصائص الإفرادية للإنسان وعلى عوامل أخرى متفرقة. إن ممانعة جسم الإنسان وكذلك قيمة الجهد المطبق عليه تؤثر بدورها على سير الإصابة ولكنها تؤثر فقط انطلاقا من تحديدها لقيمة التيار الذي يمر في جسم الإنسان إذ أن المقادير: الجهد وشدة التيار والممانعة مرتبطة مع بعضها بقانون أوم الشهير.

شدة التيار المار في جسم الإنسان:

تعتبر شدة التيار الذي يمر في جسم الإنسان من العوامل الأساسية التي تحدد خطورة الإصابة يبدأ الإنسان بتحسس آثار التيار المتناوب ذي التردد ٥٠ هرتز الذي يسري فيه عندما تتراوح شدة التيار بين ٦ر٠ و٥ر١ ميلي أمبير، أما قيمة التيار المستمر المقابلة فهي ٥ ـ ٧ ميلي أمبير. تدعى هاتان القيمتان (عتبة التحسس بالتيارات) تثير التيارات الأكبر لدى الإنسان تشنجاً في العضلات وتؤدي الى أحاسيس مرضية مزعجة تزداد بازدياد شدة التيار وتنتشر على قطاعات أكبر من الجسم وهكذا عند شدة التيار ٣ ـ ٥ ميلي أمبير والتردد ٥٠ هرتز فإن الآثار المزعجة للتيار تشمل كافة راحة اليد وعند ٨ ـ ١٠ ميلي أمبير يزداد الألم بشكل حاد ويصيب كامل اليد ويرافق ذلك تقلصات غير إرادية لعضلات اليد والساعد. عندما تصبح شدة التيار ١٠ ـ ١٥ ميلي أمبير يصبح الألم محتملا بصعوبة بالغة وتبلغ تشنجات العضلات حداً يصعب معها على الإنسان التغلب عليها.

وفي النتيجة فانه لن يستطيع أن يبسط يده الموصلة الى الجزء الحامل للتيار ولن يستطيع عندها أن يتحرر من الناقل، أي أن حالته لن تسمح له بالإفلات من التماس مع الأجزاء الحاملة للتيار ويبدو وكأنه ملصوق بها. ومثل هذه الآثار تظهر كذلك مع التيارات الأكبر. تدعى مثل هذه التيارات بتيارات عدم الإفلات وتدعى قيمتها الأصغرية (١٠ ـ ١٥ ميلي أمبير عند ٥٠ هرتز للتيار المتناوب و٥٠ ـ ٨٠ ميلي أمبير من اجل التيار المستمر) ـ بقيمة تيارات عدم الإفلات.

لا يؤثر التيار ذو الشدة ٢٥ ـ ٥٠ ميلي أمبير (٥٠ هرتز) على عضلات اليد فحسب وإنما على عضلات الجذع كذلك بما فيها عضلات القفص الصدري مما يؤدي الى إعاقة حركاتها التنفسية وقد يؤدي استمرار مرور هذا التيار الى توقف التنفس وبعد ذلك بفترة قصيرة تحدث الوفاة نتيجة الاختناق. أما التيارات التي تتراوح شدتها بين ٥٠ و ١٠٠ ميلي أمبير (٥٠ هرتز) فإنها تؤدي الى اختلال عمل الرئتين

والقلب بسرعة أكبر إلا أنه في هذه الحالة، كما في حال التيارات الأقل يختل أولا عمل الرئتين ثم يتبعها القلب. تنشر التيارات الواقعة في مجال من ١٠٠ ميلي أمبير حتى ١٥ أمبير بتردد ٥٠ هرتز والتيارات المستمرة من ٣٠٠ ميلي أمبير حتى ١ أمبير آثارها المؤذية على عضلة القلب الموجودة في مكان أعمق ضمن الصدر. وهذه الظاهرة خطرة جداً على حياة الإنسان لأنه (١ ـ ٢ ثانية) من بدء مرور التيار خلال جسم الإنسان يحدث رجفان القلب عندما يتوقف دوران الدم ولذلك تعاني الأعضاء من نقص الأوكسجين مما يؤدي بدوره الى توقف التنفس أي حدوث الوفاة. تدعى هذه التيارات (بالمسببة لرجفان القلب) والتيارات الأصغرية منها تشكل عتبة رجفان القلب. أما التيارات الأكبر من ٥ أمبير فهي بشكل عام لا تسبب رجفان القلب فعند هذه التيارات يتوقف القلب فوراً، دون أن يمر بمرحلة الرجفان ويشل التنفس. إذا كان تأثير هذه التيارات قصيراً (أقل من ١ ـ ٢ ثانية) ولم يصب القلب (نتيجة الحروق أو السخونة ... الخ) فإن القلب في الحالة العامة يستعيد وضع عمله الطبيعي بعد فصل التيار، إلا أن التنفس لا يعود الى وضعيته الطبيعية بدون تدخل خارجي، لذلك يجب على الفور مساعدة المصاب بواسطة إجراء التنفس الاصطناعي له. يمكن اعتبار القيم التالية للتيار كقيم حدية مسموحة إذ يستطيع عندها الإنسان التحرر من الدائرة الكهربائية.

$I_{ad} \leq 2\ mA \qquad t > 30\ S_{ec}$

$I_{ad} \leq 9\ mA \qquad 1 < t \leq 30\ S_{ec}$

في الشبكات الكهربائية تقوم عناصر الحماية بفصل الأعطال مع الأرض خلال أجزاء من الثانية لذلك عند حساب تجهيزات الأمان (التأريض وغيره) يسمح بأخذ القيمة المسموحة الأكبر للتيار المار في جسم الإنسان.

إن القيم المسموحة للتيار والجهد التي تم الحصول عليها مخبرياً مبينة في الجدول رقم (٤)

تسمية الثابت	زمن تأثير التيار ، ثانية (Sec)						
	أكبر من 30	1÷30	1	0.7	0.5	0.2	0.5
التيار المسموح (mA)	2	9÷6	65	75	100	250	500
جهد التماس المسموح(V)	9	24	65	75	100	250	500
ممانعة جسم الإنسان (Ω)	4500	2650	1000	1000	1000	1000	1000

الجدول رقم (٤)

(الجدول رقم ٤)
الثوابت الحسابية المسموحة للتيار الكهربائي في جسم الإنسان .

من الجدول رقم (٤) نستنتج أن التيار والجهد:

$$I_{ad} \geq 65 \ mA$$
$$U_{ad} \geq 65 \ V$$

مسموحان لأقل من ثانية واحدة.

زمن مرور التيار خلال جسم الإنسان:

وهو يؤدي دوراً هاما في تحديد خطورة الإصابة: فكلما مر التيار فترة أطول في جسم الإنسان كلما كان احتمال حصول الإصابة البالغة والمميتة أكبر. ويفسر ذلك بمجموعة من الأسباب وبشكل خاص بأنه مع الزمن تزداد شدة التيار المار في جسم الإنسان (على حساب نقصان ممانعة الجسم) ويزداد بالتالي احتمال وصول التيار الى قيمة مميتة. يمكن تقييم أثر زمن مرور التيار ذي التردد ٥٠ أو ٦٠ هرتز خلال الأعضاء الحية على مسار الإصابة بواسطة المعادلة التجريبية التالية التى افترضها العالم والزيلي في جامعة كاليفورنيا بنتيجة تجاربه العديدة التى أجراها على الحيوانات.

$$I_{0.5\%} = \frac{2.168 * G + 12.8}{\sqrt{t}} = \quad mA \quad (2)$$

حيث :

$Io.5\%$: التيار الذي يسبب رجفان القلب لدى 0.5% من الحيوانات المختبرة ميلي أمبير.

G: وزن الحيوان، كغ.

T': زمن مرور التيار، ثانية.

والعلاقة صحيحة في مجالات الزمن التى تتراوح بين ٠٫٠٣ ـ ٣ ثانية.

ويمكن تعميمها على الإنسان كذلك.

فإذا افترضنا أن وزن الإنسان G = ٧٠ كغ عندها نحصل على :

$$I_{0.5\%} = \frac{165}{\sqrt{t}} = \quad mA \quad (3)$$

فإذا قبلنا أن التيار المسموح مروره خلال ثانية واحدة هو ٦٥ ميلي أمبير فإنه عند استمرارية أخرى لمرور التيار (في المجال ٠٫٠٣ ـ ٣ ثانية/ فإن التيار المسموح سيتحدد من المعادلة التالية :

$$I_{ad} = \frac{65}{\sqrt{t}} = \quad mA \quad (4)$$

يمكن استخدام Iad عند حسابات أدوات الحماية ـ التأريض وغيرها وذلك عندما يكون زمن مرور التيار خلال الإنسان قصيراً جداً.

مسار التيار في جسم الإنسان المصاب:

وهو يلعب دوراً هاماً في تحديد تطور الإصابة. وهكذا فإذا وجد في مسار التيار أعضاء هامة كالقلب أو الرئتين أو الدماغ فإن خطر الإصابة يصبح كبيراً نظراً لأن التيار يؤثر مباشرة على هذه الأعضاء. وعندما يمر التيار بطرق أخرى فإن أثر التيار على الأعضاء الهامة يكون فقط ذا طبيعة انعكاسية ولذلك فإن احتمال حدوث إصابة صعبة ينخفض بشكل حاد.

بالإضافة الى ذلك وبما أن مسار التيار يتحدد بنقطة تماس جسم المصاب مع الأجزاء الحاملة للتيار لذلك فإن أثر التيار يعتمد مرة أخرى على الطريق الذي يمر به التيار أو أن مقاومة الجلد مختلفة من مكان الى آخر من الجسم. وأكثر الإصابات التى نصادفها في الواقع العملي تمر بـ : (يد ـ رجل ـ يد) أو (يد ـ رجل ـ رجل) . وقد تحدث إصابات قاتلة حتى ولو بدا أن

مسار التيار لا يمر عبر أعضاء الجسم الحساسة كالقلب أو الرئتين كأن يمر التيار عبر الساق الى القدم. ويفسر ذلك بأن التيار يجتاز جسم الإنسان في الطريق ذي الممانعة الأصغر (أي عبر الأعصاب والدم)، وليس بطريق مستقيم عبر النسيج البشري ذي الممانعة الكبيرة (العضلات - الدهن).

نوع التيار وتردده :

كما تبين خبرة استثمار المنشآت الكهربائية فإن التيار المستمر مأمون أكثر من التيار المتناوب ذي التردد ٥٠ هرتز. فإذا قارنا قيمتي عتبة التحسس (٥ - ٧ ميلي أمبير للتيار المستمر و٦ر٠ - ٥ر١ ميلي أمبير للتيار المتناوب بتردد ٥٠ هرتز) نلاحظ أن أمان التيار المستمر أفضل من التيار المتناوب بـ ٤ - ٥ مرات. إلا أن ذلك صحيح فقط من أجل الجهود الأقل من ٢٥٠ - ٣٠٠ فولت. أما عند الجهود الأعلى من ذلك فإن خطر التيار المستمر يزداد. بزيادة تردد التيار المتناوب تنقص ممانعة جسم الإنسان (ZP) مما يؤدي الى زيادة التيار المار في الإنسان (انظر المعادلة رقم ١).

ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن زيادة تردد التيار تؤدي الى زيادة خطر إصابة الإنسان بالتيار الكهربائي. ولكن الواقع يبين أن هذه الحقيقة صحيحة فقط في مجال الترددات الواقعة بين الصفر وحتى ٥٠ أو ٦٠ هرتز. ويرافق زيادة التردد بعد ذلك بغض النظر عن زيادة التيار المار في الجسم، تناقص خطر الإصابة التي تختفي نهائيا عند التردد ٤٥٠ - ٥٠٠ كيلو هرتز. في الحقيقة تحافظ هذه التيارات على خطر توليد الصروق تماماً كما في حالة نشوء القوس الكهربائي، وكذلك كما في حالة مرورها مباشرة خلال الإنسان. وعمليا أكثر ما يلاحظ انخفاض خطر الإصابة بالتيار مع زيادة التردد عند الترددات الواقعة بين ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ هرتز.

الخصائص الإفرادية للإنسان :

لقد تبين أن الإنسان الصحيح والسليم يتحمل الصدمات الكهربائية بسهولة أكبر من الإنسان الضعيف والمريض. ويتميز بعض الأشخاص بقابلية زائدة للإصابة بالتيار الكهربائي وهم الأشخاص الذين يعانون من بعض الأمراض الأوعية الدموية والرئتين والأمراض العصبية. لذلك تنص قواعد الأمان على وجوب اختبارات العاملين في مؤسسات الكهرباء بموجب اختبارات طبية معينة كما يجب إعادة فحصهم طبيا بشكل دوري (مرة كل سنتين) وذلك للتأكد من خلوهم من الأمراض التي تعيق عملهم في استثمار المنشآت الكهربائية. لقد تبين أيضا أن الإصابة بالتيار الكهربائي تعتمد على الحالة الفيزيائية والنفسية للإنسان. فإذا كان جائعاً أو تعباناً أو سكراناً أو مريضاً فإن احتمال إصابته بصدمة قوية يزداد ويلاحظ أن النساء والمراهقين والرجال ذوي الصحة العليلة يتحملون تيارات أقل بكثير (حوالي ٦ ميلي أمبير) من الرجال الأصحاء (١٢ - ١٥ ميلي أمبير).

قواعد الأمان لإجراء الأعمال على المنشآت الكهربائية:

١ - تفصيل المنشأة بجميع أقطابها.

جميع النواقل الخارجية الحاملة للتوتر، ليست خطوط الحماية.

٢ - تؤمن المنشأة ضد إعادة التشغيل!

إقفال مقبض الفصل إذا اقتضى الأمر ذلك.

إن أقفال هذه المقابض بشرط يعمل به في قواطع خط القيادة في الروافع (الونش) المتحركة.

٣ - تفحص طلاقة التوتر قبل البدء بالأعمال.

فاحص التوتر ذو المصباح المتوهج مقياس الفولت.

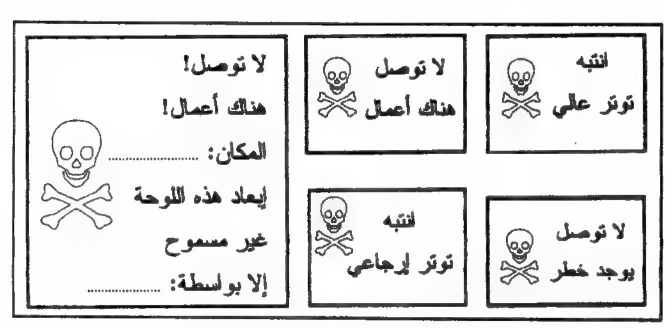
لا يستعمل مصباح التجربة أو الإصبع!

٤ ـ تؤرض النواقل وتربط على القصر!

مع مركبة من التأريض والربط على القصر منتظم.

لا تستعمل سلسلة الربط على القصر أو سلك معكوف!

٥ ـ تغطى الاجزاء المجاورة والحاملة للتوتر، إذا لم يكن بالإمكان الفصل يقام بعملية التغطية باعتناء وبشكل متين.



بعض نماذج اللوحات المستخدمة في التحذير والصيانة

الخاتمة:

من الواضح أن الكهرباء عنصر خطير إن لم يرافق استعماله أقصى درجات الحرص والحذر. ولا يجوز بأي حال من الأحوال التساهل بشروط الأمان الكهربائي خصوصاً في الأماكن الرطبة، لا سيما أنه أصبح الآن متوفراً المواصفات الفنية المطلوبة لأجهزة الحماية في الأسواق. يعتبر موضوع آلية تأثير التيار الكهربائي في جسم الإنسان أساساً لعلم الفيزيولوجيا الكهربائية كما أنه يشكل حجر الأساس لدراسة حماية الشبكات الكهربائية من دارات القصر، وحساب عناصر القطع والوصل والتأريض وغيرها واستخدامها فعليا ضمن الشروط المدروسة للغرض نفسه وضمن المجال الواقع في حد الأمان ولكي يكون عملنا قد حقق الغاية المطلوبة. ولسنا هنا بمعرض إيراد تعليمات الأمان إلا أنه ينصح بشكل عام بعدم ترك أية فرصة لحدوث التماس مع الأجزاء الحاملة للتيار مهما كان الجهد الذي يغذيها كما أنه يمنع منعاً باتاً الاقتراب من الأجزاء الحاملة للتيار في المنشآت ذات الجهود العالية. بالإضافة الى ذلك يحظر على العاملين في المنشآت التي تعمل بالجهد الكهربائي الأقل أو الأكثر من ١٠٠٠ فولت إمساك الهياكل المعدنية للآلات أو أبراج خطوط النقل إذا لم يكن هناك داع لذلك إذ قد تكون تحت الجهد.

ونود في الختام أن نشير الى أهمية القيام بمراقبة صارمة على كافة المنشآت الصناعية الصغيرة منها والكبير للتأكد من تقيدها التام بقواعد الأمان الكهربائي.



٥٢٨ - (بيت لأبي تمام) :

أبو تمام الطائي شاعر مؤرخ معا، وسأفصل ذلك في حديث تال إن شاء الله، فقد حفل شعره بإشارات كثيرة لوقائع التاريخ العربي، وبأسماء مختلفة لأفذاذ كرام من أعلام الأمة العربية، وأساطين التراث الإسلامي، بل إن بيتاً واحدا من أبياته الكريمة قد ضم أربعة من هؤلاء الأفذاذ وهو قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء إياس

والبيت من قصيدة عامرة مطلعها:

مـــا في وقـــوفك ســـاعـــة من باس
نقـــضي زمـــام الأربع الأدراس
فلعل عـــينك أن تعين بمائهـــا
والدمع منه خـــاذل ومـــواسي

ومن أجمل أبياتها قوله في شأن الحبيبة:

وإذا مـــشت تركت بصـــدرك ضعف مـــا
بحُلِيِّـــهـــا من كـــثـــرة الوســـواس
قـــالتْ وقـــد حُمَّ الفـــراق فكأنه
قـــد خـــولط الساقي بهـــا والحاسي
لا تنْسينْ تلك العـــهـــود فـــإنما
ســـمـــيت إنســـانا لأنك ناسي



ويجمل أن نشير الى الأعلام الأربعة الذين تحدث عنهم الشاعر الكبير في البيت الأول.

٥٢٩ - (إقدام عمرو) :

أما عمرو في هذا البيت فقد كنت أحسب أنه عمرو بن العاص فاتح البلاد، ورجل الكياسة والدهاء ولكني وجدت الخطيب التبريزي يقول في شرحه إنه عمرو بن معدى كرب الزبيدي، ونقل ذلك غيره عنه، فمن هو عمرو هذا؟

إنه الفارس الخطير صاحب الغارات الشهير ويكنى أبا ثور. وله وقائع كثيرة في الجاهلية والإسلام فقد اسلم على يد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وجاهد أعظم المجاهدة في حروب المسلمين، وقد قال الأستاذ محمود مصطفى في هامش كتاب «هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام» إن عمرا هذا هو الذي ضرب الفيل في حرب القادسية بالسيف، فولى الفيل مذعورا بعد أن أرهب المسلمين، وانهزمت الأعاجم ابتداء من هذه الضربة المفزعة، والمشهور أن أول من ضرب الفيل بالسيف في لقاء الفرس هو البطل الخالد المثنى بن حارثة الشيباني، وفيه يقول الفرزدق مفتخرا:

ومنّا المثنّى ضارب الفيل سيفُه
ببابل، إذ في فارس حكم ببابل

فلعل المثنى بدأ بالضرب في بابل، وتلاه عمرو فضرب الفيل في القادسية، وكلا الرجلين بطل مغوار، وقد وقعت بين عمرو بن معدى كرب وعمر بن الخطاب رضي الله عنه مناقشات تناقلتها كتب الأدب، منها، أن الفاروق سأله بعد أن أبلى بلاء حسنا يوم القادسية، ما تقول في الحرب؟ فقال على البديهة: مرة المذاق، إذا كشفت عن ساق، فمن صبر عرف ، ومن ضعف تلف، قال عمر: فما تقول في الرمح؟ قال: خليل وربما خانك، قال: فما تقول في النبال؟ قال هي المنايا تخطىء وتصيب! قال فما تقول في السيف؟ قال: عبدُك تأمره فيطيع.

ويظهر أن الفاروق كان يسأل عن أشد السلاح قوة، فوجد عمراً جدير بالجواب، لخوضه الأهوال، وهكذا يظهر عمر حرصه الدائب على تحقيق قول الله {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة!}.

وكان لعمرو سيف يسمى الصمصامه، وصف للفاروق فأحب أن يراه، فبعث يطلبه، فنظر فيه عمر طويلا، ولم ير فيه اكثر مما في سواه من السيوف، فقال لعمرو إنه كبقية ما نرى؟ فضحك عمرو وقال يا أمير المؤمنين لقد نظرت الى السيف، ولم تنظر الى اليد التي تضرب به. فقال عمر: هو ذاك.

- ومن شعره:

أمن ريحانة الداعي السميع
يؤرقني وأصحابي هجوعُ
أشاب الرأس أيام طوال
وهمٌّ ما تقرّ به الضلوع
وسوق كتيبة دلفت لأخرى
كأن نهارها رأس صليع

٥٣٠ - (سماحة حاتم) :

ومن لا يعرف حاتما؟ وقد سار ذكره في الآفاق مشرقاً ومغربا، وقد ورث الكرم عن أمه، «عُتبة بنت عبد الله» إذ كانت من أندى الناس يدا، وقد ضيق عليها إخوتها حين رأوها لا تُبقي شيئا مما بيدها حين يأتيها السائل، فلما بكت: رحموها، وأعطوها إبلا كثيرة، فجاءت امرأة من هوازن فسألتها، فأعطتها جميع ما بيدها، فتعجب إخوتها، وقالوا:

كيف؟ وقد كان يُغني السائلة جملٌ أو جملان؟ فقالت ذقت الحرمان حين ضيقتم عليّ من قبل، فعزمت على ألا أدخر شيئا إذا جاءني السائل، وكانت تفرح حين تجد حاتما وهو غلامٌ صغير يخرج طعامه من الخيمة، وينتظر حتى يجد من يمر ليشاركه الطعام، فإذا لم يجد أحداً ذهب الى أقصى الطريق يتفقد الناس ليجد من يشاركه! وقد تزوج (ماويّة) وهي سيدة من أشرف بيوتات العرب، فلما رأتْ ما هو عليه من السرف، فارقته وأقامت في مكان آخر، فأتاها ضيفٌ عليهم مذلة الجوع وليس عندها شيء، فأرسلت الى حاتم، ففرح واستبشر، وأتى بناقتين فذبحهما، فأكل الضيفان وشبعوا، فقالت ماوية: هذا الذي تركتك من أجله، وستترك ولدك ولا مال لهم، فطمأنها مخبراً أن الكريم لا يضام، وأنه جرّب ذلك كثيرا، وقد اشتد الزمن على الناس، ولكنه ما وقع في ضيق. وحُكي عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال: يا سبحان الله، ما أزهد الناس في الخير، عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة، فلا ترى نفسه للخير أهلا، فلو كنا لا نرجو جنة، ولا نخاف نارا، ولا ننتظر ثوابا، ولا نخشى عقاباً، لوجب علينا أن نطلب مكارم الأخلاق، فقام إليه رجل، وقال: يا أمير المؤمنين أسمعت هذا من رسول الله؟ قال نعم: وما هو خير منه، لقد أتتنا سبايا طيء، وفيهن جارية حسناء، تقدمت الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت ألا تخلي عني، فلا تشمتْ بي أحياء العرب، فإنّي بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع ويفرّج المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يردّ طالب حاجة قط، أنا بنْت حاتم طيء. فقال لها النبي {صلى الله عليه وسلم} يا جارية هذه صفات المؤمن، خلوا عنها فإنّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق.

٥٢١- (حلم أحنف) :

هو أبو بحر الضحاك بن قيس، وكان من كبار السادة في تميم منذ نشأ، إذ كان يتصدر الكهول ويبدى الرأى فيجد الموافقة عليه، وكان قصيراً ليس ذا منظر حسن، وقد جلس ذات صباح على النهر بالكوفة وعليه ثوب مُخرّق، وبيده كسرة خبز يأكلها، مع كوز فيه بعض الماء، فمرٌ عليه شخص غريب، فناداه ليأكل معه، ونظر الرجل الى ما يأكل الأحنف، فكأنه استخف به، وأخذ يتأمل هذا الذى يدعو الى الطعام وليس أمامه غير كسرة خبز وكوز من الماء، وأثناء ذلك جاء إليه ملأ يتنازعون في مسألة قتيل، ليحكم بينهم، فحكم بالدية، فقال أهل الجاني: ليس لدينا ما ندفع، فقال الأحنف: أنا أدفع! كم تطلبون فقالوا: مائتا بعير، فقال هى لكم فخذوها من مكان كذا، فدهش الغريب وأخذ يسأل من هذا الذى يدفع مائتى بعير، ولا يأكل غير كسرة الخبز؟ فقيل له: ويلك، ألا تعرف سيد بني تميم الأحنف بن قيس فتقدم إليه معتذرا، وهو يقول يا سيدى لكأنك المعنى بقول ليلى الأخيلية:

ومخرّقٌ عنه القميص تخاله
بين البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رُفع اللواء رأيته
تحت اللواء على الخميس زعيما

علم برسالة سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} وسأل عنه من أتى من قومه بعد زيارة المدينة ومقابلة



الرسول، فسمع ما أعجبه، وقال لقومه: إنه يدعوكم الى مكارم الأخلاق فاتبعوه، فأسلموا، وأسلم معهم الأحنف، ولكنه لم يأت الى المدينة إلا في خلافة عمر رضى الله عنه، وشهد حروب الفتح الاسلامى بالعراق وفارس وكان قائدا أحرز انتصارات شهيرة، ثم شهد مع على رضي الله عنه، وقعة صفين، وأبلي بها بلاء عظيما، وحين وفد على رأس تميم الى معاوية بعد أن استتبَّ له الأمر. قال معاوية: والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا وجدت عليك حزازة تحمى قلبي، فقال له الأحنف، والله يا معاوية إن القلوب التى أبغضناك بها لا تزال في صدورنا، وان السيوف التى قاتلناك بها لا تزال معنا، وان تدنُ منا، ندن منك، وان تبتعد تباعدنا، وخرج دون أن يلتفت إليه، وكانت أخت معاوية تسمع الحديث من وراء حجاب، فقالت لمعاوية: من هذا الذى يتهددك ويتوعدك، فقال لها: اسكتي: هذا سيد بنى تميم، إذا غضب، غضب معه مائة ألف من تميم لا يسألونه فيم غضب! ولما أراد معاوية مبايعة يزيد، وكان الأحنف في بعض مجالسه سأله ماذا ترى يا أبا بحر؟ فقال يا معاوية أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت، فقال له معاوية: جزاك الله خيرا، ونقل الحديث الى موضع آخر.

٥٣٢ - (إياس بن معاوية) :

كان أحد الأذكياء في عصره، ورأساً من رءوس الفصاحة والبيان، ويُحكى عن فطنته أمور عجيبة يضيق المقام عن ذكرها جميعها، منها، أنه نظر الى آجُرّة، فقال لأصحابه إن تحتها حيوانا يتنفس، فأزاحوها فوجدوا حية تتلوى على نفسها، فتعجبوا وقالوا كيف عرفت؟ قال: إن الآجُرّ حولها جامد، ولكنها وحدها تحملُ رطبة يسيرة خفيفة لا تُرى إلا بتأمل نظر، فعرفت أن تحتها حيوانا يتنفس، وقد أراد أن يتحلل من القضاء حين أشار عليه به عمر بن عبد العزيز فلم ينفع احتياله، لأن رغبة عمر في توليته القضاء كانت شديدة، وله في ذلك أعاجيب تروى، ولكنه كان مع شدة اعتزازه بنفسه يرجع الى الحق متى ظهر له وجهه الصحيح وإن خالف قوله؛ وهذا من سمات الرجولة المعتزة بنفسها، لأن من الاعتزاز بالنفس أن تعرف لغيرك موضعه، وترى له ما ترى لنفسك من التوقير إذا صادف الصواب، ويروى أنه قال: ما غلبنى أحد قط في مجلس القضاء سوى رجل واحد، وذلك أنى كنت أحكم في قضية بالبصرة تتصل بنزاع على بستان ادعاه رجلان متنابذان، فدخل على رجلٌ فقال هذا البستان لفلان، وأشار الى أحد المتخاصمين، فقلت كم عدد شجره؟ فسكت، فقلت له لماذا لا تجيب وأنت تعرف البستان؟ فقال الرجل؟ منذ كم سنة يجلس القاضى هذا المجلس ؟! قلت منذ كذا؟ فقال: هل تعرف عدد الخشب في سقفه وقد جلست فيه ما جلست؟ فتحيرت في سؤاله إذ لم يقع في خاطرى أن أعد خشب السقف، ثم قلت: معك الحق، وأجزت شهادته، ودعوته أن يكون عونا لي فى بعض ما أزاول من الأحكام فامتنع، وقال ورائى ما يشغلني!.

وجاء إليه يهودى في غير مجلس القضاء فقال: كيف يزعم المسلمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يُحْدثُون فقال إياس: أكلّ ما تاكله أنت تحدثه، قال لا، بل يجعل الله بعضه غذاء، قال إياس فلم تُنكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة بقدر الغذاء الذى يقيم أجسامهم، فقال اليهودى: إنك لا تُطاق.

مسك الختام

حُسنُ الأدب في مك

الرسول العظيم سيدي محمد {صلى الله عليه وسلم} كان مؤدباً ومتأدباً في مكة المكرمة وهو محاصر هو وأصحابه رضوان الله عليهم لا يصلهم الطعام ولا الماء ولا الكساء. وصمدوا بتأدب عظيم وبإرادة قاهرة كسرت ذلك التحدي المجنون.

إن حسن الأدب في مكة المكرمة (مطلب ديني).. وعلم له ثقافته العميقة.. لاحظت وربما غيري لاحظ ذلك وأكثر مني، أن البعض - هداهم الله - اليوم يتطاولون على مكة المكرمة بجهل كبير، وغطرسة عمياء. ويغفل ذلك (الأعمى بصيرة).. أنه ستأكله.. (نار الحماقة).. وسيحرقه .. (جمر الندم).. حين يفعل ذلك الفعل كما قال المفكر المصري توفيق الحكيم: «لا يطفىء مصباح العقل غير عواطف النفس». ذلك البعض يتطاول على مكة المكرمة وأهلها بأسلوب فيه كل الجهل والغباء، ولأمور غير مقبولة وغير واقعية وذلك بتفسير تآمري غريب، ونسي أولئك النفر حكمة أحد المفكرين حين قال: «لكي تفهم شعباً يجب أن تعرفَ قيمة المكان الذى يعيش فيه». إن القدوس السلام المؤمن اختار مكة المكرمة لتكون منطلقاً لرسالته، ودعوته، إنما هو العالم المطلع على بواطن الأمور، إنه الأعلم حيث خصص موقع رسالته فهو من حدد: الزمان والمكان والإنسان ولسانه ولغته ولهجته. أليست هذه الحقائق من أدلة عبقرية مكة المكرمة.

أريد أن أقول إن سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان المؤهل الوحيد والأكثر من سواه لحمل أعباء الرسالة السماوية بشهادة الخالق حين قال لسيدي وحبيبي محمد {صلى الله عليه وسلم} {وإنك لعلى خلق عظيم}.

وإن معرفة أهل مكة المكرمة بالإسلام العظيم جعلتهم أقدر على فهم (التأدب) في مكة المكرمة، يضاف لذلك ما يمتلكه العقل المكي من مرونة وذكاء وقدرة على الإبداع والتطوير والتجديد. لا يمكن لحاقد أن يركل التاريخ المكي، أو يقذف به للخلف مهما بلغت حدة حقده عليه. أريد أن أقول لمن يأتي الى مكة المكرمة عليه أن يتسم بالصفات التالية: (التحلي - التجلي - التخلي).

إن القصص الرائعة التى تذكر في حسن الأدب في مكة المشرفة كثيرة منها ما سمعته

ـة المكرمـة

بقلم : **زهير محمد جميل كتبي**

– السعودية –

شخصياً من سيدي الوالد الشيخ عبد الله بن سعيد ـ رحمه الله ـ وهو أحد رجالات الشيخ المعلم محمد بن عوض بن لادن، قال لي: أن الشيخ محمد بن لادن ـ رحمه الله ـ كان يفرض على كل العمال بمختلف فئاتهم والذين يعملون في بناء وتشييد المسجد الحرام ان يتوضؤوا قبل الشروع في العمل، وذلك تأدباً واحتراماً وتقديراً للحرم ومكة المكرمة.

إنه ينبغي علينا جميعاً ألا تغيب عنا خصوصية هذه الأرض المقدسة والمحروسة وخاصة حسن الأدب في مكة المكرمة وأهلها المباركين.. ألم يقل عنها سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} وهو واقف على الحزورة، واستقبل الكعبة: «والله إني لأعلم أنك أحب بلاد الله إليَّ، وإنك أحب أرض الله الى الله ـ عز وجل ـ وأنك خير بقعة على وجه الأرض، وأحبها الى الله ـ تعالى ـ ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» ألا يعلم من لا يحسن التأدب في مكة المكرمة أنه ما على وجه الأرض بلدة وفد إليها جميع النبيين والملائكة والمرسلين أجمعين، وصالح عباد الله من أهل السماوات والأرض والجن إلا مكة. وأنه ما على وجه الأرض بقعة ينزلها كل يوم من عند الله تعالى عشرون ومائة رحمه، إلا مكة. وأنه ما على وجه الأرض بلدة أبواب الجنة كلها مفتوحة اليها إلا مكة. وما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعاً إلا مكة.

وذكر الإمام الورع الزاهد الحسن البصري في ختام رسالته الشهيرة قوله: «ألا إن أهل مكة هم أهل الله ـ تعالى ـ وجيران بيته، وما على وجه الأرض بلدة فيها شراب الأبرار، ومصلى الأخيار إلا مكة».

ولعل من المفيد في هذا الموقع أن أُذكر من يشتم أو ينال من مكة المكرمة وأهلها بما قاله سيدنا أبو ذر الغفاري الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه ـ حين شتمه رجل قال لشاتمه: «لا تغرق في شتمنا، دع للصلح موضعاً، فإنا لا نكافيء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه».

يجب ثم يجب ثم ينبغي أن نحسن الأدب والتأدب في مكة المكرمة ومع أهلها الفضلاء الذين هم ثمرة من الثمرات التى تجبى إلى مكة المكرمة.

كل عام
وأنتم بخير

الكشاف
السنوي

لموضوعات
مجلة
المنهل للعام
١٤٢٣هـ
٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م
المجلد ٦٤
العام ٦٨

الموضوع	الكاتب	١٤٢٣هـ-٢٠٠٢/٢٠٠٣م	العدد	ص/ص
★★ أدب عـام				
أحمد شوقي .. أمير الشعراء	د. طاهر تونسي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٦٦ ـ ٧١
أدباء وأديبات من الخليج العربي (٩) (قماشة السيف)	عبد الله بن احمد الشباط	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٠٨ ـ ١٠٩
أدباء وأديبات من الخليج العربي (١٠) (منيرة الفاضل)	عبد الله بن أحمد الشباط	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٦٠ ـ ٦١
أدباء وأديبات من الخليج العربي (١١) (عبد القادر عقيل)	عبد الله بن أحمد الشباط	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٥٠ ـ ٥٣
أدباء وأديبات من الخليج العربي (١٢) (سعدية صابر مفرح)	عبد الله بن أحمد الشباط	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٨٢ ـ ٨٤
أدباء وأديبات من الخليج العربي (١٣) (منتهى القريش)	عبد الله بن أحمد الشباط	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	١٢٠ ـ ١٢٢
أضواء على الحركة المسرحية في السودان	مصطفى عوض الله بشارة	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٥٨ ـ ٥٩
حاجتنا الى أدب الطفل	د. محمد عبد الحكم عبد الباقي	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	٤٤ ـ ٤٧
المرأة العربية بين الأنوثة والإبداع	سميحة الصعبي	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٤٠ ـ ١٤٣
★ خواطر ادبية				
أحماض أدبية (١٨) (أنغام الميكرفون في عرس ابن خلدون)	د. أحمد عطية السعودي	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٩	٩٠ ـ ٩٥
أحماض أدبية (١٩) (إتحاف الأدباء بضوء الكهرباء)	د. أحمد عطية السعودي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٦٢ ـ ٦٥
أحماض أدبية (٢٠) (تسليط السنا على مزالق السينما)	د. أحمد عطية السعودي	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	١٤٦ ـ ١٤٩
أحماض أدبية (٢١) (أنجع العلاج في كسب الأزواج)	د. أحمد عطية السعودي	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٢٠ ـ ١٢٥
أحماض أدبية (٢٢) (تصويب السلوك في عمل البنوك)	د. أحمد عطية السعودي	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	١٣٠ ـ ١٣٣
تضحية	عبد الله ناصر بن ثنيان	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١١٤ ـ ١١٥
خواطر مسافر	مسافر بن راحل المهاجر	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	١١٧ ـ ١١٩
شذرات الذهب (٦٩) (تكبّر ذليل)	د. أبو حسام	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٥٦ ـ ١٥٩
شذرات الذهب (٧٠) (رحالة يصف الخطباء)	د. أبو حسام	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٥٤ ـ ١٥٧
شذرات الذهب (٧١) (ابن بطوطة ومشاهد الكرم)	د. أبو حسام	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	١٥٤ ـ ١٥٧
شذرات الذهب (٧٢) (طرائف من حياة كاتب كبير)	د. أبو حسام	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٥٢ ـ ١٥٥
شذرات الذهب (٧٣) (أربعة رجال)	د. أبو حسام	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	١٦٠ ـ ١٦٣
★ دراسات أدبية ونقدية				
رمزية جولدنج في رواية سيد الذباب	جودت أحمد الحمد	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١١٠ ـ ١١٧
المتنبي .. وعمق المكان	صالح زامل حسين	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٤٤ ـ ٤٩
★ شعر				
ابتدائي بها .. وبعدي انتهاء	جميل محمود عبد الرحمن	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٢٦
أبطال الحجارة	محمد آدم المرزوقي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٥
أحد .. سلام وتحية	محمد بن حمود الرحيلي	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	٤٨ ـ ٤٩
ارهاصات مسافر	دفع الله يوسف أبو عاقلة	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١١٣
اسراب البياض	محمد ابراهيم يعقوب	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	١١٦
أنا القدس .. فإلى أين؟	د. بهاء بن حسين عزي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٥ ـ ١١

الموضـــــــوع	الكاتـــــب	١٤٢٣هـ-٢٠٠٢/٢٠٠٣م	العدد	ص / ص
ترنيمة على وتر الشهادة	ابراهيم الصبعي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٦ ـ ١٩
التصحـر	الشريف عبد الله بن صالح	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	١١٥
جِدُّ السواعد	د. بهاء بن حسين عزي	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٤٨ ـ ٤٩
خَـبٌ	محمد صالح الصغير	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١١٩
دعوة الى الحب	د. نور الدين صمود	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	١٢٤
رثاء فقيد الاسلام الشيخ عبد العزيز بن باز	تقي الدين الشيخ ابراهيم احمد	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	١١٣
سداسية القهر والموت	غازي محمد فيصل الخطاب	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٢ ـ ١٤
سر دموع الأنثى	حسناء محمد داوود	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٣٦ ـ ١٣٧
شاهد على غدر اليهود	د. جمال محمد مرسي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٢٠ ـ ٢٢
شعري عصارة أضلعي	صالح بن عبد الكريم العبودي	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٠٨
الطريق الى زهرة المدائن	محمد منذر لطفي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٢٦ ـ ٢٩
عيون الشعر	د. عبد الله الفيفي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٢٠ ـ ١٢١
لمن العزاء	مروان علي المزيني	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	١٢٣
من سلافة الروح	مصطفى عوض الله بشارة	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٣٢
مهرة الشمس	د. عبد الله الفيفي	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	٨٢ ـ ٨٣
مـن أنا ؟!	بنت أبو هلال	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٣٧
نبضـــات	دراجي اسليم	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١١٦ ـ ١١٧
الوصيـــة	يوسف أبو عواد	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٢٣ ـ ٢٥
يا من تعلق بالهوى	مفيد نبزو	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١١٨
★ المسرح والقصة				
سقوط الأندلس	سعود بن حامد الصاعدي	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٠٢ ـ ١٠٧
القلم ذو اللون الأسود	سمر المزغني	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٤٠ ـ ١٤١
المأساة بين محمد الدرة ووالده	حفيظ الدوسري	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٣٠ ـ ٣٣
متسول	عز الدين سليمان سليمان	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٠٩
★★ الأسرة والمجتمع :				
الأم.. رمز الخصوبة والعطاء	وفاء عمر حصرمة	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٣٤ ـ ١٣٥
المرأة بين الابداع والدائرة	نوال مهني	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٣٨ ـ ١٣٩
مواجهاتي معهم «مائة عام على تحرير المرأة العربية»	سهيلة زين العابدين حماد	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	١٢٦ ـ ١٤٣
★★ اسلاميات عام :				
الاسلام دين التسامح	عبد الله بن ناصر الحديب	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	١٤ ـ ٢١
الإعجاز في القراءات	ابتهال محمد على البار	رجب وشعبان/ اكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٢٨ ـ ١٣١

الموضـــــوع	الكاتـــب	١٤٢٣هـ-٢٠٠٢/٢٠٠٣م	العدد	ص / ص
الأعياد في الأديان السماوية	عزيزة يوسف	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	١٣٦ ـ ١٣٩
التوكل	عبد العزيز بن سعد الدغيثر	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	١١٠ ـ ١١٢
خصائص أسلوب القرآن الكريم	عمر ادريس الرماش	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٠٢ ـ ١٠٥
ذكر الله مفتاح باب الارتقاء الانساني	د. جمال نصار حسين	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٤ ـ ١٣
الرؤى وتفسير الاحلام	علي بن عبد العزيز الشبل	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٢٢ ـ ٢٣
★ الحديث والسنة والسيرة				
دروس عسكرية من الهجرة النبوية	أحمد عودة محمود	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٢٤ ـ ٢٧
القصص النبوي (٧٢) قصة نوح ـ عليه السلام (٢)	د. عبد الباسط احمد حمودة	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٢٨ ـ ٣١
القصص النبوي (٧٣) قصة نوح – عليه السلام (٣)	د. عبد الباسط احمد حمودة	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٤٢ ـ ٤٩
القصص النبوي (٧٤) قصة نوح – عليه السلام (٤)	د. عبد الباسط أحمد حمودة	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	١٢ ـ ١٧
القصص النبوي (٧٥) قصة نوح – عليه السلام (٥)	د. عبد الباسط أحمد حمودة	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٢ ـ ١٩
في القصص النبوي (٧٦) قصة نوح – عليه السلام (٦)	د. عبد الباسط حمودة	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٢٤ ـ ٢٩
من فيوضات الهجرة النبوية	عمر حافظ سليم	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٤ ـ ١٧
المهاجرون.. رجال صدقوا	عاطف شحاته زهران	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٨ ـ ٢٣
★ دراسات اسلامية :				
أزمة الاجتهاد الفقهي ومحاولات الاصلاح في المغرب خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين	د. محمد الصمدي	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	١٨ ـ ٢٣
الإسلام والفنون الجميلة (٣)	د. محمد عمارة	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٦٤ ـ ٦٧
الإسلام والفنون الجميلة (٤)	د. محمد عمارة	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٥٠ ـ ٥٧
الإسلام والفنون الجميلة (٥)	د. محمد عمارة	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٢٤ ـ ٢٩
الإسلام والفنون الجميلة (٦)	د. محمد عمارة	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٣٤ ـ ٣٩
الإسلام والفنون الجميلة (٧)	د. محمد عمارة	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٦٠ ـ ٦٧
الخوف وأبعاده النفسية في القرآن الكريم	د. محيي الدين لبنية	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٣٦ ـ ٣٩
قراءة في (قراءات جدلية للنص القرآني)	سعيد شبار	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٣٤ ـ ٤١
قصة صاحب الجنتين	د. مصطفى رجب	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٢٠ ـ ٣١
★★ أما بعـــد :				
أما بعد (المنطق المعوج)	السماني كمال الدين	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٢
أما بعد (المرأة الصادقة)	زهير الأنصاري	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٢
أما بعد (الراحلون .. الباقون)	نبيه الأنصاري	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٢
أما بعد (رجب الخير)	المحـــرر	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٢
أما بعد (الحج فيوضات لدنية)	المحـــرر	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٢

الموضوع	الكاتب	١٤٢٣هـ-٢٠٠٢/٢٠٠٣م	العدد	ص/ص
★★ الأماكن والبلدان :				
بلجيكا .. مملكة دفعت ثمن موقعها	د. م شريف مفلح	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٧٨ - ٨١
الرباط.. من المدينة العتيقة الى العاصمة الحديثة	احمد المكينسي	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٧٤ - ٧٧
سور الصين العظيم .. أثر يحفظ تاريخ أمة	خالد خلف زيدان	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٥٢ - ٥٩
القدس الشريف بين الماضي والحاضر	د. أحمد شلبي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٧٤ - ٨١
القيروان عاصمة الأغالبة	أوس داوود يعقوب	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٨٢ - ٨٧
كوستاريكا	الحسان الرزاقي	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٧٤ - ٧٧
ليشتنشتاين .. الإمارة المنسية	الحسان الرزاقي	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٦٠ - ٦٣
ما بين لندن وليدز وأدنبرة	عبد الله بن حمد الحقيل	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٥٦ - ٦٣
مطروح .. مرسى الهدوء	محمد السنباطي	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٦٤ - ٧٣
★★ البيئة والمجتمع :				
أرامكو السعودية والبيئة	د. عبد الرشيد عبد التواب نواب	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٢٤٤ - ٢٥٥
استخدام البلاستيك في تعبئة الاغذية ما له وما عليه	د. عبد المنعم سيد عرفة - د.السر عبد القادر الخاتم	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٥٤ - ١٦١
اسهامات علم النفس البيئي في حل مشاكل البيئة	د. عبد الرحمن محمد العيسوي	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٦٠ - ٦٧
الانسان والبيئة علاقة صراع أم حوار؟	د. أحمد أبو زيد	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٣٤ - ٣٩
الانسان والبيئة من منظور اسلامي	م. بدوي محمود الشيخ	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٢٢ - ٣٣
الاهتمام بالانسان والبيئة في عهد خادم الحرمين الشريفين	د. عطا الله أحمد أبو حسن	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٧٠ - ٧٥
البوزولان (أجري بور) صديق البيئة	د. صالح حسين بياري	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٩٤ - ١٩٥
البيئة والتنمية المستدامة	د. عبد العزيز بن احمد العيسى	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٤٠ - ٤٣
التربية البيئية وعلاقتها بالتنمية	د. حسن متولي	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٥٢ - ٥٩
تسخير التقنية الحيوية لخدمة البيئة	د. مجدي يوسف شامي	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٩٤ - ٩٧
التصحر ومقاومته في الوطن العربي	د. محيي بن محمد زكرى	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٦٨ - ١٧٧
التقنية البيئية الحل لمشاكل التلوث	رؤوف وصفي	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٩٨ - ١٠٤
تقييم الاثار البيئية في البيئة البحرية	خالد عبد العال موسى	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٩٦ - ٢٠٣
التلوث الغذائي - اسبابه - مصادره - اخطاره	د. عبد المنعم سيد عرفه	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٤٦ - ١٥٣
حالة البيئة واسباب التدهور مع رؤية للبيئة الصحراوية في المملكة	د. سعود بن ليلى الرويلي	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٦٢ - ١٦٧
الحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث في المنظور الاسلامي	د. أحمد فراج حسين	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٨ - ١٣
حوار صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل للمنهل	زهير الأنصاري	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٨٢ - ٨٥
خيار البحر بين التصدير والتدمير	د. سليمان حامد عبد الرحمن	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٢١٨ - ٢٢٣
السياحة البيئية	د. علي بن عيسى الشعبي	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٦٨ - ٦٩
علاقات بحرية	رجب سعد السيد	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٢٠٤ - ٢٠٩
عمليات التشجير في المناطق الجافة وشبه الجافة وعلاقتها بالتلوث	د. عطا الله احمد أبو حسن - د. سمير فؤاد علي توفيق	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٧٨ - ١٨٥
العولمة والبيئة	د. عادل أبو زهرة	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ - يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٤٤ - ٤٧

الموضـــــــوع	الكاتـــــب	١٤٢٣هـ-٢٠٠٢/٢٠٠٣م	العدد	ص/ص
غذاء اكثر	د. شريف حسين قنديل	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٣٦ ـ ١٤٥
المبيدات والبيئة	د. على محمد على عبد الله	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٨٦ ـ ٩٣
مخاطر استخدام محفزات النمو في الانتاج الحيواني وأثرها على صحة الانسان	د. حنفي امبابي الصبحي	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٢٨ ـ ١٣٥
المخلفات الطبية	د. أسعد سراج أبو رزيزه	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٢٤ ـ ١٢٧
المد الاحمر ظاهرة بيئية مخربة	د. وجدي لبيب جرجس	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٢١٠ ـ ٢١٦
المكافحة الحيوية للافات الزراعية	د. محمد نبيل عبد الفتاح	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٠٦ ـ ١١٣
المكافحة الطبيعية للافات بطرق آمنة بيئيا لمنع التلوث	د. محمد بن على ربيع عبد الله	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١١٤ ـ ١١٥
من أخطار البيئة البحرية ـ قناديل البحر	د. محمد مجدي دويدار	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٢٢٤ ـ ٢٢٩
المؤلفات البيئية في تراثنا العلمي	م. لطف الله قاري	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٢٣٠ ـ ٢٤٣
نظرة الاسلام الراقية للبيئة	د. هشام بن عبد الله الجيلاني	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٤ ـ ٢١
نفايات المنشآت الصحية والمخاطر البيئية	د. احمد حسام الدين حسن	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١١٦ ـ ١٢٣
هذا الاصدار	رئيس التحرير	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٦ ـ ٧
الهوهوبا: الشجيرة الصحراوية الواعدة	د. حسين الجزولي عثمان. ود. عطا الله احمد أبو حسن	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	١٨٦ ـ ١٩٣
الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية	هيئة التحرير بالمجلة	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٧٦ ـ ٨١
وسائل الاعلام وزيادة المعرفة بالقضايا البيئية	راشد عبد العزيز الرشود	شوال وذو القعدة/ ديسمبر٢٠٠٢ ـ يناير ٢٠٠٣م	٥٨٣	٤٨ ـ ٥٠
★★ التراجم والشخصيات :				
أبو تراب الظاهري الى جوار ربه	التحريــــر	جمادى الأولى والاخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٥٤
أبو القاسم الشابي	د. نور الدين صمود	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٥٠ ـ ٥٥
حسين عرب في ذمة الله	التحريــــر	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٠٣
رحلة في الذاكرة (٥٩) الأستاذ/ محمد محمود حمدان	د. محمد رجب البيومي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٨٨ ـ ٩٣
رحلة في الذاكرة (٦٠) الأستاذ/ كامل كيلاني	د. محمد رجب البيومي	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٥٦ ـ ٦١
العقيلي.. في ذمة الله	التحريــــر	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٧٢
محمد هاشم رشيد.. الى جوار ربه	التحريــــر	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٥٤
★★ ثقافة عامة :				
الأنصاري ورؤيته النهضة والتنمية في المملكة	السماني كمال الدين	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٦٤ ـ ١٢٣
ايجاد الضمير عند الفرد والجماعة	سعيد ناصر المثيب	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	١١٤
البيان في ذكر الالفاظ الدالة على العين وما حولها	ابراهيم على أبو رمان	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١١٠ ـ ١١٢
التجهم والجفاء.. عند ابن تيمية وابن حزم.. عرض ونقض	أحمد بن مسفر العتيبي	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٤٠ ـ ٤٣
الثقافة الاجتماعية مفهومها، صلتها بالانسان وأهميتها	اسماء أحمد معيكل	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٣٢ ـ ١٣٩
حب الوطن	عبد الله على الأقزم	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٠٦ ـ ١٠٧
الحج في أدب الرحلات	عبد الله بن حمد الحقيل	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	٣٠ ـ ٤٣
ظاهرة الكتابة	د. احمد عبد الرحيم السايح	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٣م	٥٨٤	٥٠ ـ ٥٤
العقلانيــة	سهيل عروسي	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٠٤ ـ ١١٥

الموضـــــوع	الكاتـــب	١٤٢٣هـ-٢٠٠٢/٢٠٠٣م	العدد	ص / ص
الفلسفة في الجامعات العربية	د. حبيبة مطيوط	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	١٤٠ ـ ١٤٣
الكتاب ملك المعرفة المتوج	محمد علي الحريري	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٥٦ ـ ٥٩
محاولات قتل الموت في بنية الفكر العربي قبل القرآن الكريم في ضوء الشعر	د. كاظم حمد المحراث	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٨٦ ـ ٩٧
المرأة واللغة.. الحقيقة والوهم (١)	د. مصطفى عبد الواحد	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٤٠ ـ ٤٣
المرأة واللغة.. الحقيقة والوهم (٢)	د. مصطفى عبد الواحد	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٩٨ ـ ١٠١
المرأة واللغة.. الحقيقة والوهم (٣)	د. مصطفى عبد الواحد	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	١٠٦ ـ ١٠٩
مستقبل الثقافة الاسلامية في عصر العولمة	سهيلة زين العابدين حماد	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٢٠ ـ ١٣٧
المسلمون في برلين	لطيف الحبيب	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٤ ـ ١٣
المفردة العربية بين ضرورة الاستعمال وجمال الصياغة	شهاب احمد علي	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٩٤ ـ ١٠١
مفهوم الحياة في العقل العربي	د. علي القاسمي	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٤٠ ـ ٤٩
ملاحظات حول تبويب نتائج الدراسات والبحوث في جداول	د. سهير زكريا علي فودة	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٤٤ ـ ١٤٧
من أجل فلسطين	المنهـــل	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	٤
★★ حوارات :				
الأديبات ومستقبل «أدب المرأة»	يسرى حسان	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٣٨ ـ ١٤٣
في ميدان الكلمة مع الكاتب الروائي عبد الوهاب الأسواني	عقيل بن ناجي المسكين	الربيعان / مايو ويونية	٥٨٠	٩٤ ـ ١٠٢
★★ خواطر اجتماعية :				
أوراق زوجية	أبو عـــواد	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٤٨ ـ ١٤٩
أوراق زوجية	أم عمـــرو	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٤٨ ـ ١٤٩
أوراق زوجية	أبو عـــواد	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٤٢ ـ ١٤٥
أوراق زوجية	أم عمـــرو	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٤٢ ـ ١٤٥
أوراق زوجية	أبو عـــواد	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	١٤٤ ـ ١٤٥
أوراق زوجية	أم عمـــرو	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	١٤٤ ـ ١٤٥
أوراق زوجية	أبو عـــواد	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٤٤ ـ ١٤٥
أوراق زوجية	أم عمـــرو	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٤٤ ـ ١٤٥
★★ دراسات تاريخية :				
أمراء الحرم عبر التاريخ (٨)	السيد ضياء محمد عطار	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٣٢ ـ ٣٥
أمراء الحرم عبر التاريخ (٩)	السيد ضياء محمد عطار	الربيعان / مايو ويونية	٥٨٠	١١٦ ـ ١١٩
أمراء الحرم عبر التاريخ (١٠)	السيد ضياء محمد عطار	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٤٤ ـ ٤٧
أمراء الحرم عبر التاريخ (١١)	السيد ضياء محمد عطار	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٦٨ ـ ٧١
★★ الطب والعلوم والفلك :				
آلية تأثير التيار الكهربائي في جسم الانسان	مهندس كوركين داوود ملي	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	١٥٠ ـ ١٥٩
الأمطار الحمضية في العالم الصناعي وآثارها البيئية	عبد الحميد غزي بن حسن	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٤٦ ـ ١٥١
التجربة التكنولوجية في القرن العشرين (الأخيرة)	د. سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٥٠ ـ ١٥٥

الموضـــــــوع	الكاتــــب	١٤٢٣هـ-٢٠٠٢/٢٠٠٣م	العدد	ص/ص
الحبار مركز رصد معقد.. والكلامار صاروخ بألوان قوس قزح	رجاء ابراهيم	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	١٤٤ ـ ١٤٨
الشتاء النووي.. الخطر الماثل	د. علي أحمد غانم	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٤٦ ـ ١٥١
القرع.. غذاء ودواء	عبد العزيز بن صالح العسكر	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٥٢ ـ ١٥٣
★★ كتب ومكتبات :				
رحلة في المكتبة (١٩) كتب وشخصيات تأليف سيد قطب	د. محمد رجب البيومي	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٩٦ ـ ١٠١
رحلة في المكتبة (٢٠) حضارة الاسلام في دار السلام	د. محمد رجب البيومي	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٣٠ ـ ٣٥
رحلة في المكتبة (٢١) الاجتهاد في أحكام الشريعة	د. محمد رجب البيومي	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	١٢٤ ـ ١٢٩
مخطوط لمحة بصر على البلاد المقدسة للعلامة محمد بن عبد السلام الاندلسي	د. محمد قرقزان	د. محمد قرقزان	٥٨٢	٤ ـ ١١
مكتبة الاسكندرية (تحقيق مصور)	خالد عزب	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٤ ـ ١١
النقد بين البصر والبصيرة تأليف د. يوسف بكار	د. عباس عبد الحليم عباس	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	١٥٠ ـ ١٥٣
★★ اللغة والدراسات اللغوية :				
تميز لغة الضاد في التذكير والتأنيث	د. محمود الذاودي	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	٨٤ ـ ٩٣
الدلالة الاصطلاحية عند النحاة وارتباطها بالمجال التطبيقي	محمد عبد العزيز الدباغ	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٧٢ ـ ٨١
ظاهرة الترادف في اللغة العربية	ابتهال محمد علي البار	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٢٨ ـ ١٣٣
الفروق في اللغة (١٨) الفرق بين الختم والطبع	د. ياسين بن ناصر الخطيب	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٨٢ ـ ٨٥
الفروق في اللغة (١٩) الفرق بين الفعل والعمل والصنع	د. ياسين بن ناصر الخطيب	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٢٢ ـ ١٢٥
الفروق في اللغة (٢٠) الفرق بين الخشوع والخضوع	د. ياسين بن ناصر الخطيب	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	٣٦ ـ ٣٩
الفروق في اللغة (٢١) الفرق بين الترجمة والتفسير	د. ياسين بن ناصر الخطيب	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	٧٨ ـ ٨١
الفروق في اللغة (٢٢) الفرق بين الشك واليقين	د. ياسين بن ناصر الخطيب	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	١٠٢ ـ ١٠٤
الكلم الذي لزم النفي	د. ابراهيم السامرائي	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٦٨ ـ ٧١
معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي	د. محمد السيد علي بلاسي	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	٨٦ ـ ٨٩
★★ مسك الختام				
مسك الختام: (الحداثة والتجديد)	عبد العزيز ادريس الخطابي	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	١٦٠
مسك الختام: (هؤلاء علموني)	وديع صوالحة	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	١٥٨
مسك الختام: (المنهل العذب.. عذب في تدفقه)	د. يوسف عز الدين	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	١٥٨
مسك الختام: (حديث عن المرأة بمنظار أديب)	عبد العزيز بن صالح العسكر	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	١٥٦ ـ ١٥٧
مسك الختام: (حسن الأدب في مكة المكرمة)	زهير محمد جميل كتبي	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	١٦٤ ـ ١٦٥
★★ مما قـل :				
مما قل: (الأدب.. قيمة موضوعية)	عبد القدوس الأنصاري	المحرم وصفر/ مارس وابريل	٥٧٩	بدون
مما قل: (حتى لا تتكرر النكبة)	عبد القدوس الأنصاري	الربيعان/ مايو ويونية	٥٨٠	بدون
مما قل: (أيها العرب اتحدوا واستعدوا)	عبد القدوس الأنصاري	جمادى الأولى والآخرة/ أغسطس وسبتمبر	٥٨١	بدون
مما قل: (وفاء الأصدقاء)	عبد القدوس الأنصاري	رجب وشعبان/ أكتوبر ونوفمبر	٥٨٢	بدون
مما قل: (في أيام الحج)	عبد القدوس الأنصاري	ذو الحجة/ فبراير ٢٠٠٢م	٥٨٤	بدون

مجلدات المنهل

المجموعة الكاملة ١٣٥٥ ـ ١٤١٦ هجرية

(٧٢) مجلدا فاخرا متوفرة في الألوان " الأزرق - البني - والأسود "
للاستفسار الإتصال بإدارة العلاقات العامة بالمجلة ت : ٦٤٣٢١٢٤



يمتد حتى نهاية هذا العام

السادة دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

بعد اطلاعي على شروط الاشتراك السنوي في مجلتكم (المنهل) والعرض الخاص ارغب في الآتي

☐ اشتراك سنوي (١٥٠) ريالا .

☐ (٣) سنوات (٤٠٠) ريالا مع الإصدارات .

☐ (٥) سنوات (٥٥٠) ريالا وكتاب شذرات الذهب.

وارفق لكم طيه قيمة الاشتراك حسب ما هو موضح بالقسيمة.

☐ (أ) شيك ☐ (ب) حوالة بنكية

مبلغ ________ رقم ________ بتاريخ ________

فضلا
تعنون الشيكات أو التحويلات باسم (مجلة المنهل)

الاسم: ________ العنوان: ________

القطر: ________ المدينة: ________ المنطقة: ________ شارع: ________

بناية رقم: ________ شقة رقم: ________ ص.ب: ________ رمز بريدي ________

تليفون : ________ فاكس : ________ تلكس: ________



مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣


للجادين
فى الشراء
.. والحريصين
على التميز